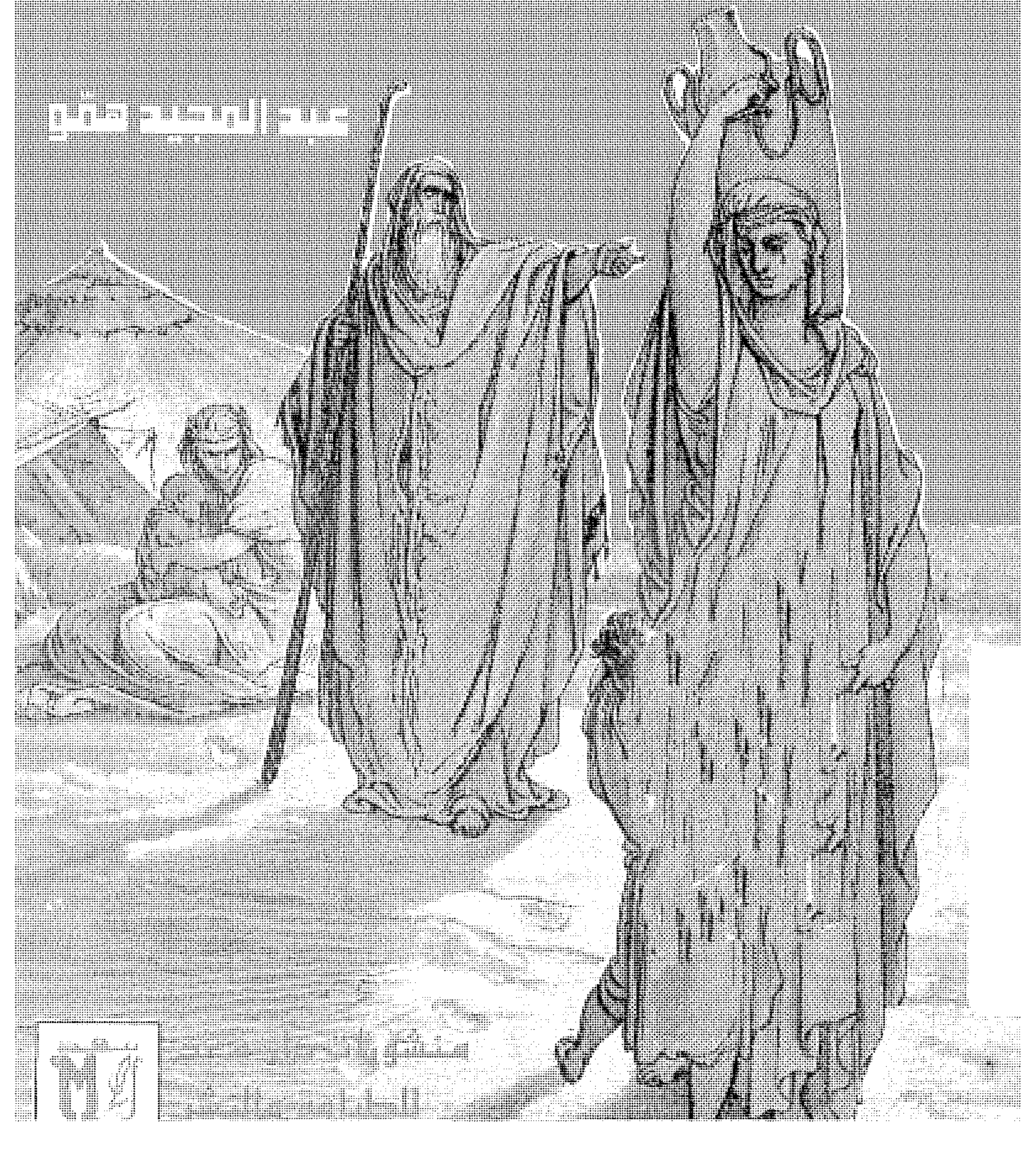
هاجر

بين الحرية والعبودية



عبد المجيد همو

هاجر

بين الحرية والعبودية

الطبعة الأولى

منشورات دار معد للنشر والتوزيع

دمشق ١٩٩٣

عبد المجيد همو

هاجر
بين الحرية والعبودية

الاهداء

الى من تحت أقدامها جنات النعميم

الى كل الأمهات العربيات اللواتي يرفضن الذل ويأبين نير العبودية .

الى أمهاتنا في فلسطين ، أمهات أطفال الحجارة

الى أم العرب هاجر

أقدم هذا الكتاب متواضعا

المؤلف

المقدمة

كلمة لازالت ترن في مسمعي كل صباح ، وكل مساء ، ألقاها صهيوني على مسامع الحكام العرب "لاحق للعرب في فلسطين فقد دخلوها غزاة وخرجوا منها مندحرين" .

لقد آمن اليهود ، ومن والاهم بكلمات التوراة ، فقد قالت أن اسماعيل بن هاجر ، وهاجرأمة ، وابن الأمة لايرث ، ولهذا لاحق لاسماعيل في ارث ابراهيم ، ونسوا أو تناسوا ، أن التوراة نفسها تناقضت في هذا الرأي ، فأوردت أبناء يعقوب الاثني عشر ، وورثتهم جميعهم أرض فلسطين ، وأربعة من أبناء يعقوب أبناء اماً (دان ـ نفتالي ـ وجاد واشير) .

لماذا أورث هؤلاء الأبناء أبناء الاماً ؟

وعلى أي شيء اعتمدت التوراة على رق هاجر ، أهي القصة المختلقة في رحلة ابراهيم الى مصر ؟ وقصته مع ساره ؟ وهذه القصة فيها استهتار بخلق الأنبياء والرسل ، وتشويه لسمعتهم ، ولهذا فأنا أردها أشد الرد ، وأتمنى من المسلمين الذين قبلوا بها ، أن يعيدوا نظرتهم فيها .

المؤلف

ابراهيم الخليل

ماذا ورد عنه في القرآن الكريم ؟

نستطيع أن نرى في القرآن الكريم قصة متكاملة عنه عليه السلام وقد وردت القصة في سور متفرقة .

١ ــ هداية ابراهيم :

أ ــ الأنبياء الآية ٥١ ــ ٧٠

ولقد أتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين* اذ قال لأبيه ماهذه التماثيل التي أنتم بها عاكفون* قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين* قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين* قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين* قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين* وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين* فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون* قالوا من فعل هذا بألهتنا انه لمن الظالمين* قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون* قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا ياابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا

ينطقون* فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون* ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ماهؤلاء ينطقون* قال أفتعبدون من دون الله مالاينفعكم شيئا ولايضركم اف لكم ولماتعبدون من دون الله أفلاتعقلون ؟* قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين* قلنا يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيا ا فجعلناهم الأخسرين* ونجيناه ولوطا الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين*

ب ـ سورة العنكبوت ١٦ ـ ٢٧

وابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون* انما تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون* وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول الا البلاغ المبين* أو لم يروا كيف يبدىء الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير* قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة ان الله على كل شيء قدير* يعذب من يشاء واليه تقلبون ومأأنتم بمعجزين في الأرض ولافي السماء ومالكم من دون الله ولي ولانصير* والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم* فماكان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار أن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون* وقال انما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار ومالكم من ناصرين* فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم* ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وأتيناه أجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين .

ج ــ سورة الانعام ٧٤ ــ ٨٦

واذ قال ابراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة اني أراك وقومك في ضلال مبين وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين* فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لاأحب الأفلين* فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين* فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم اني بريء مماتشركون* واني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هداني ولاأخاف مماتشركون به الا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون* وكيف أخاف ماأشركتم ولاتخافون انكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون* الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون وتلك حجتنا أتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم* ووهبنا له اسحق ويعقوب كلاهدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين* وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلافضلنا على العالمين*

د ــ سورة مريم ٤١ ــ ٥٠

واذكر في الكتاب ابراهيم أنه كان صديقا نبيا اذ قال لأبيه ياأبت لم تعبد

مالايسمع ولايبصر ولايغني عنك شيئا ياأبتي اني قد جاءني من العلم مالم يأتك فأتبعني أهدك صراطا سويا ياأبتي لاتعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا ياأبتي اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال أراغب أنت عن آلهتي ياابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا واعتزلكم وماتدعون من دون الله وادعو ربي عسى أن لاأكون بدعاء ربي شقيا فلما اعتزلهم ومايعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا .

هـ ــ سورة الشعراء ٧٠ ــ ٨٩

واتل عليهم نبأ ابراهيم* اذ قال لأبيه وقومه ماتعبدون* قالوا نعبد أصناما فنظل لهم عاكفين* قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون* قالوا بل وجدنا أباءنا لها كذلك يفعلون* قال افرأيتم ماكنتم تعبدون* أنتم وآباؤكم الأقدمون* فانهم عدو لي الا رب العالمين* الذي خلقني فهو يهديني والذي هو يطعمني ويسقين* واذا مرضت فهو يشفين* والذي يميتني ثم يحيني والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين* ربي هب لي حكما والحقني بالصالحين* واجعل لي لسان صدق في الآخرين* واغفر لأبي انه كان من الضالين* ولاتخزني يوم يبعثون* يوم لاينفع مال ولابنون* الامن أتى الله بقلب سليم*

و ــ سورة التوبة ١١٥

وماكان استغفار ابراهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو الله تبرأ منه ان ابراهيم لأواه حليم .

ز ــ سورة البقرة ٢٥٨

ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك اذا قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لايهدي القوم الظالمين .

هـ ــ سورة الصافات ٨٣ ــ ٩٨

وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون . ائفكا آلهة دون الله تريدون . فماظنكم برب العالمين . فنظر نظرة في النجوم . فقال اني سقيم . فتولوا عنه مدبرين . فراغ الى آلهتهم فقال ألا تأكلون . مالكم لاتنطقون . فراغ عليهم ضربا باليمين . فأقبلوا اليه يزفون . قال أتعبدون ماتنحتون . والله خلقكم وماتعملون . قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم . فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين . وقال اني ذاهب الي سيهدين . ربي هب لي من الصالحين .

٢ ــ البشارة بالأولاد .

أ ــ سورة الصافات ٩٩ ــ ١١٣

فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعي قال يابني اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ناذا ترى قال ياأبت افعل ماتؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه أن ياابراهيم قد صدقت الرؤيا أنا كذلك نجزي المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الأخرين . سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين . انه من عبادنا المؤمنين . وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين .

ب ــ سورة هود ٦٩ ــ ٧٢

ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلام قال سلام فمالبث أن جاء بعجل حنيذ* فلما رآى أيديهم لاتصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب* قالت ياوليلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب*

ج ــ سورة الحجر ٥١ ــ ٦٠

ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال أنا منكم وجلون قالوا لاتوجل انا نبشرك بغلام عليم . قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون* قالوا بشرناك بالحق فلاتكن من القانطين* قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون* قال فماخطبكم أيها المرسلون . قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين . الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين*

د ــ سورة الذاريات ٢٤ ــ ٣٣

هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال ألاتأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف وبشرو بغلام عليم . فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العيم قال فما خطبكم أيها المرسلون قال انا أرسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم

حجارة من طين .

٣ ــ الايمان .

أ ــ سورة البقرة ٢٦٠

واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا اعلم أن الله عزيز حكيم .

٤ ــ الهجرة الى الحجاز وبناء البيت الحرام .

أ ــ سورة الحج ٢٦ ــ ٢٧

واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لاتشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود* واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق*

ب ــ سورة ابراهيم ٣٥ ــ ٣٩

واذ قال ابراهيم اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام* رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم* ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم

يشكرون* ربنا انك تعلم مانخفي ومانعلن ومايخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء .

ج ــ سورة البقرة ١٢٤ ــ ١٢٨

واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين* واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع والسجود* واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلداً أمنا وارزق أهله من الثمرات من أمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير* واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم*

د ــ سورة آل عمران ٩٥ ــ ٩٧

قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وماكان من المشركين* ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين* فيه أيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان أمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين*

٥ ــ موقف الكتابين من ابراهيم .

أ ــ سورة آل عمران ٦٥ ــ ٦٨

يأهل البيت لم تحاجون في ابراهيم وماأنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون* هاأنتم أولاء حاججتم فيمالكم به علم فلم تحاجون في ماليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لاتعلمون ماكان ابراهيم يهوديا ولانصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وماكان من المشركين . أن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين أمنوا والله ولي المؤمنين*

ابراهيم في التوراة

سفر التكوين

١ ـــ الاصحاح الحادي عشر ٢٧ ـــ ٣٢

وهذه مواليد تارح ، ولد تارح ابرام ، وناحور ، وهاران ، وولد هاران لوطا ، ومات هاران قبل تارح في أرض ميلاده في أور الكلدانيين ، واتخذ ابرام ، وناحور لأنفسهما امرأتين ، اسم امرأة ابرام ساراى(١) ، واسم امرأة ناحور ملكة بنت هاران أبي ملكة ، وأبي مسكة ، وكانت ساراى عاقرا ، ليس لها ولد ، وأخذ تارح ابنه ابرام ، ولوطا ابن هاران ، وساراى كنتة امرأة ابرام ابنه ، فخرجوا مها من أور الكلدانيين ، ليذهبوا الى أرض كنعان ، فأتوا الى أرض حاران ، وكانت أيام تارح مائتي وخمسين سنة ، ومات تارح في حاران .

٢ ـــ الأصحاح الثاني عشر .

وقال الرب لابرام اذهب من أرضك ، ومن عشيرتك ومن بيت أبيك الى

---

(١) لم يعيين الاصحاح والد ساراى من هو والى أي قبيلة تنتمي .

الأرض التي أريك ، فأجعلك أمة عظيمة ، وأباركك ، وأعظم اسمك ، وتكون بركة ، وأبارك مباركيك ، وألعن لاعنيك ، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض ، فذهب ابرام ، كماقال له الرب ، وذهب معه لوط ، وكان ابرام ابن خمس وسبعين سنة ، كماخرج من أرض حاران فأخذ ابرام ساراى امرأته ، ولوطا ابن أخيه ، وكل مقتنياتيهيما التي اقتنيا ، والنفوس التي امتلكا في حاران ، وخرجوا ليذهبوا الى أرض كنعان ، فأتوا الى أرض كنعان ، واجتاز ابرام في الأرض الى مكان شكيم الى بلوطة مورا ، كان الكنعانيون آنئذ في الأرض ، وظهر الرب لابرام ، وقال لنسلك اعطي هذه الأرض(٢) فبنى هناك مذبحا للرب الذي ظهر له ، ثم نقل من هناك الى الجبل شرقي بيت ايل ، ونصب خيمته ، وله بيت ايل من الغرب ، وعاى من المشرق ، فبنى هناك مذبحا للرب ، دعا باسم الرب ، ثم ارتحل ابرام ارتحالا متواليا نحو الجنوب ، وحدث جوع في الأرض ، فانحدر ابرام الى مصر ، ليتغرب هناك ، لأن الجوع في الأرض كان شديدا ، وحدث لماقرب أن يدخل مصر أنه قال لساراى امرأته ، اني علمت أنك امرأة حسنة المنظر ، فيكون اذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلونني ، ويستبقونك قولي أنك أختي ، ليكون لي خير بسببك ، وتحيا نفسي لأجلك ، فحدث لما دخل ابرام الى مصر ، أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جدا ، ورآها رؤساء فرعون ، ومدحوها لدى فرعون ، فأخذت المرأة الى بيت فرعون ، فصنع الى ابرام خيرا بسببها ، وصار له بقر ، وغنم ، وحمير ، وعبيد واماء ، واتن ، وجمال ، فضرب الزب فرعون ، وبيته ضربات عظيمات ، بسبب ساراى امرأة ابرام ، فدعا فرعون ابرام ، وقال ماهذا الذي صنعت بي ؟ لماذا لم تخبرني أنها امرأتك ؟ لماذا قلت لي هي أختي حتى أخذتها لتكون زوجتي ؟

---

(٢) لم يميز في النسل بين ولد وولد .

والآن هو ذا امرأتك خذها ، واذهب ، فأوصى عليه فرعون رجالا ، فشيعوه وامرأته وكل ماكان له(٣) .

٣ ــ الاصحاح الثالث عشر .

فصعد ابرام من مصر ، هو وامرأته ، وكل ماكان له ، ولوط معه الى الجنوب(٤) ، وكان ابرام غنيا جدا في المواشي والفضة والذهب ، وسار في رحلته من الجنوب الى بيت ايل ، الى المكان الذي خيمته فيه في البداية بين بيت ايل ، وعاى ، الى مكان المذبح الذي عمله هناك ، أولا ، ودعا هناك باسم الرب ، ولوط السائر مع ابرام كان له أيضا غنم وبقر وخيام ، ولم تحتملهما الأرض أن يسكنا معا اذ كانت أملاكهما كثيرة ، فلم يقدر أن يسكنا معا ، فحدث مخاصمة بين رعاة مواشي ابرام ورعاة مواشي لوط(٥) .

وكان الكنعانيون ، والفرزيون حينئذ ساكنين في الأرض ، فقال ابرام للوط لاتكن مخاصمة بيني ، وبينك ، وبين رعاتي ورعاتك ، لأننا نحن اخوان ، أليست كل الأرض أمامك اعتزل عني . ان ذهبت شمالا فأنا يمينا ، وان يمينا فأنا شمالا ، فرفع لوط عينيه ، ورأى كل دائرة الأردن أن جميعها سقي ، قبلما أخرب الرب سدوم وعمورة كجنة الرب ، كأرض مصر . حينما تجيء الى صوغر ، فاختار لوط لنفسه كل دائرة الأردن ، وارتحل لوط شرقا ، فاعتزل الواحد عن الآخر . ابرام سكن في أرض كنعان ، ولوط سكن في مدن

(٣) لم يشر الى اهداء هاجر في هذه الحادثة .
(٤) الاشارة الى هجرة ابرام الى الجنوب فهل هاجر الى بلاد النوبة أم أن مصر غير المعروفة .
(٥) اقتسم ابرام ولوط الأرض وكأنها فارغة لا سكان فيها وهذا غير صحيح .

الدائرة ، ونقل خيامه الى سدوم ، وكان أهل سدوم أشرارا ، وخطاة لدى الرب جدا ، وقال الرب لابرام بعد اعتزال لوط عنه ارفع عينيك ، وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ، ولنسلك الى الأبد واجعل نسلك كتراب الأرض ، حتى اذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض ، فذلك أيضا يعد ، ثم امش في الأرض طولها وعرضها ، لأني لك أعطيها ، فنقل ابرام خيامه ، وأتى ، وأقام عند بلوطات ممرا في حبرون ، وبنى هناك مذبحا للرب .

٤ــ الاصحاح الرابع عشر .

وحدث في أيام أمرا فل ملك شنعار ، وأريوك ملك لاسار ، وكدر لعومر ملك عيلام ، وتدعال ملك جوييم . أن هؤلاء صنعوا حربا مع بارع ملك سدوم ، وبرشاع ملك عمورة ، وشبآب ملك ادمر ، وشمئير ملك صوييم ، وملك بالع التي هي صوغر جميع هؤلاء اجتمعوا متعاهدين الى عمق السديم الذي هو بحر الملح اثنتي عشرة سنة استعبدوا لكدر لعومر ، والسنة الثالثة عشرة عصوا عليه ، وفي السنة الرابعة عشرة أتى كدر لعومر ، والملوك الذين معه ، وضربوا الرفائين في عشتاروت قرنائيم ، والزوزين في هام ، والأيميين في شوى اقريتاييم ، والحوريين في جبلهم سعير الى بطمة فاران ، التي عند البرية ، ثم رجعوا الى عين مشفاط التي هي قادش ، وضربوا كل بلاد العمالقة ، وأيضا الأموريين الساكنين في حصون تامار ، فخرج ملك سدوم ملك عمورة ، وملك أدمة ، وملك صبوييم ملك بالع التي هي صوغر ، ونظموا معهم حربا على عمق السديم ، مع كدر لعومر ملك عيلام ، وتدعال ملك جوييم ، وامرافل ملك شنعار ، واريوك ملك لاسار ،أربعة ملوك مع خمسة ، وعمق السديم كان فيه آبار كثيرة ، فهرب ملكا سدوم وعمورة ، وسقطا هناك ، والباقون هربوا الى

الجبل ، فأخذوا جميع أملاك سدوم وعمورة ، وجميع أطعمتهم ، ومضوا ، وأخذوا لوطا ابن أخ ابرام ، وأملاكه ، ومضوا اذ كان ساكنا في سدوم ، فأتى من نجا ، وأخبر ابرام العبراني ، وكان ساكنا عند بلوطات ممرا الأموري ، أخي اشكول ، وأخي عابر وكانوا أصحاب عهد مع ابرام ، فلما سمع ابرام أن أخاه سبي ، جر غلمانه المتمرنين ، وولدان بيته ثلاثمئة وثمانية عشر ، وتبعهم الى دان ، وانقسم عليهم ليلاهو ، وعبيده ، فكسرهم ، وتبعهم الى حوبة التي عن شمال دمشق ، واسترجع كل الأملاك ، واسترجع لوطا أخاه أيضا ، واملاكه والنساء أيضا والشعب . فخرج ملك سدوم لاستقباله بعد رجوعه من كسرة كدرلعومر ، والملوك الذين معه الى عمق شوى الذي هو عمق الملك ، وملكي صادق ملك شالم ، أخرج خبزا وخمرا ، وكان كاهنا لله العلي ، وباركه ، وقال : "مبارك ابرام من الله العلي ومبارك السموات والأرض ومبارك الله العلي الذي أسلم أعداءك في يدك" ، فأعطاه عشرا من كل شيء ، وقال ملك سدوم لابرام :"اعطني النفوس ، وأما الأملاك ، فخذها لنفسك" ، فقال ابرام لملك سدوم : "رفعت يدي الى الرب الاله العلي مالك السماء ، والأرض لأخذن لاخيطا ، ولاشراك نعل ، ولامن كل ماهو لك ، فلاتقول : انا أغنيت ابرام ، ليس لي الا الذي أكله الغلمان ، وأما نصيب الرجال الذين ذهبوا معي عابروا شكول وممرا ، فهم يأخذون نصيبهم" .

٥ ــ الاصحاح الخامس عشر .

بعد هذه الأمور صار كلام الرب الى ابرام في الرؤيا قائلا :"لاتخف ياابرام ، أنا ترس لك أجرك كثير جدا" فقال ابرام :"أيها السيد الرب ماذا تعطيني ؟ وأنا ماض عقيم ؟ ومالك بيتي هو اليعازر الدمشقي" وقال ابرام :"انك لم تعطني نسلا ، وهوذا ابن بيتي وارث لي" . فاذا كلام الرب اليه

قائلا "لايرثك هذا بل الذي يخرج من أحشائك هو يرثك" ، ثم أخرجه الى خارج ، وقال : "انظر الى السماء ، وعد النجوم ان استطعت أن تعدها ، وقال له هكذا يكون نسلك" . فآمن بالرب فحسبه له برا ، وقال له :"أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين ، ليعطيك هذه الأرض ، لترثها" ، فقال له أيها السيد "بماذا أعلم أنني أرثها" ، فقال له :"خذ عجلة ثلاثية ، وعنزة ثلاثية ، وكبشا ثلاثيا ويمامة ، وحمامة فأخذ هذه كلها وشقها من الوسط ، وجعل شق كل واحد مقابل صاحبه" ، وأما الطيور فلم يشقه ، فنزلت الجوارح على الجثث وكان ابرام يزجرها ، فلما صارت الشمس الى المغيب وقع على ابرام سبات ، واذا رعبة مظلمة عظيمة واقعة عليه ، فقال لابرام : "اعلم يقينا أن نسلك سيكون غريبا في أرض ليست لهم ، ويستعبدون لها أنا أدينها ، وبعد ذلك يخرجون بأملاك جزيله ، وأما أنت فتمضي الى آبائك بسلام ، وتدفن بشيبة صالحة ، وفي الجيل الرابع يرجعون الى هاهنا ،لأن ذنب الأموريين ليس الى الآن كاملا" ، ثم غابت الشمس فصارت العتمة ، واذا تنور دخان ، ومصباح نار يجوز بين تلك القطع ، في ذلك اليموم قطع الرب مع ابرام ميثاقا قائلا "لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات(١) ، الفينقيين والقنزيين والقرمونيين والحثيين والفرزيين والرفائين والآموريين والكنعانيين والجرجاثيين واليبوسيين .

٦ ـ الاصحاح السادس عشر .

(١) في الاصحاح نفسه يعتبر أرض مصر أرض غربة ثم يعود ليناقض نفسه من جديد حين يعتبر أرض اسرائيل من نهر مصر الى نهر الكبير نهر الفرات ولعل كاتب التوراة اما أنه يجهل نهر النيل أو يشير الى مصر غير المعروفة .

وأما ساراى امرأة ابرام ، فلم تلد له وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر ، فقالت ساراى لابرام ، "هو ذا الرب قد أمسكني عن الولادة ادخل على جاريتي ، لعلي أرزق منها بنين" فسمع ابرام لقول ساراى ، فأخذت ساراى امرأة ابرام هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لاقامة ابرام في أرض كنعان ، وأعطتها لابرام رجلها زوجة له ، فدخل على هاجر ، فحبلت ، ولما رأت أنها حبلت ، صغرت مولاتها في عينها(٢) . فقالت ساراى لابرام "ظلمي عليك ، أنا دفعت جاريتي الى حضنك ، فلما رأت أنها حبلت ، صغرت في عينيها ، يقضي الرب بيني وبينك" فقال ابرام لساراى "هو ذا جاريتك في يدك ، افعلي بها مايحسن في عينيك" ، فأذلتها ساراى ، فهربت من وجهها ، فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية على العين التي في طريق شور ، وقال :"ياهاجر جارية ساراى(٣) من أين أتيت ؟ والى أين تذهبين ؟" فقالت :"اني هاربة من وجه مولاتي ساراى" ، فقال لها ملاك الرب :"ارجعي الى مولاتك ، واخضعي تحت يديها" ، وقال لها ملاك الرب :"كثيرا أكثر نسلك ، فلايعد من الكثرة" ، وقال لها ملاك الرب :"هاأنت حبلى ، فتلدين ابنا ، وتدعين اسمه اسماعيل ، لأن الرب قد سمع لمذلتك ، وانه يكون انسانا وحشيا يده على كل واحد ، ويد كل واحد عليه ، وأمام جميع اخوته يسكن ، فدعت اسم الرب الذي تكلم معها انت ايل رئي ، لأنها قالت :"هاهنا أيضا رأيت بعد رؤيا لذلك دعت البئر بئر لحي رئي ، هاهي بين قادش وبارد ، فولدت هاجر لابرام ، ودعا ابرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر

(٢) لم يشر الاصحاح الى هاجر قبل هذه المرة ولم يبين كيف حصلت ساراى عليها .

(٣) لغة هاجر حسب رأي التوراة لغة سامية انت ايل رئي وهذه اللغة بعيدة البعد كله عن لغة مصر الهيروغليفية .

اسماعيل ، كان ابن ست وثمانين سنة ، لما ولدت هاجر اسماعيل لابرام[٤] .

٧ ـ الاصحاح السابع عشر .

ولما كان ابرام ابن تسع وتسعين سنة ، ظهر الرب لابرام ، وقال له : "اننا الله القدير ، سر أمامي ، وكن كاملا ، فأجعل عهدي بيني وبينك ، وأكثرك كثيرا جدا" ، فسقط ابرام على وجهه ، وتكلم الله معه قائلا :"اما انا فهو ذا عهدي معك ، وتكون أبا لجمهور من الأمم ، فلايدعى اسمك بعد ابرام بل يكون اسمك ابراهيم لأني أجعلك أباً لجمهور من الأمم وأثمرك كثيرا جدا ، وأجعلك أمما ، وملوك منك يخرجون ، وأقيم عهدي بينك وبيني ، وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدا أبديا ، لأكون الاهل لها ، ولنسلك من بعدك ، وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك ، كل أرض كنعان ملكا أبديا ، وأكون الاههم" ، وقال الله لابراهيم :"واما أنت فتحفظ عهدي أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم ، هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم ، وبين نسلك من بعدك ، يختن كل ذكر ، فتختتنون في لحم غرلتكم ، فيكون علامة عهد بيني وبينكم ، ابن ثمانية أيام ويختن منكم كل ذكر في أجيالكم ، وليدا لبيت والمبتاع بفضتة ، من كل ابن غريب ليس من نسلك يختن ختانا وليد بيتك والمبتاع بفضتك فيكون عهدي في لحمكم عهدا أبديا ، وأما الذكر الأغلف الذي لايختن في لحم غرلة ، فنقطع تلك النفس من شعبها فلاتنكث عهدي وقال الله لابراهيم :"ساراى امرأتك لاتدع اسمها ساراى ، بل سمها سارة ، وأباركها ، وأعطيك أيضا منها ابنا ، أباركها فتكون أمما ، وملوك

---

(٤) لم تشر التوراة الى الاذلال الذي أشار اليه الاخباريون المسلمون فصار الاخباريون ملكيين أكثر من الملك أو قل يهودا أكثر من كتاب التوراة .

شعوب منها يكونون" ، فسقط ابراهيم على وجهه ، وضحك ، وقال في قلبه :"هل يولد لابن مئة سنة ، وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة" ، وقال ابراهيم لله ليت اسماعيل يعيش أمامك ، فقال الله بل سارة امرأتك ، تلد لك ابنا ، وتدعو اسمه اسحق ، وأقيم عهدي معه أبديا ، لنسله من بعده ، وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه ، وأثمره كثيرا ، وأكثرة جدا اثني عشر رئيسا ، يلد واجعله أمة كبيرة ، ولكن عهدي أقيمه مع اسحق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية ، ولما فرغ الله من الكلام ، معه صعد الله عن ابراهيم ، فأخذ ابراهيم اسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته وجميع المبتاعين بفضة كل ذكر من أهل البيت ابراهيم وختن لحم غرلته في ذلك اليوم عينه كما كلمه الله ، وكان ابراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن في لحم عرلته ذلك وكان اسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن في لحم غزلة في ذلك اليوم عينه ، ختن ابراهيم ، واسماعيل ابنه ، وكل رجال بيته ، وولدان البيت ، والمبتاع بالفضة ، من ابن الغريب ختنوا معه .

٨ ــ الاصحاح الثامن عشر ١ ــ ١٥

وظهر له الرب عند بلوطات ممرا ، وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار ، فرفع عينيه ، ونظر ، واذا ثلاثة رجال واقفون لديه فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة ، وسجد الى الأرض ، وقال : "ياسيدي ان كنت قد وجدت نعمة في عينيك ، فلاتتحاوز عبدك ليأخذ قليل ماء ، واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت شجرة ، وآخذ كسرة خبز ، فتسندون قلوبكم ، ثم تجتازون ، لأنكم قد مررتم على عبدكم" . فقالوا :"هكذا نفعل كماتكلمت" ، وأسرع ابراهيم الى الخيمة الى سارة ، وقال أسرعي بثلاثة كيلات دقيقا

سميذا ، اعجني ، واصنعي خبزا مله"[1] ، ثم ركض الى البقر ، وأخذ عجلا رخصا وجيدا ، وأعطاه للغلام ، فأسرع ليعمله ، ثم أخذ زبدا ولبنا ، والعجل الذي عمله ووضعهما قدامهم ، واذ كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة ، أكلوا وقالوا له أين سارة امرأتك فقال هاهي في الخيمة فقال اني ارجع اليك نحو زمان الحياة ، يكون لامرأتك سارة ابن ، وكانت سارة سامعة في باب الخيمة ، وهي وراءه ، وكان ابراهيم وسارة شيخين متقدمين في الأيام ، وقد انقطع ان يكون لسارة عادة كالنساء ، فضحكت سارة في باطنها قائلة : "ابعد فنائي يكون لي تنعم ، وسيدي قد شاخ" ، فقال الرب لابراهيم :"لماذا ضحكت سارة ؟ قائلة "فبالحقيقة الدوانا شخت ، هل يستحيل على ربي شيء ؟ في المعياد ارجع اليك نحو زمان الحياة ، ويكون لسارة ابن" فأنكرت سارة قائلة "لم أضحك لأنها خافت ، فقال لا بل ضحكت" .

٩ ــ الاصحاح العشرون .

وانتقل ابراهيم من هناك الى أرض الجنوب ، وسكن بين قادش وشور ، وتغرب في جرار ، وقال ابراهيم عن سارة امرأته "هي أختي" فأرسل أبي مالك ملك جرار ، وأراد أخذ سارة ، فجاء الله الى أبي مالك في حلم الليل ، وقال له"ها أنت ميت من أجل المرأة التي أخذتها ، فانها متزوجة ببعل" ، ولكن لم يكن أبي مالك قد اقترب اليها ، فقال"ياسيدا أمة بارة تقتل ؟ألم يقل هو لي "انها أختي" وهي أيضا نفسها قالت "هو أخي" بسلامة قلبي ، ونقاوة يدي ، فعلت هذا . فقال له الله في الحلم أنا أيضا علمت أنك بسلامة قلبك فعلت هذا . وأنا أيضا أمسكتك عن أن تخطيء الي ، لذلك لم أدعك تمسها ، فالآن

(١) اذا كانت سارة سيدة هاجر فلماذا لم تقم هاجر بهذه الخدمة .

رد امرأة الرجل ، فانه نبي ، فيصلي لأجلك ، فتحيا ، وان كنت لست تردها ، فاعلم أنك موتا تموت أنت ، وكل من لك فبكر أبي مالك في الغد ، ودعا جميع عبيده ، وتكلم بكل هذا الكلام في مسامعهم ، فخاف الرجال جدا ، ثم دعا أبي مالك ابراهيم ، وقال "ماذا فعلت بنا ؟ وبماذا أخطأت اليك ؟ حتى جلبت علي ، وعلى مملكتي خطية عظيمة ، أعمالا لاتعمل ، عملت بي . وقال أبي مالك لابراهيم "ماذا رأيت ، حتى عملت هذا الشيء" فقال ابراهيم "اني قلت ليس في هذا الموضع خوف الله البته فتقتلونني لأجل امرأتي ، وفي الحقيقة أيضا هي أختي ابنة أبي ، غير أنها ليست ابنة أمي ، فصارت لي زوجة ، وحدث لما أتاهني الله من بيت أبي ، قلت لها "هذا معروفك الذي تصنعين الي في كل مكان ، نأتي اليه قولي عني" . هو أخي فأخذ أبي مالك غنما ، وبقرا وعبيدا واماءا ، وأعطاها لابراهيم ، ورد اليه سارة امرأته ، وقال أبي مالك "هو ذا أرضي قدامك ، أسكن في ماحسن في عينيك ، وقال لسارة "اني قد أعطيت أخاك ألفا من الفضة ، هاهو لك غطاء عين ، من جهة كل ماعندك وعند كل واحد فأنصفت ، فصلى ابراهيم الى الله ، فشفى الله أبي مالك وامرأته وجواريه ، فولدن له لأن الرب كان قد أغلق كل رحم لبيت أبي مالك بسبب سارة امرأة ابراهيم .

١٠ ــ الاصحاح الحادي والعشرون .

وافتقد الرب سارة ، كماقال ، وفعل الرب لسارة ، كماتكلم ، فحبلت سارة ، وولدت لابراهيم ابنا في شيخوخته في الوقت الذي تكلم الله عنه ، ودعا ابراهيم اسم ابنه ، المولود له الذي ولدته سارة اسحق ، وختن ابراهيم اسحلق ابنه ، وهو ابن ثمانية أيام كما أمره الله ، وكان ابراهيم ابن مئة سنة ، حين ولد له اسحق ، وقالت سارة :"قد صنع الله الي ضحكا كل من يسمع ،

يضحك لي" وقالت :"من قال لابراهيم سارة ترضع بنين ، حتى ولدت ابنا ، في الشيخوخة" . فكبر الولد ، وفطم ، وصنع ابراهيم وليمة عظيمة يوم فطام اسحق ، ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته يمزح ، فقالت لابراهيم "اطرد هذه الجارية ، وابنها لأن ابن هذه الجارية ، لايرث مع ابني اسحق" فقبح الكلام جدا في عيني ابراهيم بسبب ابنه ، فقال الله لابراهيم"لايقبح في عينيك من أجل الغلام ، ومن أجل جاريتك في كل ماتقول لك سارة اسمع لقولها ، لأنه باسحق يدعى لك نسل ، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك" . فبكر ابراهيم صباحا ، وأخذ خبزا ، وقربة ماء ، وأعطاهما لهاجر واضعا اياهما على كتفها والولد وصرفها ، فمضت ، وتاهت في برية بئر سبع ، ولما فرغ الماء من القربة ، طرحت الولد تحت احدى الأشجار ، ومضت ، وجلست مقابلة بعيدا نحو رمية قوس لأنها قالت "لاأنظر موت الولد فجلست مقابله ، ورفعت صوتها ، وبكت ، فسمع الله صوت الغلام ، ونادى ملاك الله هاجر من السماء ، وقال لها : "مالك ياهاجر ، لاتخافي ، لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو ، قومي احملي الغلام ، وشدي يديك به لأني سأجعله أمة عظيمة" وفتح اله عينيها ، فأبصرت بئر ماء ، فذهبت ، وملأت القربة ، وسقت الغلام ، وكان الله مع الغلام ، فكبر وكان ينمو رامي قوس وسكن في برية فاران ، وأخذت له أمة زوجة من أرض مصر ، وحدث في ذلك الزمان أن أبي مالك ، وفيكول رئيس جيشه ، كلم ابراهيم قائلين "الله معك في كل ماأنت صانع ، فالأن أحلف لي بالله هاهنا ، انك لاتغدر بي ، ولابنسلي وذريتي ، كالمعروف الذي صنعت اليك ، تصنع الي والى الأرض التي تغربت فيها ، فقال ابراهيم "انا أحلف" وعاتب ابراهيم أبي مالك بسبب بئر الماء التي اغتصبها عبيد أبي مالك ، فقال أبي مالك "لم أعلم من فعل هذا الأمر ، أنت لم تخبرني ، ولاأنا سمعت سوى اليوم ، فأخذ ابراهيم غنما وبقرا ، وأعطى أبي

مالك ، فقطع كلاهما ميثاقا ، وأقام سبع نعاج من الغنم وحدها ، فقال أبي مالك لابراهيم "ماهي هذه السبع النعاج التي اقمتها وحدها" فقال "انك سبع نعاج تأخذ من يدي ، لكي تكون لي شهادة بأني حفرت هذه البئر ، لذلك دعا ذلك الموضع "بئر سبع" لأنهما هنالك حلف كلاهما ، فقطعا ميثاقا في بئر سبع ، ثم أقام أبي مالك وفيكول رئيس جيشه ، ورجع الى أرض الفلسطينيين ، وغرس ابراهيم اثلا في بئر سبع ، ودعا باسم الرب الاله السرمدي وتغرب ابراهيم في أرض الفلسطينيين أياماً كثيرة .

١١ ــ الاصحاح الثاني والعشرون ١ ــ ٢٠

وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن ابراهيم ، فقال له "ياابراهيم" فقال "هاأنا ذا" فقال "خذ ابنك وحيدك الذي تحبه اسحق ، واذهب الى أرض المريا ، واصعده هناك محرقة على أحد الجبال التي يقول لك ، فبكر ابراهيم صباحا ، وشد على حماره ، وأخذ معه اثنين من غلمانه واسحق ابنه ، وشقق حطبا لمحرقة ، وقام ، وذهب الى الموضع الذي قال له الله[1] وفي اليوم الثالث رفع ابراهيم عينيه ، وأبصر الموضع من بعيد ، فقال ابراهيم لغلاميه "اجلسا أنتما هاهنا مع الحمار ، وأما أنا والغلام ، فنذهب الى هناك ، ونسجد ، ثم نرجع اليكما" فأخذ ابراهيم حطب المحرقة ، ووضع على اسحق ابنه ، وأخذ بيده النار والسكين ، فذهبا كلاهما معا ، وكلم اسحق ابراهيم أباه ، وقال "ياأبي" فقال "هاأنا ذا" فقال "هو ذا النار والحطب" ولكن أين الخروف للمحرقة ؟ فقال ابراهيم "الله يرى له الخروف للمحرقة ، ياابني" فذهب كلاهما معا ، فلما أتيا الى الموضع الذي قال له الله بنى هناك ابراهيم المذبح ، ورتب الحطب ، وربط

(١) أكان ابراهيم على شريعة الهنود في حرق البشر ؟

اسحق ابنه ، ووضعه على المذبح فوق الحطب ، ثم مد ابراهيم يده ، وأخذ السكين ليذبح ابنه ، فناداه ملاك الرب من السماء ، وقال "ابراهيم ابراهيم" فقال "هاأنا ذا" فقال "لاتمد يدك الى الغلام ، ولاتفعل به شيئا لأني الآن علمت أنك خائف الله ، فلم تمسك ابنك وحيدك عني" فرفع ابراهيم عينيه ، ونظر ، واذا كبش وراءه ممسكا في الغابة بقرنيه ، فذهب ابراهيم ، وأخذ الكبش ، وأصعده محرقه عوضا عن ابنه ، فدعا ابراهيم أسمى ذلك الموضع ، يهوه يرى" حتى أنه يقال اليوم "في جبل الرب يرى ونادى ملاك الرب ابراهيم ثانية من السماء ، وقال "بذاتي أقسمت ، يقول الرب اني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ، ولم تمسك ابنك وحيدك ، أباركك مباركة ، وأكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء ، وكالرمل الذي على شاطىء البحر ، ويرث نسلك باب أعدائه ، ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت لقولي" ثم رجع ابراهيم الى غلاميه ، فقاموا ، وذهبوا معا الى بئر سبع ، وسكن ابراهيم في بئر سبع .

١٢ ــ الاصحاح الثالث والعشرون .

وكانت حياة سارة مئة وسبعا وعشرين سنة سني حياة سارة ، وماتت سارة في قرية اربع التي هي حبرون في أرض كنعان[١] فأتى ابراهيم ليندب سارة ، ويبلكي عليها ، وقام ابراهيم من أمام ميتته ، وكلم بني حث[٢] قائلا "أنا غريب ونزيل عندكم ، اعطوني ملك قبر معكم ،لأدفن ميتي من أمامي ، فأجاب بنو حث ابراهيم قائلين له "اسمعنا ياسيدي ، أنت رئيس من الله بيننا ،

---

(١) في الاصحاح الذي قبله أرض بئر سبع فماالذي أتى الى خبرون .
(٢) الأرض لبني كنعان فكيف كلم بني حث من أجلها .

وأفضل قبورنا ادفن ميتك ، لايمنع أحد منا قبره عنك حتى لاتدفن ميتك" فقام ابراهيم ، وسجد لشعب الأرض لبني حث ، وكلمهم قائلا"ان كان في نفوسكم أن أدفن ميتي من أمامي ، فاسمعوني ، والتمسوا لي من عفرون ابن صوحر أن يعطيني مغارة المكفيلة التي له في طرف حقله بثمن كامل ، يعطيني اياها في وسطكم ملك قبر" وكان عفرون جالسا بين بني حث فأجاب عفرون الحثى ابراهيم في مسامع بني حث لدى جميع الداخلين باب مدينته قائلا "لا ياسيدي اسمعني ، الحقل وهبتك اياه ، والمغارة التي فيه لك ، وهبتها لدى عيون بني شعبي ، وهبتك اياها ، ادفن ميتك" فسجد ابراهيم أمام شعب الأرض ، وكلم عفرون في مسامع شعب الأرض قائلا "بل ان كنت أنت اياه ، فليتك تسمعني ، أعطيك ثمن الحقل ، خذ مني ، لدفن ميتي هناك" فأجاب عفرون ابراهيم قائلا له : "ياسيدي اسمعني أرض بأربعة مئة شاقل فضة ماهي بيني وبينك ، فادفن ميتك" فسمع ابراهيم لعفرون ، ووزن ابراهيم لعفرون الفضة التي ذكرها في مسامع بني حث أربعمئة شاقل فضة جائزة عند التجار ، فوجب حقل عفرون الذي في المكفيلة التي أمام ممرا الحقل ، والمغارة التي فيه ، وجميع الشجر الذي في الحقل الذي في جميع حدوده حواليه لابراهيم ملكا لدى عيون بني حث بين جميع الداخلين باب مدينته ، وبعد ذلك دفن ابراهيم سارة امرأته في مغارة حقل المكفيلة أمام ممرا التي هي حبرون في أرض كنعان ، فوجب الحقل والمغارة التي فيه لابراهيم ملك قبر من بني حث .

١٣ ــ الاصحاح الخامس والعشرون ١ ــ ١٩

وعاد ابراهيم ، فأخذ زوجة اسمها قطورة ، فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحه وأعطى ابراهيم اسحق كل ماكان له ، وأما بنوا السرارى اللواتي كانت لابراهيم ، فأعطاهم عطايا ، وصرفهم عن اسحق ابنه

شرقا الى أرض المشرق ، وهو بعد حي ، وهذه أيام سني حياة ابراهيم التي عاشها مئة وخمس وسبعون سنة ، وأسلم ابراهيم روحه ، ومات بشيبة صالحة شيخا وشبعان أياما ، وانضم الى قومه ، ودفنه اسحق واسماعيل ابناه في مغارة المكفيلة في حقل عفرون ابن صوحر الحثي الذي أمام ممرا الحقل الذي اشتراه ابراهيم من بني حث ، هناك دفن ابراهيم ، وسارة امرأته ، وكان بعد موت ابراهيم أن الله بارك اسحق ، وسكن اسحق عند بئر لحي رئي ، وهذه سنو حياة اسماعيل مئة وسبع وثلاثون سنة ، وأسلم روحه ، ومات وانضم الى قومه ، وسكن أبناؤه من حويله الى شور التي أمام مصر حينما تجيء نحو شور أمام جميع اخوته نزل .

١٤ ــ الاصحاح السادس والعشرون ١ ــ ١١

وكان في الأرض جوع غير الجوع الأول الذي كان في أيام ابراهيم ، فذهب اسحق الى ابي مالك ملك الفلسطينيين الى جرار ، وظهر له الرب ، وقال "لاتنزل الى أرض مصر ، اسكن في الأرض التي أقول لك ، تغرب في هذه الأرض ، فأكون معك ، وأباركك لأني لك ، ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد ، فأكون وافيا بالقسم الذي اقسمت لابراهيم أبيك ، وأكثر نسلك كنجوم السماء ، فأعطي نسلك جميع هذه البلاد ، وتتبارك في نسلك جميع أمم الأرض من أجل أن ابراهيم سمع لقولي ، وحفظ مايحفظ لي أوامري ، وفرائضي وشرائعي" فأقام اسحق في جرار ، وسأله أهل المكان عن امرأته ، فقال "هي أختي" لأنه خاف أن يقول امرأتي لعل أهل المكان يقتلونني من أجل رفقة ، لأنها كانت حسنة المنظر ، وحدث اذ طالت له الأيام هناك ان أبي مالك ملك الفلسطينيين أشرف من الكوة ، ونظر واذا اسحق يلاعب رفقة امرأته ، فدعا أبي مالك اسحق ، وقال انما هي امرأتك ، فكيف قلت هي

أختي ؟ فقال له اسحق لأني قلت لعلي بسببها أموت ، فقال أبي مالك ماهذا الذي صنعت بنا ؟ لولا قليل لأضطجع أحد الشعب مع امرأتك ، فجلبت علينا ذنبا فأوصى أبي مالك جميع الشعب قائلا الذي يمس هذا الرجل وامرأته يموت موتا .

١٥ ــ الاصحاح الثلاثون ١ ــ ٢٤

فلما رأت راحيل ، أنها لم تلد ليعقوب ، غارت راحيل من أختها ، وقالت ليعقوب "هب لي بنين ، والا فأنا أموت" فحمي غضب يعقوب على راحيل ، وقال "العلي مكان الله الذي منع عنك ثمرة البطن" فقالت "هوذا جاريتي بلهة ، ادخل عليها ، فتلد على ركبتي ، وارزق أنا أيضا منها بنين" فأعطت بلهة جاريتها زوجة ، فدخل عليها يعقوب ، فحبلت بلهة ، وولدت ليعقوب ابنا فقالت راحيل "قد قضى الله لي ، وسمع أيضا لصوتي ، وأعطاني ابنا لذلك دعت اسمه دانا" وحبلت أيضا بلهة جارية راحيل ، وولدت ابنا ثانيا ليعقوب ، فقالت راحيل "مصارعات الله قد صارعت أختي ، وغلبت أختي ، فدعت اسمه نفتالي" ولما رأت ليئة أنها توقفت عن الولادة أخذت زلفة جاريتها ، وأعطتها زوجة ليعقوب ، فولدت زلفة جارية ليئة ليعقوب ابنا ، فقالت ليئة "سعد فدعت اسمه جادا ، وولدت زلفة جارية ليئة ابنا ثانيا ، فقالت ليئة "يغبطة لأنه تغبطني بنات فدعت اسمه اشير ومضر راؤبين في أيام حصاد الحنطة فوجد لفاحا في الحقل ، وجاء به الى ليئة أمه ، فقالت راحيل "اعطني من لفاح ابنك" فقالت لها "أقليل أنك أخذت رجلي ، فتأخذين لفاح ابني أيضا" فقالت راحيل "اذن يضطجع معك عوضا عن لفاح ابنك" فلما أتى يعقوب من الحقل في المساء ، خرجت ليئة لملاقاته ، وقالت الي تجيء لأني

استأجرتك بلفاح ابني ، فاضطجع معها تلك الليلة ، وسمع الله لليئة ، فحبلت ، وولدت ليعقوب ابنا خامسا . فقالت ليئة "قد أعطاني الله اجرتي لأني أعطيت جاريتي لرجلي فدعت اسمه يساكر" وحبلت أيضا ليئة ، وولدت ابنا سادسا ليعقوب فقالت ليئة "وهبني الله هبة حسنة الآن يساكنني رجلي لأني ولدت له ستة بنين فدعت اسمه زبولون" ثم ولدت ابنة دعت اسمها دينة ، وذكر الله راحيل ، وسمع لها الله وفتح رحمها ، فحبلت وولدت ابنا فقالت "قد نزع الله عاري ودعت اسمه يوسف ، يزيدني الرب ابنا آخر وكان بنيامين" .

١٦ ـ الاصحاح الخامس والثلاثون ٢٢ ـ ٢٦

كان بنو يعقوب اثني عشر : بنو ليئة رأوبين شمعون لاوى يهوذا يساكر زبزلون .

أبناء راحيل : يوسف وبنيامين وابنا بلهة جارية راحيل دان ونفتالي .

وأبناء زلفة جارية ليئة جادواشير هؤلاء بنو يعقوب الذين ولدوا له في فدان أرام .

١٧ ـ سفر حزقيال الاصحاح الثالث والثلاثون ٢٤ ـ ٢٦

ان الساكنين في هذه الخرب في أرض اسرائيل يتكلمون قائلين أن ابراهيم كان واحدا وقد ورث الأرض ونحن كثيرون لنا أعطيت الأرض ميراثا لذلك قل لهم هكذا قال السيد الرب "تأكلون بالدم ، وترفعون أعينكم الى أصنامكم ، وتسفكون الدم ، أفترثون الأرض ؟ وقفتم على سنيكم ، فعلتم

الرجس وكل منكم نجس امرأة أفترثون الأرض ؟ .

١٨ ــ سفر دانيال الاصحاح الثالث ١٣ ــ ٢٩

حينئذ أمر نبوخذنصر بغضب وغيظ باحضار شدرخ وميشخ وعبدنغو ، فأتوا بهؤلاء الرجال قدام الملك ، فأجاب نبوخذنصر وقال لهم "تعمدا ياشدرخ وميشخ وعبدنغو ، لاتعبدون الهتي ، ولاتسجدون لتمثال الذهب الذي نصب ، فان كنتم الآن مستعدين عندما تسمعون صوت القرن والناي والعود والربابة والسنطيير والمزمار ، وكل أنواع العزف الى أن تخروا ، وتسجدوا للتمثال الذي عملته وان لم تسجدوا ، ففي تلك الساعة تلقون في وسط أتون النار المتقدة ، ومن هو الاله الذي ينقذكم من يدي" فأجاب شدرخ وميشخ وعبدنغو وقالوا للملك "يانبوخذنصر ، لايلزمنا أن نجيبك عن هذا الأمر هوذا يوجد الآهنا الذي نعبده ، يستطيع أن ينجينا من اتون النار المتقدة ، وان ينقذنا من يدك أيها الملك ، والا فليكن معلوما لك أيها الملك أننا لانعبد الهتك ، ولانسجد لتمثال الذهب الذي نصبته" حينئذ امتلأ نبوخذنصر غيظا ، وتغير منظر وجهه على شدرخ وميشخ وعبدنغو ، فأجاب ، وأمر بأن يحموا الاتون سبعة أضعاف أكثر مماكان معتادا أن يحمى ، وأمر جبابرة القوة في جيشه أن يوثقوا شدرخ وميشخ وعبدنغو ، ويلقوهم في اتون النار المتقدة ، ثم وثق هؤلاء الرجال في سراويلهم ، وأقمصتهم وارديتهم ولباسهم ، وألقوا في وسط اتون النار المتقدة ، ومن حيث أن كلمة شديدة واتون قد حمي جدا أصاب لهيب النار الرجال الذين رفعوا شدرخ ومشيخ وعبدنغو ، وهؤلاء الثلاثة رجال سقطوا موثقين في وسط اتون النار المتقدة حين أذن تحيير نبوخذنصر الملك ، وقام مسرعا ، فأجاب وقال لمشيريه "ألم ناق ثلاثة رجال موثقين في وسط النار ، فأجابوا ، وقالوا للملك صحيح أيها الملك أجاب ، وقال هاأنا ناظر أربعة رجال

محلولين يتمشون في وسط النار ، ومابهم من ضرر ، ومنظر الرابع شبيهه بابن الالهة ، ثم اقترب نبوخذنصر الى باب اتون النار المتقدة ، وأجاب فقال "ياشدرخ وميشخ وعبدنغو ياعبيد الله العلي ، اخرجوا ، وتعالوا" فخرج شدرخ وميشخ وعبدنغو من وسط النار ، فاجتمعت المرازبة والشحن والولاة ومشيروا الملك ورأوا هؤلاء الرجال الذين لم تكن للنار قوة على أجسامهم ، وشعرة من رؤسيهم لم تحترق ، وسراويلهم لم تتغير ، ورائحة النار لم تأت عليهم فأجاب نبوخذنصر ، وقال تبارك آلهة شدرخ وميشخ وعبدنغو الذي أرسل ملاكه فأنقذ عبيده الذين اتكلوا عليه ، وغيروا كلمة الملك ، واسلموا أجسادهم لكي لايعبدوا ،أو يسجدوا لاله غير الاههم ، فمني قد صدر أمر بأن كل شعب وأمة ولسان يتكلمون بالسوء على اله شدرخ وميشخ وعبدنغو أنهم يصيرون اربا اربا ، وتجعل بيتهم مزبلة اذا ليس اله آخر يستطيع أن ينجي هكذا حينئذ قدم الملك شدرخ وميشخ وعبدنغو في ولاية بابل[١] .

٣ ــ العهد الجديد وابراهيم .

أ ــ أعمال الرسل الاصحاح السابع ٢ ــ ٥

ظهر اله المجد لأبينا ابراهيم ، وهو في مابين النهرين ، قبل ماسكن في حاران ، وقال "اخرج من أرضك وعشيرتك ، وهلم الى الأرض التي أريك" فخرج حينئذ من أرض الكلدانيين ، وسكن في حاران ، ومن هناك نقله بعدما مات أبوه الى هذه الأرض التي أنتم ساكنون فيها ، ولم يعطه ميراثا فيها ،

(١) اشارة الى دخول اليهودية الى هذه الأصناف كافة .

ولا وطاه قدم ، ولكن وعدان يعطيها ملكا له ولنسله من بعده ولم يكن بعد ولد .

ب ــ أعمال الرسل الاصحاح الثاني ٧ ــ ١١

وكان يهود أتقياء من كل أمة تحت السماء ساكنين في أورشليم ، فلما صار هذا الصوت اجتمع الجمهور ، وتحيروا لأن كل واحد منهم يسمعهم يتكلمون بلغتهم ، فبهت الجميع ، وتعجبوا قائلين بعضهم لبعض ، أترى ليس جميع هؤلاء المتكلمين جليليين ، فكيف يسمع كل واحد لغته التي ولد فيها ، فرثيون وكاذيون وعيلاميون والساكنون مابين النهرين ، واليهودية وكبودوكيا وبنطش وآسيا وافريجية وبمفيلية ومصر ونواحي ليبيا التي نحو القيروان والرومانيون المستوطنون يهود ودخلاء اكريتيون وعرب نسمعهم يتكلمون بألسنتنا بعظائم الله .

ج ــ رسالة بولس .

١ - الى أهل غلاطية الاصحاح الرابع من ٢٢ - ٣١

فانه مكتوب أنه كان لابراهيم ابنان ، واحد من الجارية ، والآخر من الحرة ، لكن الذي من الجارية ولد حسب الجسد ، وأما الذي من الحرة فبالموعد ، وكل ذلك رمز ، لأن هاتين هما العهدان أحدهما من جبل سيناء الوالد للعبودية لأن هاجر جبل سيناء في العربية ، لكنه يقابل أورشليم الحاضرة فانها مستعبدة من بنيها ، وأما أورشليم العليا التي هي أمنا جميعا فهي حرة لأنه مكتوب "افرحي أيتها العاقر التي لم تلد ، اهتفي ، واصرخي ، أيتها التي لم تتمخض ، فان أولاد الموحشة أكثر من التي لها زوج ، وأما نحن أيها الأخوة

فنظير اسحق أولاد الموعد ، ولكن كما كان حينئذ الذي ولد حسب الجسد يضطهد حسب الروح هكذا الآن أيضا ، لكن ماذا يقول الكتاب "اطردي الجارية وابنها لأنه لايرث ابن الجارية مع ابن الحرة" اذن أيها الأخوة لسنا أولاد الجارية بل أولاد الحرة .

٢ ـ رسالة بولس الى أهل رقمية الاصحاح الرابع ١٣ ـ ١٧

فانه ليس بالناموس كان الوعد لابراهيم أو لنسله يكون وارثا العالم بل ببر الايمان ،لأنه ان كان الذين من الناموس هم ورثة ، فقد تعطل الايمان ، وبطل الوعد لهذا هو من الايمان على سيل النعمة لبكون الوعد وطيدا لجميع النسل ، ليس لمن هو من الناموس فقط ، بل أيضا لمن هو من ايمان ابراهيم الذي هو أب لجميعنا ، كما هو مكتوب اني قد جعلتك أبا لأمم كثيرة .

٣ ـ رسالة بولس الى أهل روميه الاصحاح التاسع ٦ ـ ٨

لأنه ليس جميع الذين من اسرائيل هم اسرائيليون ، ولأنهم من نسل ابراهيم هم جميعا أولاده بل باسحق يدعى لك نسل أي ليس أولاد الجسد هم أولاد الله بل أولاد الموعد يحسبون نسلا .

٤ ـ رسالة بولس الى أهل غلاطية

كما آمن ابراهيم بالله ، فحسب له برا ، اعلموا اذن أن الذين هم من الايمان أولئك هم بنو ابراهيم والكتاب اذ سبق ، فرأى أن الله بالايمان ، يبرر الأمم ، سبق فبشر ابراهيم أن فيك تتبارك الأمم جميعا اذن الذين هم من الايمان ، يتباركون مع ابراهيم المؤمن ، وأما المواعيد ، فقيلت في ابراهيم ونسله .

٥ ـ رسالة بولس الى العبرانيين الاصحاح الحادي عشر ٢ ـ ١٠

بالايمان ابراهيم ، لما دعي أطاع ،أن يخرج الى المكان الذي وعده أن يأخذه ميراثا ، فخرج هو لايعلم الى أين يأتي ؟ بالايمان تغرب في أرض الموعد كأنها غريبة ساكنا في خيام مع اسحق ويعقوب الوارثين معه ، لهذا الموعد بعينه ، بالايمان سارة نفسها أيضا أخذت قدرة على انشاء نسل ، وبعد وقت السعد ، ولدت اذ حسبت الذي وعد صادقا في الايمان ، مات هؤلاء أجمعون ، وهم لم ينالوا المواعيد بل من بعيد نظروها ، وصدقوها ، وحيوها ، وأقروا أنهم غرباء ، ونزلوا الى الأرض .

د ــ رؤيا يوحنا اللاهوتي الاصحاح الواحد والعشرون ٧ ــ ٨

من يغلب يرث كل شيء ، وأكون له الاها ، وهو يكون لي ابنا ، وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة ، فنصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت هو الموت الثاني .

هـ ــ انجيل متى الاصحاح الثالث ٧ ــ ٨

فلما رأى كثيرين من الفرسين والصدوقيين يأتون الى معموديتا ، قال لهم ياأولاد الأفاعي من أراكم تهربون من الغضب الآتي فاصنعوا ثمارا ، تليق بالتوبة ، ولاتفتكروا أن تقولوا لنا ان ابراهيم أبانا لاني أقول لكم ان الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاد لابراهيم .

و ــ انجيل لوقا الاصحاح الثالث ٧ ــ ٨

وكان يقول للجموع الذين خرجوا ليتعمدوا منه ياأولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي فاصنعوا ثمارا تليق بالتوبة ولاتبتدئوا تقولون

في أنفسكم لنا ابراهيم أبا لأني أقول لكم ان الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاد لابراهيم .

الاخباريون

١ ــ النسب :

ابراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن ارغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن ارفخشذ بن سام بن نوح[1] .

---

(١) أورد هذا النسب الطبري وقد اعتمدته أصلا وناقشت الخلافات التي تغاير رأيه فهو مصدر واسع لتاريخ ماقبل الاسلام لمافيه من خيال واسع يجمع بين الأساطير ويبتعد كثيرا عن التاريخ الرصين وردت سلسلة النسب كمايلي :
أ ـ في التوراة : ابراهيم بن تارح(بالحاء المهملة) سروج (بحذف الألف وايراد الجيم بديل الغين) رعو (بدون الهمزة وبالعين المهملة وباسقاط الألف) فالج (بالجيم بديل الغين) شالح (بالحاء المهملة بديل الخاء) ارفكشاد (الكاف بديل الخاء والذال بديل الدال وزيادة الألف بين الشين والدال) وتضيف التوراة بعد نوح السلسلة التالية : نوح بن لامك بن متوشالح بن اخنوخ بن يارد بن مهللئيل بن قينان بن انوش بن شيث بن أدم .
أما ابن الأثير فقد وضع تاريخ بدلا من تارخ ، وقد سمى القرآن الكريم ، الأب آزر ، وورد ذلك في قوله تعالى (واذ قال ابراهيم لأبيه أزر أتتخذ أصناما آلهة اني أراك وقومك في ضلال مبين) .
حاول بعض الاخباريين أن يوفقوا بين رأي القرآن الكريم ، والتوراة ، ولهذا قال بعضهم : ان أباه تارخ ، وعمه أزر ، وقد نسبه القرآن الى عمه لأن أباه قد توفي ، وكفله عمه كماكفل محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ جده عبد المطلب ، ولهذا ←

← قال في احدى غاراته أنا النبي لاكذب أنا ابن عبد المطلب . وقال بعضهم الآخر "ان تارح هو أزر محاولا ألا يكذب احدى الروايتين التوراتية والقرآنية" . وسيطول بنا الشرح ، لو تتبعنا ذلك غير أن المؤرخ اليهودي يوسيفوس ، كان أقرب من هؤلاء الاخباريين المسلمين الى رواية القرآن ، فسماه آثر ، ولعل الخلاف اللغوي هو الذي جعله آثر .

ولعل خلط المؤرخين العرب في التسمية قام من اقتفاء أثر التوراة ، فاذ هم بين ركام هائل لايجدون ، مايكذبه ولامايصدقه ، فاتخذوه حجة ، ولما تعارض مع القرآن الكريم ، حاولوا أن يجدوا لهم مخرجا ، فقد أورد ابن اياس الحنفي أن ساره هي ابنة ازر عم ابراهيم ، وقد هاجر معه من أور وحسبي أن أحيل القارىء الى أي مصدر تاريخي ليعلم ذلك الخلط ، ولكني أرى أن الجميع اعتبروا التوراة المصدر الأول ، وحاولوا أن يقرنوا بها القرآن ، وعليهم كمسلمين أن يعتبروا القرآن المصدر الأصح ويسيروا بهجه .

أما سلسلة النسب فقد ورد فيها خلاف كبير بين ماأورده الطبري ، ومأأورده بقية الاخباريين والتوراة ، فقد سقطت بعض الأسماء كقينان . وقال صاحب المختصر "انه كان ساحرا ، ولهذا أسقطوه" ولن أتابع بقية الخلاف ، ولكني أحب أن أناقش مشكلة الأنساب في العربية بشكل عام ولاسيما المتقادمة في البعد .

لم يشر القرآن الكريم الى أي نسب مهما علا للأنبياء ، وانما أشار الى أدم بدء البشرية ، ثم حدثنا عن الرسل حديثا منقطعا ، كل رسول بمفرده محددا في بعض الأماكن سلسلة النسب (ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين) .

ولم يبين النسب بتسلسله ، وقد أفادنا في ذلك الدكتور جواد علي المفصل في تاريخ العرب ج١ ص٣٧٦ .

وقد اختلف الاخباريون وأصحاب الأنساب في نسب عدنان اختلافا كبيرا ، واختلفوا بينهم في كيفية النطق بتلك الأسماء ، على حين أننا لانرى اختلافا ←

← في نسب قحطان ، وقد علل محمد بن سعد الواقدي ذلك بقوله : كان رجل من أهل تدمر يكنى أبا يعقوب من مسلمة بني اسرائيل ، قد قرأ من كتبهم ، وعلم علمهم ، فذكر أن بورخ بن ناديا كاتب ارمياء أثبت نسب معد بن عدنان عنده ، ووضعه في كتبه ، وأنه معروف عند اخبار أهل الكتاب وعلمائهم ، ومثبت في أسفارهم ، وهو مقارب لهذه الأسماء ، ولعل خلاف مابينهم من قبل اللغة لأن هذه الأسماء ترجمت من العبرانية ، ويقول الواقدي في موضع آخر هذا الاختلاف في نسبته ، يدل على أنه لم يحفظ ، وانما أخذ من أهل الكتاب ، وترجموه لهم ، فاختلفوا فيه ، ولو صح لكان رسول الله (ص) أعلم الناس به ، فأمر عندنا على الانتهاء الي معد بن عدنان ، ثم الامساك عما وراء ذلك ، وقال الامام ابن حزم في جمهرة الأنساب ص٦ : ليس على الأرض أحد يصل نسبه بصلة قاطعة من نقل ثابت الى اسماعيل ، أو الى اسحق عليهما السلام ، فكيف الى نوح وكيف الى أدم ؟

ويقول الأستاذ أحمد أمين في هذا المجال فجر الاسلام ص٦ ″ولكن هذه الأنساب في مجموعها كانت ولاتزال مجالا للشك الكبير″ .

سئل مالك رحمه الله عن الرجل يرفع نسبه الى آدم فكره ذلك ، وقال ″من أين يعلم ذلك″ فقيل له ″الى اسماعيل″ فأنكر ذلك ، وقال ″ومن يخبره به″ . واعتاد النسابون أن يقولوا ″ان عرب الشمال من نسل اسماعيل بن ابراهيم ، وعرب الجنوب من نسل قحطان″ وترجع هذه العقيدة الى ماورد في التوراة في سفر التكوين .

وممن شك في هذه الأنساب الراوية المحقق محمد بن سلام الجمحي صاحب كتاب طبقات الشعراء ، وعنده انه ، ماقوق عدنان أسماء لم تؤخذ الا عن الكتب الاسرائيلية ، والله أعلم بها ولم يذكرها عربي قط ، وممن شك بالأنساب من المحدثين الدكتور احسان النص في كتابه العصبية القبلية ص٢٨ حيث يقول وبعد ماعسانا صانعين بهذا التراث الضخم الذي تذخر به كتب الأنساب العربية ، ولانرى في هذه الأنساب مايصح أن نعتبره حقائق تاريخية ، وانما هي أساطير ، وأخبار مفتعلة مزورة ، والحق أن الاطمئنان المطلق الى هذه الأنساب كمارواها الأقدمون ، يشف عن سذاجة بالغة والتسليم بصحتها اجمالا ، تورط في الخطأ لايرضاه المنهج ←

٢ ـ اسم الأم :

لم يورد القرآن الكريم اسم أمه ولم يشر اليها مطلقا واختلف الاخباريون وكتاب التوراة اختلافا كبيرا في اسم أمه[١] .

← العلمي ، وقد رأينا القدماء أنفسهم يقف موقف الشك من بعض هذه المرويات ، فلايطمئنون مثلا الى ماجاوز عدنان وقحطان من الأنساب .

(١) أ ـ أورد صاحب كتاب البداية والنهاية اسمها اميله نقلا عن اسحق بن بشر الكاهلي في كتابه المبتدأ .
ب ـ أورد الكبي في كتابه الأنساب اسم يونا بنت كرثيا من كوثا من بني ارفخشد .
ج ـ أسماها العقاد ادنا في كتابه ابراهيم أبو الأنبياء .
د ـ أسماها السحار في كتابه محمد رسول الله والذين معه امتالي .
هـ ـ أسماها ابن اياس الحنفي صاحب بدائع الزهور ليوثا .
وقد روى بعضهم أنها مؤمنة ، وروى بعضهم الآخر أنها مشركة ، فقد روى الطبري أن أمه خافت عليه ، وخبأته في الغار ، ولما كبر سأل أمه عن ربه ، فقالت "انا" فقال "من ربك" فقالت "أبوك" قال "ومن رب أبي" قالت "النمروذ" قال "ومن رب النمروذ" فلطمته بالكف ، واسكتته .
و ـ لم يتطرق القرآن الى اسم أمه ولا الى أنها مؤمنة أو كافرة .
ز ـ لم تشر التوراة الى اسم أمه ، ولم تذكرها خيرا أو شرا في حين أنها ذكرت الأب تارح وقالت أنه هاجر مع ولده .
ومن الغريب أن ابراهيم ذكر في التوراة أن سارة أخته لأمه ولم تذكر الأم علما أن الأسرة في اليهودية للأم وليست للأب .

٣ ــ مكان الولادة :

سؤال يطرح أين ولد ابراهيم عليه السلام[١] .

---

(١) أ ـ لم يحدد الطبري مكان ولادة ابراهيم وانما ترك المكان مفتوحا للاجتهاد فقد وضع عدة أماكن دون أن يفضل مكانا معينا .
١ ـ السوس بلدة تقع في الأهواز في المحمرة الغربية
٢ ـ بابل في أرض السواد وهي عاصمة البابليين أقرب الى الكوفة في العراق .
٣ ـ كوثا بلدة في سواد العراق قريبة من بابل في الجنوب .
٤ ـ الوركاء شرقي دجلة في ناحية الزرابي وحدود كسكر مابين العراق وايران .
٥ ـ حران في شمال سورية ونقله أبوه الى أرض بابل .
٦ ـ عرج على التوراة فذكر أنها نصت على أور الكلدانيين في العراق .
ب ـ قال الأستاذ محمد علي الصابوني في مختصر ابن كثير ولد برزة وقد أيده في ذلك الحافظ ابن عساكر في كتابه تاريخ دمشق .
ج ـ يؤكد أصحاب الحديث والسيرة أن أزر كان رجلا من أهل سواد الكوفة وقد أكد ذلك ابن هشام في سيرته .
حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمى قال حدثنا محمد بن اسحق فيماذكر والله أعلم "أن أزر كان رجلا من كوثا قرية بالسواد ، سواد الكوفة ، وكان اذ ذاك ملك المشرق نمرود الخاطيء" .
د ـ يرى الأستاذ السحار أن والد ابراهيم من قرية خارج أور ولم يحددها .
هـ ـ أما ابن خلدون فقد أكد أنه من أور في العراق .
أما أنا فلاأرى هذه الأماكن للأسباب التالية :
١ ـ جميع الذين نقلوا من كتبهم ، انما نقلوها من اليهود ، واليهود لم يسجلوا تاريخهم الا في الأسر البابلي ، ومابعده ، فاعتبروا أنفسهم مثلا لابراهيم ، وماحل ←

٤ ـ تاريخ الولادة :

لم يحدد الطبري سنة معينة لولادة ابراهيم ، وانما حددها في زمن نمروذ بن كنعان(١) .

← بهم من عذاب في الأسر أرادوا أن يطلقوه عليه .
٢ ـ لم نسمع برحلة جماعية أو فردية قامت من العراق الى الشام في أي زمن ، انما كان هناك غزو من العراق الى الشام ، والغزوات معروفة ، والحروب مسجلة .
٣ ـ الهجرات كلها كانت من الجزيرة العربية الى العراق والشام ، وهذه الهجرات هي التي أمدت بلاد الهلال الخصيب بالناس منذ أقدم العصور .
٤ ـ اتبع اليهود الخطة التي رحلوا بها من فلسطين الخطة التي اتبعها ابراهيم الخليل عليه السلام ، فمن سكن في مدينة بابل قال : انه ولد في بابل" ومن سكن في غيرها ذكر اسم بلدته .
٥ ـ ان الكلدانيين لم يكونوا في عهد ابراهيم عليه السلام ، وانما هم الذين سبوا اليهود وبختنصر واحد منهم ، فقد قامت الدولة الكلدانية بعد سقوط نينوى في سنة ٦١٢ ق .م بعد ألف وثلاثمئة عام بعد ابراهيم ، وفي هذا يقول الدكتور أحمد سوسة وكذلك تتحدث التوراة عن أور الكلدانيين في عهد ابراهيم الخليل في القرن التاسع عشر قبل الميلاد في حين أن الكلدانيين لم يظهروا الا بعد سقوط نينوى .
من هنا أميل الى تأييد رأي الأستاذ العقاد في كتابه ابراهيم أبو الأنبياء .
كان وطن ابراهيم عند سيناء وشمال الحجاز ومن هنا ينطلق في رحلته الى الشمال بعد خلافه مع النمروذ ويؤكد هذا أنه لم يرد اسم نمروذ بين حكام العراق .
(١) أ ـ حدد العقاد زمن ولادة ابراهيم الخليل عليه السلام عام ١٨٧٦ ق .م .
ب ـ يقول الشيخ طبارة في كتابه اليهود في القرآن (أن ابراهيم ولد في القرن السابع عشر ق .م . ←

← ج ـ يقول البستاني في دائرة معارفه أنه ولد في القرن السابع عشر ق .م .
د ـ يقول ويل ديورنت في قصة الحضارة ج٢ ص٣٢٤ (يعتقد اليهود أن شعب ابراهيم جاءوا من أور في بلاد سومر واستقروا في فلسطين حوالي ٢٢٠٠ ق .م أي قبل موسى بألف عام تقريبا ويحدد في مكان آخر ص١٨٩ حمرابي ٢١٢٣ - ٢٠٨١ ق .م ويقول : "وتطل علينا من بداية هذا التاريخ شخصية قوية هي شخصية حمورابي الذي دام حكمه ٤٢ سنة الفاتح المشرع ، وتصوره الأختام والنقوش البدائية بعض التصوير" ويعتبر ويل ديورنت والد حمورابي هو من ذكرته التوراة باسم امرافل ، ويسميه امربال ، "والراجح أن امرافل الذي يقول عنه سفر التكوين الاصحاح الرابع عشر أنه ملك شنعار في تلك الأيام ، هو أمر بال والد حمورابي الذي يجلس قبله على عرش بابل" وبهذا تكون ولادة ابراهيم اذا ماأخذنا رأي التوراة في نزوحه الى فلسطين وعمره في الخامسة والستين ، فاننا نقول أن ولادته في بداية القرن الثاني والعشرين ٢١٩٠ ق .م تقريبا .
هـ ـ وتقول التوراة أنه ولد لتاريخ بدء الخليقة ٢٠٩١ بعد هبوط أدم من الجنة ، وهذا رأي غير واضح .
و ـ حدد الأستاذ دروزه دخول الهكسوس الى مصر سنة ١٧٣٠ ق .م فاذا ماكان أبناء يعقوب دخلوا مع الهكسوس فان ولادة ابراهيم تبعد عن دخول الهكسوس حوالي ٢٤٠ سنة وبهذا تكون ولادته حوالي ١٩٧٠ ق .م .
ز ـ يحدد الدكتور سوسة ولادة ابراهيم مابين (١٩٠٠ - ١٨٥٠)ق .م .
ح ـ يحدد مونت عمري غزو الهكسوس في عام ١٨٠٠ ق .م وفي هذا تكون ولادة ابراهيم ٢٠٤٠ ق .م .
ط ـ حدد المسعودي صاحب مروج الذهب الفترة الممتدة بين عهد ابراهيم ، وبين خروج موسى بسبع وستين وخمسمائة سنة ولما كان العلماء قد توصلوا الى تعيين الخروج في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، فعلى هذا يكون ولادة ابراهيم في القرن التاسع عشر ق .م .
أما أنا فأرى من الصعب تحديد سنة الولادة اذا لم نحدد الملك الذي كان في زمن ابراهيم .

٥ ـ من الملك الذي ولد في عصر ابراهيم(٢)؟

لأنه ان ثبت اسم الملك عرفنا بشكل دقيق مكان الولادة وحددنا تاريخها .

---

(٢) ـ أ ـ حددت التوراة أن امرافل ملك شنعار قد قاتل أهل سدوم وعمورة وأن ابراهيم قد هزمه بعد أسر لوط ، ولكن من امرافل هذا ؟ وقد حاولت أن أحصل على معرفة وثيقة بهذا الملك لكنني خرجت منه بخفي حنين .
يقول الدكتور سوسة : كان أول ملوك هذه السلالة الملك سمو ابوم حكم ١٣ سنة من ١٨٩٤ ـ ١٨٨٧ ق .م واتخذ عاصمة له بابل ومن هذه الأسرة حمورابي وهو السادس حكم هذه الدولة مدة ٤٢ سنة مابين ١٧٩٣ ـ ١٧٥٠ ق .م وأعظم ماخلد مجده واطار شهرته شريعته العظيمة . ويقول الدكتور سوسة "ان أحدث التحقيقات الأثرية التي توصل اليها العلماء تشير الى أن ابراهيم الخليل ظهر حوالي القرن التاسع عشر ق .م أي قبل حوالي ٤٠٠٠ سنة وهذا يتفق مع ماذكره بعض العرب في تعيين تاريخ عهد ابراهيم" .
ب ـ يحدد ويل يورنت شخصية حمورابي مابين ٢١٢٣ ـ ٢٠٨١ ق .م ، فاذا مااعتبرنا امرافل حسب رأيه امربعل فانه يكون والد حمورابي ، ويكون الملك الذي في عهده وردسن ريم سن .
ج ـ مونتغمري فقد حدد دخول الهكسوس ١٨٠٠ ق .م فاذا ماأضفنا اليها ٢٤٠ سنة كانت ولادة ابراهيم في القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد ، وهو يقابل في العراق ملك سن موبليت والد حمورابي .
د ـ قال ول فنسنون صاحب تاريخ اللغات السامية : وسادس ملوك هذه الأسرة هو حمورابي (عمرافيل في التوراة) الذي وضع شريعة ثابتة في بابل ضمنها كثيرا من شرائع سومر القديمة وأحكامها . ولكنني أتساءل كيف يستطيع ولفنسون أن يوفق ←

← بين هزيمة حمورابي أمام ابراهيم ؟ وتاريخ حمورابي الذي لم يعرف الهزائم .
هـ ـ أما تعليقات هالي الجيبية : ان امرافل هو حمورابي أشهر ملوك البابليين ، وأن كارثة سدوم وعمورة التي حدثت في عصر ابراهيم ، تقترن بالخراب الذي قضى على سكان المدن هناك حوالي ٢٠٠٠ ق .م ، كماظهر من كشوف بعثة البرايت وكيسلي ١٩٢٤م هذه التعليقات تضع عصر حمورابي ١٩٠٠ق .م ، ويعقوب ١٧٠٠ ق .م ونهاية عصر الهكسوس ١٥٥٠ ق .م ، ولكنني أتساءل كيف وقعت حادثة سدوم في عام ٢٠٠٠ ق .م ؟ وكيف عصر حمورابي ١٩٠٠ق .م ؟ والتوراة تقرن بينهما بل كانت حرب حمورابي قبل خراب المدن المذكورة ، ويضع هالي للحوادث المصرية مقابلا من حوادث التوراة ، عصر ابراهيم يقابل الأسرة الثانية عشرة ، وعصر يوسف يقابل الأسرة السادسة عشرة ١٨٠٠ ق .م ، على سبيل الاحتمال ، وعصر موسى مقابل الاسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة ١٥٠٠ ق .م ، وأتساءل كيف استطاعت تعليقات هالي التوفيق بين عهد التوراة بالتغرب ٤٣٠ سنة ومابين يوسف وموسى ٣٠٠ سنة .
و ـ يقول وليم نيكلسون في الموسوعة الموجزة عن التوراة تحت مادة ابرام :"ان الآثار تحتمل أن امرافل الذي حارب ابراهيم هو حمورابي الذي كان ملكا على بابل ٢٠٠٠ ق .م . والحفريات المسمارية تربط بين اسمه واسم معاصريه أرى كو (اريوك) ملك لاسار ، أما كدرلعومر يشابه قدارلعمار ، بمعنى خادم العمار أحد الأرباب الكبار في شرق الدجلة ، واسمه منقوش على حجر من ألواح حمورابي ، وكان هذا قبل ارتباط اسرائيل ببلاد كنعان بقرون عدة .
ز ـ ويقول العقاد فاسم امرافل قريب حمورابي البابلي ، وتدعال قريب من تدخالد الحثي ، والأسماء الأخرى وجدت لها مشابهات وهو في هذا ينقل عن الموسوعة الموجزة .
ح ـ أما لوثر كلارك فيعلق حمورابي سنة ١٩٠٠ ق .م ، عصر الأباء العبريين في كنعان بين ١٩٠٠ ـ ١٧٠٠ ، وعصر يعقوب وأبنائه ١٧٠٠ ق .م ، ونهاية عصر الهكسوس حوالي ١٥٥٠ ق .م .
ويرجح كلارك اعتمادا على الآراء الحديثة ،أن عصر حمورابي يتخلف عن ←

عصر الوقائع المنسوبة الى امرافل بمائة سنة ، وأن امرافل وحمورابي لايدلان على شخصية واحدة ، وأن الغور العميق الذي تملأه أمواه البحر الميت أقدم جدا ، من الوقت الذي قدر لخراب المدن المذكورة في قصة ابراهيم ، ويعتمد كلارك على الظواهر الأرضية كثيرا ، فيرى أن العيون الحمر التي أشار اليها الاصحاح الرابع عشر من سفر التكوين هي في الغالب من النفط الذي يتكاثف بالتبخر ، ويطفو على وجه الماء كما كانوا يجدون على سطح البحر الميت ، ولامانع أن يشاهد على وجه الأرض قبل امتلاء الغور بالماء ، ويرتبط خراب المدن التي وردت قصتها في قصة ابراهيم بهذه الظواهر الأرضية التي يمكن أن تستقصى في يوم قريب ، فينبني على استقصائها تحقيق محكم التاريخ لتلك الأحداث .

ط ـ ويضع الأطلس التاريخي عصر ابراهيم بين ٢٠٠٠ ـ ١٧٠٠ ق .م ، ووضع عصر حمورابي في نهاية هذه الفترة .

ي ـ وتوافق موسوعة وستمينستر المراجع الحديثة في تقريب زمان الأباء وتقرر أن وحدة اسم حمورابي ، واسم امرافل محل مناقشة ، واعتراض في المباحث الأخيرة ، وأن الحاق ايل باسم امار مشكلة تستوقف أنظار الباحثين .

يا ـ ويقول العقاد اختلف المؤرخون في عصر حمورابي مابين ٢١٣٠ ـ ١٨٣٠ أما الكشوف الحديثة ١٧٩٢ ـ ١٧٤٩ .

يب ـ ويرى كتاب الموسوعة مولد ابراهيم ١٩٩٦ قبل الميلاد ، وهذا مارتآه الأسقف بوشر أما تدمير سدوم وعموره ١٨٩٨ ق .م .

وتقول الموسوعة أن اسم امرافيل أحد الملوك الذين حار بهم ابراهيم ، يصعب تعيين صاحبه كمايصعب تعيين زملائه الآخرين ، ولكن هذه الأسماء جميعها لايبدو عليها أنها اختراع من الخيال ، اذ ليست غارة البابليين على فلسطين ، وماجاورها أمرا نادرا في تلك الأيام .

يج ـ أضاف دي لابورت في كتابه بلاد مابين النهرين أن الأب كوغلر قد أثبت بما لايقبل الجدل ، أن السنة الأولى لحكم الملك اميزادوغا لايمكنها أن تخرج عن ١٨٥٨ أو ١٩٧٧ على أبعد تقدير بفارق لايتعدى ١١٩ سنة وعليه يتحتم أن يكون بدء عهد الأسرة البابلية الأولى أما سنة ٢١٠٦ أو سنة ٢٢٢٥ ق .م . ولفترة محدودة ←

من الزمن انحاز علماء الآشوريات الى الفرض الثاني ، وهو الذي اعتمدناه في دراستنا نحن أما في الوقت الحاضر ، فلدى هؤلاء العلماء نزعة بارزة الى الأخذ بالفرض الأول ، ولكنها نزعة لايقوم على صحتها دليل ، وكل ميزتها أنها تختصر في مجال التاريخ النسبي مدى تولي الأسرة المالكة الثانية مقاليد الحكم ، ويتابع دي لابورت فيقول سنة ٢٠٩٥ هي السنة التاسعة والعشرون من حكم حمورابي ملك بابل ، وسنة ٢٠٨٣ كتب شرعته وذلك بعد حكم دام ٤٠ ـ ٤٣ سنة .

يد ـ ولم يعلق الدكتور جودة السحار على الأسماء وانما أوردها كماهي في التوراة .

يه .. والذي أستطيع قوله بعد أن أطلعت على أسماء الملوك في الدواوين البابلية أن اسم امرابل لم يمر ذكره أما كلمة بعل . فقد وردت في فلسطين /كنعان/ /بعل زبولون/ ، والفينيقيين هاني بعل ، وربما كان الملك من أرض كنعان أو من الساحل الفينيقي ، والتسمية ليست بابلية ومن هذا كله أستطيع الاستنتاج بكل هدوء أن ابراهيم لم يولد في عهد حمورابي ، ولا والده رغم الخلافات الكثيرة ، وأن امرافيل ليس ملكا عراقيا كما تزعم التوراة ، وكتابها وانما الاسم اختلاق من خيال اليهود في أسرهم لأنهم كتبوا التوراة في عهد السبي .

أما تعليل الموسوعة لغارات البابليين على أرض كنعان ، ربما كان ذلك لكن ليس في عهد حمورابي ، وحمورابي متأخر عن ابراهيم .

وعلى هذا لم أستطع تحديد الملك العراقي الذي سموه بالنمروذ ، وسأورد جدولا لحكام الدولة البابلية حسب رأي المؤرخ دي لابورت .

وسنفتش عن النمروذ في مكان آخر غير العراق لعلنا نهتدي اليه ، وحتى الآن لاتفيدنا الآثار ، ولا التنقيبات عن هذا الاسم . وحتى نحصل على الآثار التي تدلنا على ذلك تبقى كتابتنا ضربا من التخمين ، وظنا من الظنون دون أن نصل الى الحقيقة بشكل حاسم والله الموفق .

رسم مصور

الأماكن التي عزي لها ولادة ابراهيم عليه السلام .

١ ـ الوركاء
٢ ـ السوس
٣ ـ اور
٤ ـ كوش
٥ ـ بابل
٦ ـ برزة
٧ ـ شمال الحجاز
٨ ـ حران

حكام أور وبابل

نقلا عن كتاب المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام الدكتور جواد علي

أ ــ الأسرة الملكية الثالثة :

أورانغو ٢٤٧٤ ـ ٢٤٥٦ ق .م

دونجي ٢٤٥٦ ـ ٢٤٠٤ ق .م

بورسن بن دونجي ٢٣٩٨ ـ ٢٣٩٠ ق .م ويبدو انقطاع ست سنوات لاندري من كان ملكا في هذه الفترة .

جميل سن بن بورسن ٢٣٨٩ ـ ٢٣٨١

ايبي سن بن جميل ٢٣٨٠ ـ ٢٣٥٨

اشبي ايرا ٢٣٥٧ ـ ٢٣٢٦

سبار ٢٣٢٥ ـ ٢٢٩٥

اشيم داغان ٢٢٩٤ ـ ٢٢٧٥

ليبست عشتار ٢٢٧٤ - ٢٢٦٤

أور اينورنا ٢٢٦٣ - ٢٢٣٦

غونغولم ٢٢٦٤ - ٢٢٣٨

حيث قام اور اينورنا خامس ملوك لارسا بانقلابه على اوربن غونغولم وزاد ملك بابل .

اور بن غونغولم ٢٢٣٨ - ٢٢٣٧ وانتهى حكم هذه الأسرة .

اب يسارين ٢٢٣٥ - ٢٢٢٧

سوسر ايلوم ٢٢٢٦ - ٢١٩٨

سوين لاايلوم ٢٢١١ - ٢١٧٦

والذي أعتقده أخطأ في النقل اذ لايمكن أن يحكم ملكان في وقت واحد .

زابيوم ٢١٧٥ - ٢١٦٢

وردسن وريم سن ٢١٦١ - ٢٠٩٥

وهزم وردسن أمام حمورابي في عام ٢١٣١ واستلم مقاليد الحكم في بابل والده سن موبليت .

سن موبليت ٢١٣١ - ٢١٢٤ الأسرة الثانية .

حمورابي ٢١٢٤ - ٢٠٨١ وفي هذه الفترة أنهى حمورابي حكم اور وملوكها نهائيا .

سمس ايلونا ٢٠٨٠ - ٢٠٤٢

اينوشو بن سمس ٢٠٤٢ - ٢٠١٥

اميد يتانا ٢٠١٥ - ١٩٧٨

اميز ادوغا ١٩٧٧ - ١٩٥٧

سمسو دينانا ١٩٥٦ - ١٩٢٦

واجتاح الحثيون بلاد مابين النهرين واستولوا على مدينة بابل وأنهوا عهد السلالة البابلية الثانية ١٩٢٥ .

ملوك بلاد البحر ١٩٢٥ - ١٧٦٢

وقامت السلالة الثالثة .

غنداسن ١٧٦١ - ١٧٤٦

اغوم الأول ١٧٤٥ - ١٧٢٤

كشتيلياش الأول ١٧٢٣ - ١٧٠٢

وحكم ملوك ثمانية مجهولوا الأسماء حتى كشف عنهم تل العمارقة بالاضافة .

١ ـ أوشتي :

بيرتاش - تشيغورماش واغوم ولم تؤرخ سنو حكم هؤلاء .

كرائنداش الأول ١٤٢٥ وعقد اتفاقا مع اشور .

كاد شمان انليل واستولى الحثيون على البلاد .

اوبليت واستولى الاشوريون على بابل .

كوريف لنز والثالث ١٣٥٧ ـ ١٣٣٥

نازي ماردتاش ١٣٣٤ ـ ١٣٠٩ وهو بن كوريفلزو

كادشمان ترغو ١٤٠٨ ـ ١٢٩٢

كادشمان ايليل ١٢٩١ ـ ١٢٨٦

كودور ايليل ١٢٨٥ ـ ١٢٧٧

شاغار كالي ١٢٧٦ ـ ١٢٦٤

كشتلياش ١٢٦٣ ـ ١٢٥٦

توكلتي انورنا ١٢٥٥ ـ ١٢٤٨ ملك اشور

ايليل نادين شوم ولد شمان هربين الثاني ١٢٤٧

ويقوم الصراع بين ملوك عيلام والاشوريين حتى ١٢١٦ حيث يستولي ميليشاك الثاني ١٢١٦ ـ ١٢٠٢

مردوك بعل ادين ١٢٠١ ـ ١١٨٩

ايليل نادين ١١٨٧ ـ ١١٨٥

زباب اشوم ادين ١١٨٩ ـ ١١٨٧ قتل على يدي شوترك . ولم تأت الجداول الملكية على ذكره وربما أعدم من استلم ايليل نادين . وتربعت ملوك سلالة باشية على عرش بابل وهي السلالة الرابعة لمدة ١٣٢ سنة ونصف السنة .

٦ ــ قصة ابراهيم عليه السلام[١] :

ولد ابراهيم[٢] في زمن ملك يقال له النمروذ[٣] ، وقصة ولادته أشبه

---

(١) القصة مستقاة من تاريخ الطبري .

(٢) لم أحدد مكان الولادة لأنني ناقشت هذا طويلا .

(٣) النمروذ ملك من الملوك الذين وضعوا بالجور فمن هو ؟

طرحنا في فقرة سابقة من الملك الذي ولد في عهده ابراهيم الخليل ، وبعد أن بحثنا في تاريخ حكام العراق ، ولم نجد مايوافق النمروذ التفت لأتساءل من النمروذ هذا ؟

أ ـ التوراة :

تقول : وبنوحام كوش ومصرايم وقوط وكنعان . . .

وكوش ولد النمروذ الذي ابتدأ يكون جبارا في الأرض الذي كان جبار صيد أمام الرب ، ولذلك يقال كنمروذ جبار صيد أمام الرب ، وكان ابتداء مملكته بابل وايرك وأكد وكلته في أرض شنعار ، والسؤال الذي يطرح كيف وصل بنوحام الى العراق ؟ وهذا ماينقضه التاريخ والرحلات الى العراق من الجزيرة العربية رحلات سامية جميعها .

فكيف يكون النمروذ بن كوش بن حام حاكما في العراق ، وقد رأينا الرد في الجداول الملكية السابقة على هذا الرأي .

وكذلك ورد في بعض الكتب النمروذ بن كوش بن كنعان ، وكنعان كمانعلم هو الذي حلت قبائله في الجنوب من بلاد الشام .

سار الاخباريون برأي التوراة دون أن يحيدوا عنها قيدا نملة مع ملاحظة مايلي :

١ ـ أن اليهود حينما سباهم بختنصر الى بابل رأوا في بختنصر أنه النمروذ ، ورأوا صرح بابل المبني ، فقالوا أنه الصرح الذي بناه النمروذ من أجل أن يصل الى اله ابراهيم .

← ٢ ـ نسبوا النمروذ الى كنعان ، وكنعان بعيدة عن العراق لأنهم كانوا يرون في الكنعانيين العدو التقليدي لهم .

ب ـ يقول الطبري في تعريف النمروذ :

١ ـ النمروذ بن كنعان بن كوش بن حام .

٢ ـ النمروذ بن ارغوا .

٣ ـ النمروذ بن كوش بن حام .

٤ زردي بن طهمه سلفان وهو الضحاك أخو بيو راسب

٥ ـ الهاس وقد أحاط ملكه بمشارق الأرض ومغاربها وكان ببابل

٦ ـ النمروذ هو الضحاك

وأمام هذا الخلط الهائل لانستطيع معرفة الملك في زمن ابراهيم .

ج ـ ويقول ابن خلدون في كتابه التاريخ نقلا عن كتاب البدء ص٦٨ ج٢ : "وكانت البلبلة المشهورة ، وقد وقع ذكرها في التوراة ، ولاأدري معناها ، والقول أن الناس جميعا كانوا على لغة واحدة ، فباتوا عليها ، ثم أصبحوا ، وافترقت لغاتهم قول بعيد في العادة أن يكون من خوارق الأنبياء ، فهو معجزة حين اذن ، ولم ينقلوا ذلك" .

يشير ابن خلدون الى بناء الصرح أيضا ، حسب رأي التوراة أيام النمروذ بن كنعان وسقوطه ، وفيها تبلبلت الألسن ، ويقول "فلما مات فالغ ظهرت بدعة الصائبة ، وانتحلها بعده ابنه كنعان ويلقب بالنمروذ ، وملك بعده كوش وهو نمروذ ابراهيم ، وهو الذي قدم أباه ازر ، فاصطفاه هاجر على بيت الأصنام ، لأن ارغو بن فالغ لما هلك أبوه فالغ كان على دين التوحيد الذي دعا اليه أبوه عابر ، ثم رجع ارغو الى كوثار ، ودخل مع النمارزه في دين الصائبة ، وتوارثها بنوه الى ازر بن ناحور ، فاصطفاه هاجر بن كوش . وحاول ابن خلدون أن يوفق بين رأي التوراة والتاريخ ، فجعل ملوك بابل كلهم يسمعون نمارزة كالأكاسرة والفراعنة والقياصرة .

ولكنه أبعد المرمى اذ لم يثبت تاريخيا هذه التسمية ولم يقلها أحد ويرى ابن خلدون نسب النمروذ على النحو التالي :

كوش بن كنعان بن فالع ـ ابراهيم بن ازر بن ناحور بن ارغو بن فالغ .

والنمارزة هنا أقرب للصحة مماأوردته التوراة من ناحية الزمن . نسب النمروذ ←

← في التوراة فهو على النحو التالي : نمروذ بن كوش بن حام - ابراهيم بن ازر بن ناحور بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن ارفخشد بن سام .
وسام وحام أخوة وقد أبعدوا المرمى ، ولايمكن لانسان ما أن يعيش كل هذه الأجيال المتلاحقة . ولعل مدوني التوراة قد شعروا بذلك فأمدوا عمر النمروذ ، وصار كعمر نوح ، تابعهم في ذلك الاخباريون العرب . وينقد ابن خلدون وهو كما عهدنا حريص على توخي الحقيقة ، فيقول في أكثر من مكان لافائدة من نقلها لقلة الوثوق بالأصول التي بين أيدينا .
ونسب المسعودي نمروذ الجبار الى ماش بن ارم بن حام وذكر بناء الصرح ، واحتفر نهر الكوفة ونسبه في موضع آخر الى كوش بن حام ، لاأدري هو أم غيره ثم عد ملوكهم بعد النمروذ ستة وأربعين ملكا ، ولم يذكر منهم نمروذ الخليل عليه السلام ، وذكر أن مدينتهم بابل وأن الذي اختطها اسمه نيزو اسم امرأته شمر أم الملوك السريانية . اسمان أعجميان لاوثوق لنا بضبطهما ويرى ابن خلدون أن النمروذ المذكور أحد ثلاثة :
١ - نمروذ بن فالغ فهو عم لناحور بن ارغو بن فالغ .
٢ - نمروذ بن كوش بن حام .
٣ - هاجر ابن كوش بن نمروذ بن فالغ بن عابر . وهو نمروذ ابراهيم كما يقرره ابن خلدون . غير أن ابن خلدون أخطأ من جديد حيث جعله أبا لبختنصر ، لأن المسافة بينه وبين بختنصر أكثر من ألف وثلاثة مائة عام . ويقول المسعودي في مروج الذهب ، اختص بنصر بن حام أيام النمروذ بن أخيه كنعان بولاية مصر واستبد بها ، وأوصى بها لأبنه مصر ، فاستفحل ملكه مابين أسوان واليمن والعريش وايليا وقرسيه ، فسميت كلها أرض مصر ، وفي أيام فبط بن مصر زحف شداد بن عاد بن شداد بن عاد الى مصر ، وغلب على أسافلها .
د - ويصر كافة المفسرين على أن الملك الذي اختلف معه ابراهيم اسمه نمرود ، أو لقبه ، ولكنهم ، اختلفوا في الاسم اختلافا كبيرا فمنهم من سماه نمروذ ، ومنهم من لقبه به ، وسماه اسما آخر ، ومنهم من نسبه الى بابل ، ومنهم من عاد به الى حام ، ولم يثبت لنا التاريخ أن بني حام في يوم ما من تاريخ ماقبل الميلاد أنهم استولوا ←

بقصة موسى وعيسى فقد تكهن الكهان للنمروذ بولادة مولود جديد ، يغير عقيدة الملك رأسا على عقب ، ولهذا حاول النمروذ قتل أي مولود يولد جديدا من الناس ، والفارق بين قصة موسى أن القتل كان خاصا لبني اسرائيل ، أما ماورواه الطبري فقد كان خاصا بمدينة الملك نمروذ[1]

← على العراق .
هـ ـ أما ابن العبري فقد قال أن الصرخ بناه نمروذ بن كوش ، وهو أول ملك قام بأرض بابل ، وهو أول من وضع اكليلا على رأسه عهد ارغو .
و ـ أما القرآن فلم يحدد اسم الملك الذي ناقشه ابراهيم /ع/ ، ولم يذكر بناء الصرح بل ذكر بناء الصرح لفرعون (وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب ، أسباب السموات فأطلع الى اله موسى واني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وماكيد فرعون الا في تباب) . غافر ٣٦ ـ ٣٧ وقد أكد القرآن بناء الصرح في مكان آخر لفرعون لالنمروذ (وقال فرعون ياأيها الملأ ماعلمت لكم من اله غيري فأوقد لي ياهامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى واني لأظنه من الكاذبين) قصص٣٨ .

(١) اسطورة صاغها الطبري ليشوق الناس الى قراءة كتبه ، فهو اخباري ، ومن صفات الأخباريين زيادة القصص واختلاق الأساطير ، وقصة ابراهيم أشبه بقصة موسى الا أن موسى رمته أمه في اليم بينما خبأت أم ابراهيم ولدها في الغار ، حتى شب ، وكبر ، وبلغ سن التمييز ، فأتت به أمه الى المدينة التي تقطنها ، ولن نشير الى أي مدينة .
أما قصة موسى ، فقد رجع الى أمه بعد أن أخذه فرعون وزوجه ، وأعادوا موسى الى أمه ليتم رضاعته فتربى في حضن أمه ، وهكذا التقت القصتان في الخوف من المولود الجديد غير أن قصة ابراهيم لم يثبتها القرآن الكريم وأثبت قصة موسى .
وهكذا نرى اسقاط اليهود تاريخهم على حياة ابراهيم ، فالصرح الذي بناه فرعون قالوا عنه أنه الصرح الذي بناه النمروذ ، وبالغوا في وصف الصرح اذ وصفوا صرح بابل ، وهو احدى الأعاجيب السبعة في العالم . ←

وكان أبوه سادنا للأصنام ، ويلقبه الأستاذ السحار بهاجر ، وكان كل سادن يسمى هاجراً[1] .

ولما بلغ ابراهيم سن التمييز ، سأل أمه من ربه ، فقالت "أنا" قال "ومن ربك" قالت "أبوك" قال ومن رب أبي ؟" قالت "النمروذ" قال ومن رب النمروذ ، فأسكتته .

ولما حل عيد الاله امتنع ابراهيم من حضور العيد[2] ، ومن الذهاب الى الفرح بحجة المرض ، فقال اني سقيم[3] ثم كسر الأصنام جميعا الا كبيرا

قال أبو محمد بن حزم "وأما قول ابراهيم اذ رأى الشمس والقمر هذا ربي فقال قوم ان ابراهيم قال ذلك محققا أول خروجه من الغار وهذا خرافة موضوعة مكذوبة ظاهرة الافتعال ومن المحال الممتنع أن يبلغ أحد حد التمييز والتكليف بمثل هذا ، وهو لم يرقط شمسا ، ولاقمرا ، ولاكوكبا ، وقد أكذب الله هذا الظن الكاذب بقوله الصادق "ولقد أتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين" عصمه الأنبياء ص٣٠ .

(١) واسم هاجر الزوج الثانية لابراهيم ، لم تكن الا رمزا لمن يعبد الأصنام ، فقد كان أزر هاجراً سادنا للأصنام ، ولهذا رأوا أن يسقطوا ذلك على غيرهم ، ومن ثم دعوا الناس الذين يحيطون بهم من أبناء اسماعيل ، فسموهم الهاجرين وظلت رمزا لعبادة الأصنام .

(٢) قال الله تعالى "ولقد أتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا عالمين اذا قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ، قالوا وجدنا أباءنا لها عابدين" . وقد كررت أيات كثيرة وفي مواقع متفرقة مناقشة ابراهيم لقومه في عبادة الأصنام . انظر الأنبياء والعنكبوت والأنعام ومريم والشعراء والصافات .

(٣) انظر الصافات .

(وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون ؟ ائفكا الهة دون الله تريدون فماظنكم برب العالمين . فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين) . ويقول مفسروا التوراة ومن لف لفهم أن ابراهيم ←

لهم ، وبدأت المحاكمة[٤] اقتيد ابراهيم الى التحقيق لأن الناس سمعوا ابراهيم

← لم يكذب سوى ثلاث كذبات احداها اني سقيم وحاولوا أن ينسبوا الى الرسول /ص/ حديثا من هذا القبيل وسنناقشه في وقته ؟ ويعجبني في هذا المجال الامام الكبير فخر الدين الرازي رضي الله عنه في كتابه عصمة الأنبياء ، حيث يناقش كلمة اني سقيم نقاشا واسعا الخصة .

وقوله (اني سقيم) أي لست على يقين من الأمر وهو ليس مريضا جسميا فهو شاك في الأصنام يفتش عن معبدوه في هدوء ، ولاترضيه هذه الحجارة ، ولاتطمئنه ، ولايمكن أن يعبدها هذا الايمان بربه دفعه الى اختبار الأصنام .

(٤) كسر الأصنام ، ولو كانت تصر ، أو تنفع ، لدافعت عن نفسها ، ولكنها بدت عاجزة حتى عن حماية أنفسها ، وفي هذا يحضرني قول أحد الشعراء الذين كانوا في الجاهلية حينما رأى صنمه المعبود يبول عليه الثعلب عدة مرات : أرب يبول الثعلبان برأسه لقد هان من بالت عليه الثعالب ، ثم كسر صنمه وسار .

هذا مافعله ابراهيم "فراغ من الهتهم فقال ألاتأكلون مالكم لاتنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين فأقبلوا اليه يزفون" الصافات ٩١ - ٩٣ .

ويؤكد القرآن هذه الظاهرة مرة أخرى في سورة الأنبياء "وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم يرجعون قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه اذنا لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا آأنت فعلت هذا بآلهتنا ياابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسلوهم ان كانوا ينطقون" .

وأعود من جديد الى كتاب عصمة الأنبياء لأن من سار خلف التوراة يؤكد كذب ابراهيم في هذه المرة ولأرى ذاك . ويؤكد الرازي وتمسكوا بقول الله تعالى مخبرا عن ابراهيم لما قال قومه "آأنت فعلت هذا بآلهتنا ياابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا" ونما عني بالكبير الصنم وهذا كذب لأن ابراهيم عليه السلام هو الذي كسر الأصنام فاضافة كسرها الى غيره لايكون الا كذبا .

الجواب من وجوه الأول أنه كناية عن غير مذكور أية فعلة من فعله (وكبيرهم ←

يقول : تالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين ، وأتوا به الى النمروذ ، ليحاكمه علنة أمام أسماع الشعب وأعينه ، وجرى التحقيق بمايقتضيه القول ظاهريا .

س : أأنت فعلت هذا بآلهتنا ياابراهيم ؟

ج : بل فعله كبيرهم هذا واسألوهم ان كانوا ينطقون .

س : لقد علمت ماهؤلاء ينطقون ؟

ج : أفتعبدون من دون الله مالاينفعكم ولايضركم .

س : مايصنع الهك ؟

ج : ربي يحي ويميت .

قال النمروذ :أنا أعفو عن أي شخص حكم بالاعدام ، فأكون أحييته ، وأقتل أي انسان أريد ، فأنا اذن اله .

← هذا ابتداء كلام وردني عن الكسائي أنه كان يقف عند قوله تعالى بل فعله ثم يبتدىء كبيرهم هذا .
الثاني : أنه يجوز أن يكون فيه وقف عند قوله تعالى "كبيرهم هذا فاسألوهم" والمعنى بل فعله كبيرهم وعنى نفسه لأن الانسان أكبر من كل صنم .
وقرأ بعضهم "بل فعله كبيرهم أي فلعله وعلى هذا لايكون كذبا لدخول حرف الشك" ص٣٨ .
"فرجعوا الى أنفسهم فقالوا أنكم أنتم الظالمون ، ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ماهؤلاء ينطقون . قال أفتعبدون من دون الله ملاينفعكم شيئا ولايضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلاتعقلون ، قالوا احرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين ، قلنا يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين .

ج : ربي يأتي بالشمس من المشرق ، فات بها من المغرب .

لم يستطع النمروذ جوابا . حار القوم ، آلهتهم كسرت ، حججهم فندت على مسمع الناس وبصرهم ، فصعروا بخدهم ، وصاحوا لابد من العقوبة ، لقد علموا أنه على حق ولكن الحقيقة مرة ، ولايتبعها الا القليل ، تعودوا على عبادة الأصنام ، فكيف يتركونها ، انهم يعلمون أنها لاتضر ، ولاتنفع ، لم تحم نفسها ، ولكنهم هكذا تعلموا لابد من جزاء ، لابد من جزاء ، وتعالت صيحات الجهل تريدكم الافواه ، والشمس الساطعة ، واطفاء نورها ، ومكان الحكم بتصفية الجسد . وتأتي النتيجة غير المنطقية ، ويصدر الحكم بحرق ابراهيم في النار انتقاما لآلهتهم المنصرعة المتكسرة . "وقالوا احرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين" . حكم جائر ونتيجة غير منطقية وهنا يتدخل الايمان ويتدخل الله ليحمي داعية كما حمى الرسل من قبل ."قلنا يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين[١] .

(١) قال شراح التوراة نجا ابراهيم من نار الكلدانيين ، والكلدانيون لم يكونوا في زمن ابراهيم عليه السلام .

ويقول العقاد "يقول بعض الشراح أن القصة لم تكن معروفة قبل يوناثان بن عزيل الذي كان يجهل البابلية فالتبس عليه معنى اور لأنها بالكلدانية معناها النار وبالعبرية يعني النور ، وظن أن نجاة ابراهيم من اور الكلدانيين يعني نجاته من نار الكلدانيين ، وزعم شابيرا أن القصة من وضع كعب الاحبار ، ولاتعويل على قول شابيرا هذا ، لأنه زور بعض الوثائق على المتحف البريطاني ، وانكشف تزويره فبخع نفسه في روتردام ١٨٨٤ .

ومن المعلوم أن ترجوم يوناثان كان المعتمد الأكبر على شروح الربانيين ، ولم تكن نقلا مباشرا من نصوص التوراة ص٦٧ .

لم ترد القصة في التوراة ، وانما ورد أنه هاجر مع والده وزوجه دون أن يشير الى الأسباب التي دفعته لذلك . غير أن التوراة أوردت في سفر دانيال قصة شبيه بقصة ابراهيم ، المكان بابل الحاكم بختنصر والصرح موجود . هذه القصة سأنقلها ←

← كماوردت عند دانيال .
سفر دانيال الاصحاح الثالث كله .
نبوخذنصر الملك صنع تمثالا من ذهب طوله ستون ذراعا وعرضه ست أزرع ونصبه في بقعة دورا في ولاية بابل ثم أرسل نبوخذنصر الملك لجميع الرازبه والشحن والولاة والقضاة والخزنة والفقهاء والمفتين وكل حكام الولايات ليأتوا لتدشين التمثال الذي نصبه الملك . . ووقفوا أمام التمثال الذي نصبه نبوخذنصر ونادى مناد بشدة قد أمرتم أيها لشعوب والأمم والألسنة عندما تسمعون صوت القرن والناي والعود والرباب والنسطير والمزمار وكلأنواع العزف أن تخروا وتسجدوا لتمثال الذهب الذي نصبه نبوخذنصر الملك ومن لايخر ويسجد وفي تلك الساعة يلقى في وسط اتون النار متقدة لأجل ذلك ولقما سمع كل الشعوب صوت القرن خر كل الشعوب والأمم والألسنة وسجدوا لتمثال الذهب الذي نصبه نبوخذنصر الملك لأجل ذلك تقدم حينئذ رجال كلدانيون واشتكوا على اليهود . أجابوا وقالوا للملك نبوخذنصر أيها الملك عش الى الأبد أنت أيها الملك قد أصدرت أمرا لأن كل انسان يسمع صوت القرن . . وكل أنواع العزف يخر ويسجد لتمثال الذهب ومن لايخر ويسجد فانه يلقى في وسط اتون نار متقدة . يوجد رجال يهود الذي وكلتهم على أعمال ولاية بابل شدرخ ميشخ وعبدنغو هؤلاء الرجال لم يجعلوا لك أيها الملك اعتبارا لالهتك لايعبدون ولتمثال الذهب الذي نصبت لايسجدون ، حين اذن أمر نبوخذنصر بغضب وغيض باحضار شدرخ وميشخ وعبدنغو فأتوا بهؤلاء الرجال قدام الملك فأجاب نبوخذنصر وقال لهم تعمدا ياشدرخ وميشخ وعبدنغو لاتعبدون الهتي ولاتسجدون لتمثال الذهب الذي نصبت فان كنتم الآن مستعدين عندما تسمعون صوت القرن . . وكل أنواع العزف الى أن تخروا وتسجدوا للتمثال الذي عملته وان لم تسجدوا ففي تلك الساعة تلقون في وسط اتون نار متقدة ومن هو الاله الذي ينقذكم من يدي فأجاب شدرخ وميشخ وعبدنغو وقالوا للملك يانبوخذنصر لايلزمنا أن نجيبك عن هذا الأمر هو ذا يوجد الأهنا الذي نعبده يستطيع أن ينجينا من اتون النار المتقدة وأن ينقذنا من يدك أيها الملك والا فليكن معلوما لك أيها الملك أننا لانعبد الهتك ولانسجد لتمثال الذهب الذي نصبته . حين اذن امتلأ نبوخذنصر غيضا ←

← وتغير منظر وجهه على شدرخ وميشخ وعبدنغو فأجاب وأمر أن يحموا الاتون سبعة أضعاف أكثر مما كان معتادا أن يحمى وأمر جبايرة القوة في جيشه بأن يوثقوا شدرخ وميشخ وعبدنغو ويلقوهم في اتون النار المتقدة . ثم أوثق هؤلاء الرجال في سراويلهم وأقمصتهم وأرديتهم ولباسهم والقوا في وسط أتون النار المتقدة ومن حيث أن كلمة الملك شديدة والاتون قد حمي جدا قتل لهيب النار الرجال الذين رفعوا شدرخ وميشخ وعبدنغو وهؤلاء الثلاثة الرجال شدرخ وميشخ وعبنغو سقطوا موثقين في وسط اتون النار المتقدة حين اذن تحير نبوخذنصر الملك وقام مسرعا فاجاب وقال لمشيريه ألم نلق ثلاثة رجال موثقين في وسط النار فأجابوا وقالوا للملك صحيح أيها الملك وقال ها أنا ناظر أربعة رجال محلولين يتمشون في وسط النار ومابهم ضرر ومنظر الرابع شبيه بابن الاله ثم اقترب نبوخذنصر الى باب اتون النار المتقدة وأجاب فقال ياشدرخ وميشخ وعبدنغو ياعبيد الله العلي اخرجوا وتعالوا فخرج شدرخ وميشخ وعبدنغو من وسط النار فاجتمعت المرازبه والشحن والولاة ومشيرو الملك ورأوا هؤلاء الرجال الذين لم تكن للنار قوة على أجسامهم وشعرة من رؤسهم لم تحترق وسراويلهم لم تتغير ورائحة النار لم تأتي عليهم فأجاب نبوخذنصر وقال تبارك اله شدرخوميشخ وعبدنغو الذي أرسل ملائكته وأنقذ عبيده الذين اتكلوا عليه وغيروا كلمة الملك وأسلموا أجسادهم لكيلا يعبدوا أو يسجدوا لاله غير الههم فمني قد صدر أمر بأن كل شعب وأمة ولسان يتكلمون بالسوء على اله شدرخ وميشخ وعبدنغو فانهم يصيرون اربا اربا وتجعل بيوتهم مزبلة اذ ليس اله آخر يستطيع أن ينجي هكذا حين اذن أقدم الملك شدرخ وميشخ وعبدنغو في ولاية بابل .

ويقول العقاد : ان قصة نجاة ابراهيم من النار قصة حقيقية لاشك فيها لورودها في القرآن الكريم وعلى هذا لازالت الكنيسة السريانية لاتعتبر القصة ناشئة من غلط في الترجمة وتقيم لنجاة الخليل من النار حفلا سنويا في الخامس والعشرين من شهر كانون الثاني . ابراهيم أبو الأنبياء ص٨٦ .

بعد نقاش نجاة ابراهيم من النار التي حاول النمروذ أن يلقيه فيها أقول أن اليهود حذفوا القصة عن ابراهيم ووردوها عن شدرخ وميشخ وعبدنغو . لكن القصة تختلف عن قصة ابراهيم بمايلي : ←

ونجا ابراهيم من النار[1] وحينما خاصمهم من جديد لشأن الهتهم فماكان منهم الا أن أمروه بالهجرة من هذه الديار .

ومن هنا بدت هجرة ابراهيم الخليل ضرورية . لكن لابد لي من مناقشة أمر قبل أن أنتقل الى الهجرة . ترى أين كان السؤال عن الكواكب ورفض ابراهيم لها ؟ هل هي في مدينة النمروذ ؟ هل كان النمروذ من عبدة النجوم أم من عبدة الأصنام ؟ .

الذي ورد في القرآن الكريم أنه كان من عبادة الأصنام ، ورغم ذلك فقد ناقش ابراهيم في نفسه أمر الكواكب قبل تحطيم الأصنام أما الطبري ، فقد سار لاهثا ، فقال أنه ناقش قضية الكواكب في حران ، ومرة أخرى بعد خروجه من الغار .

("واذ قال ابراهيم لأبيه ازر أتتخذ أصناما آلهة اني أراك وقومك في ضلال مبين وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لاأحب الأفلين فلما

← ١ـ ابراهيم رسول لايمت الى اليهودية بصلة ، بينما الرجال الثلاثة من اليهود .
٢ـ النمروذ لم يؤمن بينما آمن بختنصر حسب ادعاء سفر دانيال .
٣ـ أتي في القصة شخص رابع شبيه بابن الاله ولاأدري هل بختنصر سمع بأنباء الاله وهذه الكلمة يونانية وليست بابلية أو سامية .
٤ـ أكرم الثلاثة ولم يكرم ابراهيم الخليل .
٥ـ هجر ابراهيم ولم يهجر الآخرون .
وتبقى القصة اسقاطا للتارخ على نفسية اليهود .

(١) أفاض الاخباريون في وصف النار التي ألقي فيها ابراهيم الخليل عليه السلام ، واطنبوا فيها ولاحاجة لذكر ذلك ، ويرى ابن العبري أن النار كانت في قرية قرب دمشق ، وقد وصل حرها الى دمشق ، وهذا غيض من فيض .

رأى القمر بارغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم اني بريء مماتشركون" . وخبط الطبري خبط عشواء فأبعد المرمى ولم يصب السهم .(٢)

وارجأ الاخباريون مناقشة الكواكب الى حران ، ولعل دين أهل حران عبادة النجوم أيام أسر اليهود في بابل ، فنقلوها الى أيام ابراهيم عليه السلام . فالهجرة كمايقول الله سبحانه وتعالى كانت بناء على طلب قوم ابراهيم .

---

(٢) وهذه العبادة ليست حصراً في العراق بل كانت منشورة في بلاد الشام والجزيرة العربية ، فالسين اله القمر ولازالت كلمة سيناء موجودة في بلادنا العربية . أما ود الصنم الجاهلي المعروف فهو القمر ، وكلمة شمس وسمس اله الشمس وردت في العراق كماوردت عبادة الشمس عند سبأ . أما الصائبة فقد عبدوا نجوما آخر .
هناك آيات كثيرة تدل على طلب قومه هجرة ابراهيم :
١ـ سورة مريم :(قال أراغب أنت عن الهتي ياابراهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا ، قال سلام عليك سأستغفر لك ربيانه كان بي حفيا ، اعتز لكم وماتدعون من دون الله وادعوا ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا)٤٦ـ٤٩
٢ـ الهجرة رغبة من ابراهيم وهذا بعد طلب قومه .(فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم) العنكبوت ٢٦ .
٣ـ الهجرة أمر الهي .(ونجيناه ولوطا الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) الأنبياء ٧٠ .
هذه الآراء الثلاثة التي طرحها القرآن الكريم يكمل بعضها بعضا .
طلب المشركين من ابراهيم أن يعتزل لئلا يفسد ناشئتهم . رغب ابراهيم في الهجرة فأمره الله بالهجرة الى أرض كنعان الأرض التي بارك الله فيها .

٧ ـ الهجرة .

تختلف الهجرة من مؤرخ لآخر ، ويبدو الخلاف واسعا كماشهدناه في مكان الولادة .

أ ـ من قال أنه ولد بالعراق في السوس أو الوركاء أو اور أو كوثه أو بابل ، فالهجرة من أرض العراق الى حران ، ومن حران الى دمشق الى القدس فبئر سبع .

ب ـ ومن قال أنه ولد ببرزة يعضد هذا الرأي ابن العبري والحافظ بن عساكر ومختصر ابن كثير .

ج ـ ومن قال أنه ولد بحران وهو رأي من آراء الطبري المتعددة . فقد قال انتقل به أبوه الى بابل ثم تمت الهجرة من بابل الى حران ومنها الى دمشق .

د ـ يبقى رأيي أنا في أن مولد ابراهيم كان في شمال الحجاز ، ومنها انتقل الى جنوب فلسطين ، ولم يصل القدس الا لماما ، أما حبرون ، فانني أنفي الوصول اليها .

أما هجرته كما قررت التوراة فليست الا اسقاطا لما حل باليهود حينما نقلوا من القدس ، فالطريق التي ساروا عليها حتى وصلوا الى بابل توهموها ، هيّ الطريق التي سار عليها ابراهيم الخليل عليه السلام .

طلب منه قومه أن يهجرهم ، وقد هجر الأنبياء من ديار قومهم ، ومن خلال الجداول الملكية لم يظهر لنا اسم نمروذ فيها ، ولهذا لأرى رحلة

ابراهيم ، بدأت من العراق الى أرض كنعان ، ولكني أراها بدأت من الجزيرة العربية ، واستقرت جنوب كنعان ، ويعضد في هذا الرأي كثير من الباحثين ، وبعض الحقائق التي وصلتنا . ان التوراة تحدثت عن شخصيتين مختلفتين تمام الاختلاف .

أ ــ **شخصية ابرام** : التي تحدثت عنها التوراة ، رحلت من اور الى بلاد الشام ، وفلسطين ، وهذه الشخصية نحلوها كل ماحصل لليهود في أحلام يقظتهم ، فهو المنتصر القادر المقاتل الذي يخاتل الناس ، ويغشهم ويكذبهم ، ويسرقهم وهو أسد ضار وقت القوة ، وثعلب ماكر حينما يكون ضعيفا ، يضرب امرافيل ، ويدفع العشر لملكي صادق ، يدخل مصر جائعا ، فيكذب ، ويقول عن زوجته "انها أخته" يخاصم ابن أخيه ، ويفترق عنه من أجل الرعي .

هذا الرجل الغريب ترك وطنه ، هجر كما هجر اليهود من بيت المقدس ، اضطهد عذب يعيش بين غرباء ، يقتله الحنين الى وطنه ، فيوصي ابنه اسحق ألا يتزوج من امرأة غريبة ، ويخطب له ابنة خاله ، ينصحه ألايتزوج من امرأة كنعانية. لأن اليهود كانوا يرون بأن بنات كنعان جوييم ، لايمكن الركون اليهن ."وشاخ ابراهيم وتقدم في الأيام وبارك الرب ابراهيم في كل شيء وقال ابراهيم لعبده كبير بيته المستولي على كل ماكان له ضع يدك تحت فخذي وأستحلفك بالرب اله السموات والأرض ألاتأخذ لابني من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم بل تذهب الى أرضي وعشيرتي وتأخذ زوجة لابني اسحق فقال له العبد ربما لاتشاء المرأى أن تتبعني الى هذه الأرض هل أرجع بابنك الى الأرض التي خرجت منها فقال له ابراهيم احترز أن ترجع بابني الى

أهذه هي بداية الغيتو ، الاعتزال ، الشعور بالغربة ، عدم التزاوج من الآخرين علما أنه كان في القدس أورشليم فلكي صادق الكاهن لله العلي ، فلماذا يدفع العشر لملكي صادق ويمسحة كاهنا ، ولايقبل أن يزوج ابنه من بنات الأرض ؟

هذه الشخصية سمتها التوراة ابرام ولازال اليهود يسمون ابرام حتى الآن ، هذه الشخصية تكذب ، تغش ، تخاتل ، تقاتل ، وتنتصر ، لاتؤمن بقيمة انسانية بمقدار ماتؤمن بجمع المال ، انها هلوسات اليهود ، وأحلام يقضتهم ، فكانت شخصية ابرام .

وقصة الابراهيميين قد لجأ اليها كاتب متعصب لايغلو في فروضه على هذا المثال ، وهو السير ليونار صاحب كتاب "ابراهام ، والكشوف الأخيرة" فقد رجح أن ابراهام غير اب رام وقال أن تسمية الحفيد باسم الجد كانت مألوفة جدا في البلاد البابلية كمايظهر من مقابلة أسماء الملوك من أسرة واحدة ، فاذا كان لابراهيم جد باسم ابرام كماجاء في كثير من الروايات ، فالأقرب الى المألوف أن المتأخرين بعد عصره جمعوا بين أخبار الاثنين ، ووصلوا عمر أحدهما بعمر الآخر ، فبلغوا بهما خمس وسبعين ومئة . وغير بعيدأن يكون العبريون المتأخرون قد تكلموا عن ابراهيمين لاعن ابراهيم واحد . فهذا التاريخ الغامض قد زاده اختلاطا على اختلاط دعوى الطائفة العبرية التي تنتسب الى ابراهيم أنها ذريته التي تؤثر في الأرض والسماء ، وأنها ورثت أرض فلسطين من أيام ابراهيم مع أنهم كانوا في أيام موسى يشترون المرعى (المورد

---

(١) سفر التكوين الاصحاح الرابع والعشرون ١ ـ ٧ .

بالفضة) .[1]

ولأقول بمايقوله ايزنار فليس أحدهما جد الآخر أو حفيده ، ولكن أحدهما صورة اليهود كما يحبون أن يكون والشخصية الأخرى هي الشخصية الحقيقة لابراهيم عليه السلام .

ب ــ الشخصية الثانية .

هي شخصية ابراهيم المؤمنة بأقوال الرب ، وهذه الشخصية التي نجت من النار ، وهي التي تبارك الناس ، وتحيا معهم تقاتل عنهم ، وتذود عن حياتهم ، وفي التوراة نقل اسم ابرام الى ابراهيم وساراى الى سارة .

هذه الشحصية بقيت غامضة في تاريخ بني اسرائيل لأنها الشخصية المؤمنة التي وصفت في القرآن الكريم وصفا يليق بكمال هذه الشخصية واتزانها .

الشخصية البدوية الكريمة السمحة الشجاعة الذي يتجول بين الحجاز موطنه الأصلي وشمال الحجاز أرض كنعان ، أما اصرار جماعة الذين اتبعوا التوراة ، وقلدوها ، وساروا في ركابها على الشخصية الأولى ، وكذلك يصر علماء اليهود على الأخذ بالشخصية الأولى التي هاجرت من اور الى كنعان (وتقول تعليقات ابنجدون التي اشترك في تأليفها نحو سبعين عالما من علماء التاريخ الديني والتوراتي) أن تاريخ العبريين الأسمي يبتدىء بقبيلة من هذه القبائل سكنت الى جوار مدينة اور في جنوب العراق ، وعند نهاية الألف الثالثة ق .م هاجر منهم فريق الى الشمال بقيادة تارح .

(١) العقاد ابراهيم أبو الأنبياء ص ٢٠١ .

وربما كان من أسباب هذه الهجرة اضطراب سياسي في جنوب العراق أصابت جراثره معيشة أهل اور ، ولعل هذا الاضطراب قد نشأ من تحول السيطرة السياسية من المدن العراقية الى قبائل عيلام فلم يستقر عليه أحوال المعيشة والتجارة في مدينة اور ، وهذا الفرض يرجع الحركة الى مابين سنة ٢٣٠٠ - ٢٠٠٠ق .م .

وكيفما كانت الحقيقة ، فالهجرة قد حصلت ، ونزل القوم فترة بجوار حران الى شمال الهلال الخصيب[٢] .

هاجر ابراهيم ، ولوط كما يبين القرآن وحصر النجاة بهما دون أن يذكر فيما كانا متزوجين أم لا .

"ونجيناه ولوطا الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين"[٣] . "فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي انه هو العزيز الحكيم"[٤] . والظاهر من هذه الأيات أنه لم يؤمن بدعوى ابراهيم من قومه الا لوط فقط . أما الوالد ازر فقد وقف موقفا معاديا من الدعوة "قال ياابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا"[٥] ، "واغفر لأبي انه كان من الضالين" .[٦]

ومن هذه الأيات نرفض قول التوراة ومن سار في ركابها عن هجرة تارح أو ازر كيفما كانت فالهجرة لله ولايمكن أن يهاجر لله من لايؤمن بالله العلي القادر .

---

(٢) العقاد ابراهيم أبو الأنبياء ص٩٧ .
(٣) الأنبياء الأية ٧٠ .
(٤) العنكبوت الأية ٢٦ .
(٥) مريم الأية ٤٧ .
(٦) الشعراء الأية ٨٦ .

لاأستطيع أن أبت بأمر زواج ابراهيم هل هو قبل الهجرة أم بعدها ؟ هل كانت زوجته ممن آمن به وهي من قومه أم لا ؟ ، هذه أمور تبقى في ذمة التاريخ ، وان كنت أريد مناقشة زوجه سارة أو ساراى من خلال ماقرأت عنها فيما بعد ، اذن فمن أين بدأت هجرته والى أين ؟ .

هذه الهجرة التي تركت آثارا كبيرة في التاريخ فشوهها من شوهها عمدا ليجني ثمرات التشويه ، ومنهم من سار يقتفي خطاً غيره على غير هدى فضل وأضل .

يؤكد العقاد أن موطن ابراهيم في شمال الحجاز ، ولم يكن العراق ، وهو يسير في هذا الفرض بخطا وئيدة فيقول (كان وطن ابراهيم عند سيناء ، وشمال الحجاز حيث كان الجنوب مفتوحا له ، وأيسر من الشمال حيث تجول القبائل التي بلغ من قوتها أن تغير احداها على بابل ، وتغير الأخرى على مصر ، وأيسر من اجلائها عن أرضها أن يبقى حيث هو أو يمعن في الجنوب ويستقبل الحجاز)(٧) .

وأرى أن ابراهيم ترك الصحراء العربية وراءه ، وخلفه قومه الذين أصابهم الدمار لعدم ايمانهم بالله ، وترك وطنه يلوعه الحنين ، وتحرقه الذكرى ، والده ، اخوته ، مرتع صباه ، وطفولته دمرت ، لأن قومه لم يؤمنوا بدعواه . واسمع الى هذه العاطفة التي تنثال رقه ، حينما دعا قومه وأباه الى الايمان فأصروا ، وأعرضوا (واذكر في الكتاب ابراهيم أنه كان صديقا نبيا . اذ قال لأبيه ياأبت لم تعبد مالايسمع ولايبصر ولايغني عنك شيئا . ياأبت اني قد جاءني من العلم مالم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا ياأبت لاتعبد الشيطان ان الشيطان كان

(٧) العقاد ابراهيم أبو الأنبياء ص ٢٠٢ .

للرحمن عصيا . ياأبت اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا . . قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان لي حفيا . واعتزلكم وماتدعون من الله وادعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا)[1] .

ولهذا الحنين الذي يعاوده يطلب من كبير بيته أن يجلب زوجة لابنه اسحق من عشيرته تعيد له ذكراه في تلك الأرض في تلك المراتع ، وللسبب نفسه نصح كبير بيته ألايعود بابنه الى أرض العشيرة بعد ماحل بها ماحل . ولأرى رأي التوراة ، وشراحها أن الفتاة الكنعانية لاتصلح زوجة لرجل مثل اسحق بل كانت بنات كنعان بنات حضارة ومدن أما ابراهيم واسحق فهما بدويان متنقلان ، ولاتصلح فتاة الحضر للتجول والتنقل وراء الماشية من مكان لآخر ولازلنا حتى الآن لانرى في ابنه بيئة مخالفة لنا زوجة صالحة كاملة لنا ، هذا السبب ان صح قول التوراة هو الذي دفع ابراهيم الى أن يقول الى كبير بيته انتق زوجة من أرض ابراهيم وعشيرته ، ولم يشر الى مدينته ولو كان من اور واور مدينة لايغفل اسمها لأشار اليها ، هذا كله دفعني لأن أقول : ان ابراهيم لم يهاجر من العراق وانما اصطنع ذلك جماعة التوراة ليسقطوا ماحصل معهم على ابراهيم الخليل ع .

ابراهيم الخليل من شمال الحجاز هاجر الى الجنوب من كنعان ، ولم يتخط الى الشمال ، وهذا رأي بعض النقاد وأخصهم الدكتور كامبيل ، فهو يرى أنه ظل ينتقل جنوب كنعان في سهل جرار وبرية بئر سبع وبرية سيناء ، ولايرى كامبيل أن ابراهيم توغل في شمال كنعان ، ومن سجل ذلك انما ليسوغ أمرا في داخله "لم يكن لابراهيم وذريته مقام في غير الجنوب عند جرار

---

(١) سورة مريم ٤١ - ٤٩ .

أو وراءها جنوبا ، ولم يكن لابراهيم مقام في حبرون ، ولهذا يرجح الدكتور كامبيل أن ابراهيم لم يدفن في مغارة المكفيلة في حبرون على مقربة من أورشليم ، ولكن الذين انتسبوا اليه تعلقوا بذكرى هذا المدفن لتسويغ دعواهم في مملكتهم ولابد من ابراهيميين جاء أحدهما بعد الآخر بزمن طويل"[٢] .

وأستطيع أن أقول ، وبكل هدوء واطمئنان ماقاله الأستاذ العقاد في كتابه ابراهيم أبو الأنبياء من أن ابراهيم كان عربيا ، وهو مفاجأة لمن سار على خطا التوراة ربما كان من المفاجآت عند بعض الناس أن يقال لهم : ان ابراهيم عليه السلام كان عربيا وأنه كان يتكلم العربية .[٣]

أما ابرام العبري الذي تصوروه لم يكن عبريا اذ أن العبرية لم تكن قد وجدت فعلا أما تسمية عبيرو وخبيرو التي وردت في النقوش فهي معكوس عرب وهم العرب المتجولون من مكان لآخر دون أن تحدد هوية عبرى ، أو لغة عبرية ، فاذا ماافترضت أن ابراهيم عبري ، فان لغته كانت آرامية ان كان من اور أو من العراق بكامله . أما اذا كان من الجزيرة العربية فلغته العربية ، وهو عربي والعبرى انما الصقت به الصاقا ، ولادليل عليه الا ماقالته التوراة ، وهي ليست ثقة في كلامها . فقد لاحظنا بعض المغالطات التي وقعت بها . من هنا نقول أن الشخصية التي اجتهدت التوراة في اطفاء القداسة عليها لاتمثل شخصية ابراهيم الخليل ع ، وانما هي شخصية ممسوخة جامدة صنعها اليهود دمية على هواهم ، واني لأستبعد موته في شمال كنعان ، وقبره في مغارة مكفيلة في قرية اربع (حبرون) أو الخليل كمانسميها في الوقت الحالي وأنفي

(٢) العقاد ابراهيم أبو الأنبياء ص٢٠٠ .
(٣) العقاد ابراهيم أبو الأنبياء ص٢٠٣ .

مصور

الهجرة كما تراها التوراة ⟸

بعض الاخباريين الغرب ↢

الهجرة كما اراها ⟵

الرحلة الى حران كماسماها الاخباريون العرب ، كماأنفي الرحلة الى حوران ، كمايقول صاحب كتاب فتح العلام ، فالبلاد لم تكن فارغة حسب النظرية الصهيونية أو مبدا ايزنهاور ، وانما كانت تعج بالناس وبالحضارة ، وليس من السهل على بضع بداة أن يقتحموا المدن والسهول ، ويتجولون فيها وكأن شيئا لم يكن . واني لأستبعد دفن الخليل في مغارة المكفيلة لأن التوراة قالت أن اسماعيل سكن برية فاران ، وأخوه اسحق سكن في سهل جرار ، ومات ابراهيم وجاء الأثنان فدفناه في مغارة المكفيلة ، فما الزمن الذي يستطيع اسماعيل أن يصل فيه من فاران ان صحت التوراة ، أو من الحجاز ليشيع جنازة أبيه ثم لينقلاها بعد ذلك الى مغارة المكفيلة ، انها تستلزم شهورا . ولن أقبل أي قول : ان التحنيط كان موجودا فهل حنط الخليل ، وهل كشفت جثته ؟ هذا مالم يقله أحد ، ولهذا استبعد تحنيطه وقبره في هذا المكان فهو اذا قبر قبر في الجنوب ، ولاأستطيع تحديد مكانه بالضبط ، ولازلت أرى أن ابراهيم من الجهات الشمالية للجزيرة العربية لأن حضور اسماعيل من مكة يعني قرب المكان ، ولو افترضنا رأي التوراة أن اسماعيل في فاران ، فحبرون بعيدة بالاضافة الى أن ابراهيم تزوج حسب ماتقول التوراة في أواخر عمره من امرأة أخرى عربية تدعى قطوره ، ولم تكن هذه المرأة من فدان ارام ، ولو كانت من عشيرة سارة لأشبعت التوراة ذلك ولفخرت بها كما افتخرت بسارة ، فكيف ينصح ابراهيم لابنه أن يأخذ امرأة من عشيرته في الشمال ولايطبق القاعدة نفسها ؟ كل هذا يدل دلالة واضحة أنه عربي وأن ابراهيم ليس ابرام الذي تحدثت عنه التوراة ، ولهذا فانني أقول كل ماورد في التوراة "باطل ، وقبض الريح ، فلم يولد في اور ، ولا كان في بابل ، ولم يعمر الصرح من أجل قتال

رب ابراهيم" .(١)

ولعل جماعة التوراة سمعوا من أهل بابل عن موجة الكاشيين التي اجتاحت بابل مابين القرن السادس عشر والخامس عشر ق .م(٢) . فأسقطوا تلك الفترة على حياة ابراهيم ، وقالوا سقط برج بابل بعد ذلك بينما لم يسقط البرج الا على أيام كورش الملك الفارسي الذي هدمه .

لم يكن ابراهيم من بابل ، ولم يقم برحلته كماتوهموا ، بل لم يصل الى شمال فلسطين في يوم من الأيام لأنه قدم من الجنوب ، وفي الشمال دول قوية

---

(١) قال الطبري حينما بهت النمروذ وانقطع في محاججة ابراهيم ، طلب من جماعته أن يبنوا له صرحا عاليا لعله يصل الى الله العلي ، فيقتله . وبني الصرح عاليا طبقات كثيرة ، فصعد النمروذ على ظهر حصانه وأطال الله رجلي الحصان ، وقصر يديه ليستطيع الصعود ، ومن ثم وصل الى أعلى البرج ، وهناك تناول سهما من كنانته ، ورمى نحو الأعلى ثم ثنى ، وثلث حتى عاد اليه سهم مغرق بالدماء ، ويعلل الطبري بأن الله أمر الملائكة أن تأخذ سهما ، وتغطه بالدم ، وتعيده اليه ، فسقط السهم أمام النمروذ ، وحينها ظن أنه قتل الله . وفي النزول طالت أيدي الدابة بأمر الله ، وقصرت رجلاها حتى نزل ، وبعد هجرة ابراهيم عليه السلام نزل ملك فطلب من نمروذ أن يختار جيشا لقتال الله ، وأرسل الله اليه جيشا من البعوض ، فأهلك النمروذ وجماعته .

(٢) أسد اشقر الخطوط الكبرى في تاريخ سورية ج١ . يقول : اشور غمرتها الموجة بكاملها نزل الكاشيون حتى بابل ولكن العاصمة التي لم تكن حدودها تتعدى سيبار صمدت جدا وصمدت مملكة حلب أيضا ولكن المملكة الحثية الاقطاعية التي تأسست سنة ١٧٠٠ ق .م في الأناضول تفوقت عسكريا وهي لم تكتف بأن منعت الهجرة عبر حدودها بل ان الجيش الاقطاعي الحثي تدخل في سورية في عهد ملكه حتوسيل الأول وبعده هاجم بورسيل الأول حلب ودمرها وفي عام ١٥٨٠ق .م اندفع الخيالة الحثيون نحو بابل واعملوا فيها النهب والحرق .

لايستطيع أن ينال منها ، ولهذا استبعد أن يشتري أرضا ومغارة في حقل عفرون الحثي ، فالدولة الحثية لم تكن قد اجتاحت سوريا بعد حتى يتملك فيها عفرون بن صوحر الحثي ، وانني لألاحظ التسمية ليست حثية لأن عفرون جمع مذكر سالم من عفر ، وهو لون التراب ، وقد عرفت هذه التسمية عند العرب كزيدون وخلدون .

ويؤكد العقاد أن ابراهيم الخليل غير ابرام الذي تتحدث عنه التوراة ، فقد وجدت تسمية ابرام في الآرامية ويقول في هذا الصدد "وولدت ادنا لتارح ابراهيم ١٨٧٦ق .م ، وسماه ابرام على اسم أبي جدته لأمه واسمها ملكه" .

والذي يدلنا على أن ابراهيم الخليل لم يغادر جنوب كنعان الى شمالها ، هو مجيء اسماعيل عند دفن ابراهيم ، ونحن نعلم أن اسماعيل كان يسكن الحجاز مع أمه وزوجته وبنيه ، وهناك أمر ثان ، ودليل أقوى على التزامه جنوب فلسطين زواجه من قطوره ، وقد سكن أبناؤها شمال الحجاز ، وجنوب كنعان "وعاد ابراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة ، فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويبشباق وشوحه وولديقشان شبا وددان"(٣) . يقول بعض النسابة العرب أن يقشان هو قحطان (يقطان) ، وهو ولد سبأ ، وسبأ هنا هي التي سكنت شمال الحجاز ، ومنها ملكة سبأ التي زارت سليمان عليه السلام ، وربما كان الأمر مجرد تشابه أسماء أو قل هي من افتراضات اليهود التوراتية .

اذن لازالت عناصر الهجرة حتى الآن ابراهيم ولوط . أما الوالد آزر ، فقد أقصاه القرآن الكريم بشكل لايقبل الجدل والشك ، وأما الزوجة فلم يذكر عنها شيئا لا سلبا ، ولا ايجابا ، ولم يذكر القرآن الكريم قرابة لوط ، ولهذا يبقى

(٣) سفر التكوين الاصحاح الخامس والعشرون .

الحديث عن سارة ولوط ، وتصديق هذا الكلام ، أو تكذيبه من الأمور الاسرائيلية التي لانستطيع أن نصدقها أو نكذبها وفي هذا يقول ابن خلدون في مقدمته وقد جمع المتقدمون في ذلك ، وأوعوا الا أن كتبهم ، ومنقولاتهم تشتمل على الغث والسمين ، والمقبول والمردود ، والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم ، وانما غلبت عليهم البداوة والأمية ، واذا تشوقوا الى معرفة شيء مماتتشوق اليه النفوس البشرية في أسباب المكونات ، وبدء الخليقة ، وأسرار الوجود ، فانما يسألون عنه أهل الكتاب ، ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية ، فلما أسلموا أبقوا على ماكان عندهم ممالاتتعلق به الأحكام الشرعية التي يحتاطون لها مثل أخبار بدء الخليقة ، ومايرجع الى الحدثان والملاحم ، وأمثال ذلك مثل كعب الأحبار ، ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام ، وأمثالهم فامتلأت التفاسير ، والمنقولات عنهم ، وفي هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم ، وليست ممايرجع الى الأحكام ، فيتحرى صحتها التي يجب العمل بها ، وتساهل المفسرون في مثل ذلك ، وملأوا الكتب بهذه المنقولات ، وأصلها كماقلنا عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية ، ولاتحقيق عندهم بمعرفة ماينقلون من ذلك الا أنهم بعد حين عظمت أقدارهم لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة ، فتلقيت بالقبول من يومئذ[1] .

غير أنني أضيف أنهم تعمدوا هذا النقل المغلوط ليحققوا آراء توراتهم التي كتبوها خطأ وزيفا ، ولو أعلنوا اسلامهم .

٨ ــ سارة .

من سارای هذه التي ملأت التوراة ؟ وشغلت الناس . فكانت السيدة

(١) مقدمة ابن خلدون ص٤٩٠-٤٩١

الأمرة الناهية لايبدو أمامها ابراهيم الا شخصية ضعيفة ، يتلقى أوامرها ، وينفذها بكل احترام .

أ- لنعد الى التوراة فنرى ماتحدثنا به عنها :

١- واتخذ ابراهيم وناحور "أخوين" امرأتين اسم امرأة ابرام ساراى ، واسم امرأة ناحور ملكة بنت هاران ، وكانت ساراى عاقرا ليس لها ولد(٢) .

٢- فذهب ابرام كماقال له الرب وذهب لوط وكان ابرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران ، فأخذ ابرام ساراى امرأته ، ولوطا ابن أخيه وكل مقتنياتهما(٣) .

٣- وحدث لما قرب أن يدخل مصر ، أنه قال لساراى امرأته "اني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر ، فيكون اذا رآك المصريون ، أنهم يقولون هذه امرأته ، فيقتلونني بسببك قولي "انك أختي" ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك"(٤) .

٤- وأما ساراى امرأة ابرام ، فلم تلد له ، وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر ، فقالت ساراى لابرام هو ذا الرب قد أمسكني عن الولادة ، ادخل على جاريتي لعلي أرزق منها ببنين(٥) .

٥- فقالت ساراى لابرام ظلمي عليك أنا دفعت جاريتي الى حضنك ،

---

(٢) تكوين اصحاح حادي عشر .
(٣) تكوين اصحاح حادي عشر .
(٤) تكوين اصحاح حادي عشر .
(٥) تكوين اصحاح سادس عشر .

فلما رأت أنها حبلت صغرت في عينيها يقضي الرب بيني وبينك[١] .

٦ـ ولما كان ابرام ابن تسع وتسعين ، ظهر الرب لابرام ، وقال له "انا الله القدير . . وقال الله لابراهيم ساراى امرأتك لاتدعو اسمها ساراى بل اسمها سارة ، وأباركها ، وأعطيك منها أيضا ابنا[٢] .

٧ـ وقال له "أين سارة امرأتك ؟ فقال هاهي ذي في الخيمة ، فقال "اني أرجع اليك نحو زمان الحياة ، ويكون لسارة امرأتك ابن ، وكانت سارة سامعة في باب الخيمة وهو وراء ، وكان ابراهيم وسارة شيخين متقدمين في السن ، وقد انقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء ، فضحكت سارة في باطنها قائلة "أبعد فنائي يكون لي تنعم ؟ وسيدي قد شاخ" فقال الرب لابراهيم "لماذا ضحكت سارة ؟"[٣] .

٨ـ وتغرب في جرار ، وقال ابراهيم عن سارة امرأته هي أختي ، فأرسل أبي مالك ملك جرار ، وأخذ سارة[٤] .

ومن المعلوم في التوراة أن ساراى لم يتغير اسمها الى سارة ، الا بعد أن أوغلت في الشيخوخة . فهل ظلت العجوز العقيم جميلة جدا ، حتى يطلبها أبي مالك ثم يلحظ قارىء التوارة معي أن هذه الحادثة كررها اسحق ، فقال عن زوجته "هي أختي" لأبي مالك .

٩ـ وافتقد الرب سارة كماقال ، وفعل الرب لسارة كماتكلم ، فحبلت

---

(١) تكوين اصحاح سادس عشر .
(٢) تكوين اصحاح سابع عشر .
(٣) تكوين اصحاح ثامن عشر .
(٤) تكوين الاصحاح العشرون .

سارة ، وولدت لابراهيم ابنا في شيخوخته في الوقت الذي تكلم الله عنه ، ودعا ابراهيم اسم ابنه المولود اسحق .[1]

١٠- ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لابراهيم يمرح ، فقالت لابراهيم اطرد هذه الجارية وابنها ، لأن ابن الجارية لايرث مع ابني فقبح الكلام جدا في عيني ابراهيم .[2]

١١- وكانت حياة سارة مئة وسبعا وعشرين سنة ، وماتت سارة في قرية اربع التي هي حبرون .[3] والذي أراه كماتحدثت التوراة عن ابراهيمين كذلك تحدثت عن امرأتين اسمهما سارة ، ولعل تبديل اسم ساراى الى سارة وتزامنه مع تبديل ابرام الى ابراهيم له الأثر ، ومما قرأت ألاحظ مايلي :

أ - سارة شخصية مؤمنة بالله قوية الايمان ، تهاجر مع زوجها من مكان الى آخر ، تعيش معه على شظف العيش ، وهنأته ، وتشاركه أفراحه ، أحزانه ، وتزوجه حينما تعلم عقمها ، هذه هي الشخصية الحقيقة لسارة .

ب - شخصية ساراى لاتهتم الا بمصلحتها فهي المرأة القوية المتجبرة ، المرأة الناعمة التي تقبل أن تعيش مع زوجها ، وفرعون وأبي مالك ضاربة بالشرف عرض الحائط ، شخصية حقودة ، تغار من ضرتها الى أبعد حدود الغيرة دون أن تحرك فيها الأمومة أي دافع حب نحو اسماعيل ، فتأمر ابراهيم بطرده وأمه .

---

(١) تكوين الاصحاح الحادي والعشرون .
(٢) تكوين الاصحاح الحادي والعشرون .
(٣) تكوين الاصحاح الثالث والعشرون .

واختلف المؤرخون الاخباريون في شخصية سارة اختلافا كبيرا .(١)

---

(١) قال الطبري كعادته :
أ- سارة بنت ناحور ابنة أخي ابراهيم وهذا مايرفضه الشرع اطلاقا ولم تستطع التوارة أن تثبت من يتزوج بابنة أخيه .
ب - سارة بنت هيبال ولم يكشف النقاب عن هيبال هذا والذي أعتقده أن هيبال من كلمتين هاب وايل ومعناه هاب الاله ولم يشر أحد الى هذه الشخصية ولم يبين لنا أصولها .ولعلهم عادوا الى كلمة هابيل بن آدم وخلافه مع قابيل وقتل قابيل له ورأوا فيه مثال الضعف والمسكنة أمام القوة المتجبرة .
ج - سارة بنت هاران الأكبر وهو عم ابراهيم ولعل تشابه هاران وحران له الأثر في ذلك .
د - سارة بنت هاران الأصغر وهو أخو ابراهيم وهذا مايرفضه الشرع .
هـ - سارة بنت ملك حران وكانت مؤمنة متسترة بايمانها ترفض دعوى قومها قبل أن يأتي ابراهيم الى حران ، ولما أتى لقت دعوته بالقبول ، وتزوجت منه وشرطت عليه ألا يغيرها .
وأرفض هذه القصة ، لأنني رفضت الرحلة بجملتها ، وقد قررت أنها من شمال الحجاز ، لأن ابراهيم لم يمر بحران أو حوران كمايقول الآخرون . وربما كانت سارة ابنة احدى القبائل العربية المتجولة في شمال الحجاز ونجد رآها ابراهيم ، فأعجبته ، وخطبها ، فتزوجته ، وآمنت به .
و - سماها صاحب التفسير الكبير سارة بنت ازر بن ناحور وفي هذا تكون أخته بنت أبيه ، ولعل والدها غير والده ، وانما تشابه الأسماء لأنه لم يشر الى أنها أخته ، ويستبعد صاحب التفسير أن تكون أخته .
ز - قالت التوراة "وفي الحقيقة هي أختي بنت أبي غير أنها ليست ابنة أمي ، فصارت لي زوجة ، وحدث لما أتاهني الله من بيت أبي ، قلت لها "هذا معروفك الذي تصنعين الي في كل مكان ، نأتي اليه قولي عني هو أخي" ، وقد رد كافة المفسرين المسلمين هذا الرأي لأنه لايجور الزواج بالأخت في الشرائع كافة .
ح - المؤرخ اليهودي يوسيفوس ذكر سارة وعدد رواياته : ←

من خلال هذا الركام الهائل عن سارة ، والاختلاف فيها ، فانني أستطيع أن أحدد الآراء عنها بمايلي :

١ـ فتاة من عشيرته تجهل درجة القرابة ، ولأخذ برأي تابعي التوراة ، أخذاً برأي الامام الكبير الفخر الرازي (وأعلم أن شيئا من هذه الروايات لم يدل

← ١ـ أخت غير شقيقة لابراهيم .
٢ـ بنت أخيه هاران الأصغر .
٣ـ بنت عمه هاران الأكبر .
كيف تكون ابنة أخيه هاران الأصغر وهي كماتقول التوراة أصغر منه بعشر سنوات وهاران أصغر من ابراهيم فهل سارای بعمر أبيها ؟
ط ـ أما ابن الأثير فقد نقل عن كتاب المبدأ لاسحق بن بشر الكاهلي تزوج ابراهيم سارة بنت هاران يعنون ابنة أخيه وكانت سارة عاقرا لاتلد وينفي صاحب البداية والنهاية وجود ازر مع ولده ابراهيم في رحلته الى حران بينما يثبتها في مكان آخر ويقول معلقا وكل من كان على وجه الأرض كانوا كفارا سوى ابراهيم الخليل وامرأته ، وابن أخيه لوط عليهم السلام ، وكان الخليل هو الذي أزال الله به تلك الشرور وأبطل به ذلك الضلال .
ي ـ يقول ابن الأثير في كتابه الكامل قال السدى انطلق ابراهيم ولوط قبل الشام ، فلقي ابراهيم سارة وهي ابنة ملك حران ، وقد طعنت على قومها في دينهم ، فتزوجها على ألايغيرها . رواه ابن جرير وهو غريب والمشهور أنها ابنة عمه واليه تنسب حران ، ومن زعم أنها ابنة أخيه هاران فقد أبعد النجعة ، وقال بلا علم . وادعى أن تزويج ابنة الأخ اذ ذاك مشروعا ، فليس له على ذلك دليل ولو فرضنا أن هذا كان مشروعا في وقت ما ، كماهو منقول عن الربانيين من اليهود ، فان الأنبياء لاتتعاطاه .
وفي هذا رد جيد على من تبع التوراة دون أي مناقشة كأنها وحي منزل ، أو صك لايأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ويعجبني دائما ، في المؤرخ الروح الناقدة ، وقد مر في تاريخنا الكثير .

عليه القرآن ، ولم يثبت أيضا في خبر صيحيح ، وتفسير كتاب الله لايتوقف على شيء من هذه الروايات ، فأليق بالعاقل أن يحترز من ذكرها[1] .

٢ـ فتاة لايمت لها بصلة قرابة ، وقد تكون من عشيرة مجاورة تربطها مع عشيرته أواصر حلف ومودة .

والذي أستطيع أن أقول أن سارة فتاة جميلة تزوجت ابراهيم قبل أن يبشر قومه ، وأمنت بدعوته ، وهاجرت معه كماهاجر لوط . أما ماكتبه المؤرخون فهو سير في ركاب التوراة ، لأن التوراة كتبت بعد مرور ألف وأربعمائة عام على ابراهيم ، ولاشيء يثبت ماتقوله التوراة ، ولايمكن أن تكون من حران المدينة العامرة لتعيش متنقلة من مكان الى آخر دون أن تبدي تذمرا من حياتها ، والذي نعرفه أن ابراهيم عاش في صحراء النقب ، وشمال الحجاز وصولا الى مكة المكرمة ، ومن هنا تبدو لنا سارة ابنة عشيرته تنتقل من مكان الى آخر متعودة على حياة التنقل والترحل .

٩ــ بابل .

يعود تاريخ بابل الى قيام الدولة البابلية الأولى ، فهي مدينة مفرقة في القدم يعود تاريخها الى ألف الثالث ق .م . مدينة تقع على الضفة اليسرى لنهر الفرات قريبة من الكوفة ، وكربلاء في الوقت الحالي ، ربما كانت قرية كبيرة قبل أن تصبح عاصمة الدولة البابلية الأولى ثم حكمها الآشوريون ، فالكلدانيون الدولة البابلية الثانية . لعبت هذه المدينة دورا كبيرا في التاريخ القديم ، وقد أسست حضارة كبيرة ، وامبراطورية ضخمة ، وقد تفنن الكتاب

(١) التفسير الكبير الامام فخر الدين الرازي ج١٨ ص١٠٨ .

في وصف جمال بابل وحدائقها المعلقة ، حتى اعتبرت الحدائق المعلقة احدى عجائب الدنيا السبع ، ومن ثم كمل جمالها ببناء الصرح فمامعنى بابل ؟

أرى أن الكلمة مؤلفة من كلمتين باب + ايل ، ومعناها باب الله وايل في كافة اللهجات السامية تعني الله ، ولازلنا نحتفظ بهذه التسمية ببيلا/باب ايلا/ باب الله في دمشق وباب الله في حلب وكلتاهما ضاحية .

أما اليهود فلم يروا في بابل الا مدينة الظلم ، المدينة التي أذلتهم ، ومرغتهم في الوصول سبعين سنة في الأسر المدينة التي هدمت هيكلهم ، وقلمت من جبروتهم ، وداستهم . ومن الغريب أن كتاب التوراة فسروا كلمة بابل تفسيرا بعيدا عن الصواب ، وكانت الأرض كلها لسانا واحدا ، ولغة واحدة ، وحدث في ارتحالهم شرقا أنهم وجدوا بقعة في أرض شنعار ، وسكنوا هناك ، وقال بعضهم لبعض هلم نصنع لبنا ، ونشويه شيا ، فكان بهم اللبن ، وكان الحجر وكان لهم الحمر ، فكان الطين ، وقالوا هلم نبني لأنفسنا مدينة ، وبرجا رأسه بالسماء ، ونضع لأنفسنا اسما لئلا نتبدد على وجه الأرض ، فينزل الرب لينظر المدينة ، والبرج الذي كان بنو آدم يبنيهما ، وقال الرب هو ذا شعب واحد ، ولسان واحد لجمعهم ، وهذا ابتداؤهم بالعمل ، والآن لايمتنع عليهم كل ماينوون عمله ، هلم ننزل ، ونبلبل هناك لسانهم ، حتى لايسمع بعضهم بعض ، فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض ، فكفوا عن بنيان المدينة لذلك دعي اسمها بابل لأن الرب بلبل لسانهم[١] .

ونستطيع أن نأخذ من رأي التوراة هذا مايلي :

١- بابل أقدم مدينة في العالم ، فهي تعرف الطوفان ، وكانت ألسنة

---

(١) الاصحاح الحادي عشر من سفر التكوين ١-٩ .

الناس واحدة ، فهم يتكلمون لغة واحدة .

٢- بني البرج لاظهار عظمة سكان بابل ، فالبرج من قبل الطوفان .

٣- انهم أول من استعمل الطين المشوي للبناء .

٤- لم يبن البرج "صرح غرور" لمحاربة الله كماتزعم قصة ابراهيم .

٥- تبلبل الألسنة كان فيها ، وافتراق الناس الى عدة لغات .

٦- شراح التوراة وكتابها كأنهم لم يعرفوا اللغة العربية ، ولا عرفوا معناها ، ولهذا وقعوا في خطأ بابل وبلبل .

وقد تنبه الى هذا المعنى المغلوط لاسم بابل المؤرخ الناقد ابن خلدون في كتابه التاريخ (وكانت البلبلة ، وهي المشهورة ، وقد وقع ذكرها في التوراة ، ولاأدري معناها ، والقول أن الناس أجمعين كانوا على ألفة واحدة فباتوا ، ثم أصبحوا ، وقد افترقت لغاتهم قول بعيد في العادة الا أن يكون من خوارق الأنبياء ، فهو معجزة حينئذ ، ولم ينقلوه كذلك[٢] .

ويبقى ابن خلدون في رأيه الصائب حول نسبه بابل الى تبلبل الألسنة ، وتخطئه التوراة وشراحها . ويبقى موقفه موقف العالم المدقق حينما يقول لاأدري معنى كلمة بابل ، والسؤال الذي أطرحه لكتاب التوراة مااسم بابل قبل أن تبلبل الألسنة ؟ مرت كلمة بابل في القرآن الكريم ، ولم يشرح عنها شيئا ، وانما مرت شهرتها بالسحر (يعلمون الناس السحر ومأأنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلاتكفر فيتعلمون منهما مايفرق بين المرء وزوجه وماهما بضارين به من أحد الا باذن

(٢) تاريخ ابن خلدون ج٢ ص٦٨ .

الله ويتعلمون مايضركم ولاينفعكم وقد علموا لمن إشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ماشروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون)[٣] .

رأى اليهود في بابل عدوا خطرا أشد خطورة من مصر ، فقد اضطهدهم فرعون مصر ، ومضى اضطهاده ، ولم يبق منه الاالذكرى . أما بابل التي سلطها الله عليهم ، فقد عاملتهم بقسوة ، ولاسيما بعد أن خانوها مرات ومرات ، وتآمروا ضدها ، ورموها في كتبهم بكل سيئة ، ويجب أن يحيق بها كل الشرور ، هذه المدينة التي جعلت منهم أناسا مشتتين في بقاع مختلفة من الأرض ، فلتوصف بكل سيئة ، ومن هنا رأوا يجب أن تكون الهجرة من بابل من الظلم الى أرض فلسطين حيث الأحلام تداعبهم في اقامة دولتهم من جديد ، فلماذا لايسمونها أرض الميعاد ؟ ولماذا وهم يكتبون توراتهم لايدخلون فيها مايلائمهم ؟ ويعتبرون ابراهيم الخليل فر من الظلم كما هم يتمنون الفرار من بابل ، ولماذا لايأخذونه بطريقهم التي ساروا فيها ؟ وينتقل معهم بكل خطوة ، وهم أحرار في أن يسجلوا ماشاؤا من توراتهم دون وازع أو رقيب .

يقول العقاد :"اتفق شراح العهد القديم على تعدد النسخ التي جمعت منها كتبه الخمسة بصفة خاصة وأهم هذه النسخ هي نسخة ابراهيم ، ونسخة يهوه ، أو نسخة المسجلين ، ولا داعي في هذا الصدد لاضافة النسخة المسماة نسخة التثنية ، ومن هذه النسخ ماكتب على أيام المملكة الاسرائيلية ، ومنها ماكتب في المنفى بين النهرين ، ومنها ماكتب قبل الميلاد بنحو ثلاثة قرون ، وأقدمها عهدا بينها وبين عصر الخليل مايبلغ ألف سنة ، وقد اجتهد الكهنة في تكملة الأجزاء التي بين أيديهم ، فقابلوا بين الأخبار المتعددة وتحاموا بعضها

---

(٣) البقرة الآية ١٠٢ .

البعض"[١] .

ويؤيد هذا الرأي قول كتاب التوراة ذاته عن السفر الذي رآه حلقيا الكاهن ، والذي كان مطمورا بالفضة في بيت المقدس ، وجد في عهد يوشيا بعد ثمان عشرة سنة من حكمه ، وهي تقارب الثلاثمائة وخمسين سنة بعد وفاة سليمان . واذا ماعرفنا حكم سليمان كان في نهاية القرن العاشر معنى ذلك كان السفر في القرن السابع ق .م وفي هذا تقول التوراة"فقال حلقيا الكاهن العظيم لشافان الكاتب ، قد وجدت سفر الشريعة في بيت الرب ، وسلم حلقيا السفر لشافان ، وقرأه ، وجاء شافان الكاتب الى الملك ، ورد على الملك جوابا ، وقال قد أفرغ عبيدك الفضة الموجودة في البيت ، ودفعوها الى يد عاملي الشغل وكلاء بيت الرب ، وأخبر شافان الملك قائلا قد أعطاني حلقيا الكاهن سفرا ، وقرأه شافان أمام الملك ، فلما سمع الملك كلام سفر الشريعة مزق ثيابه ، وأمر الملك حلقيا الكاهن ، وأخيقام بن شافان ، وعكبور بن فيحا وشافان ، وعسايا عبد الملك قائلا "اذهبوا اسألوا الرب لأجلي ، ولأجل الشعب ، ولأجل كل يهوذا من جهة كلام هذا السفر الذي وجد لأنه عظيم هو غضب الرب الذي اشتعل علينا من أجل أن أباءنا ، لم يسمعوا لكلام هذا السفر ، ليعملوا حسب كل ماهو مكتوب علينا"[٢] .

والسؤال الذي يطرح أين كان سفر الشريعة هذا ؟ هل كتبه حلقيا ؟ وأظهره ، وفي هذا الوقت لأنهم قد ابتعدوا عن حكم التوراة أو لأنهم نسوها ؟ ومما يدل على عدم معرفتهم بها ، قول الملك :"لأنه عظيم هو غضب الرب الذي اشتعل علينا من أجل أن أباءنا لم يسمعوا لكلام هذا السفر" لهذا أقول

(١) العقاد ابراهيم أبو الأنبياء ص٥٣ .
(٢) سفر الملوك الثاني الاصحاح الثاني والعشرون .

كتبت التوراة كما شاءت أهواؤهم أن يكتبوها ، ولهذا وضعوا ابراهيم في العراق ، وهجروه منها الى كنعان ، وسموها له أرض الميعاد ، وقطعوا في توراتهم عهدا لابراهيم أن أرض كنعان ارث لهم ، ولهم وحدهم مبعدين بأية وسيلة أي ولد من أبناء ابراهيم الخليل . رأوا في بابل حالتهم فأسقطوها على ابراهيم ، ومن هنا صوروا مايحلو لهم أن يصوروا ، فصنعوا النمروذ ، وجعلوه بلبختنصر وبنو الصرح ، وجعلوه لتحدي الاله العلي ، وصوروا كل ماجاء به خيالهم ، وبنيت الأسطورة فكانت تلفيقا في تلفيق وأسمع العقاد حيث يتحدث ويلخص هذه الأسطورة وخلاصتها . ان النمروذ هذا أراد أن يتحدى اله ابراهيم فبنى له برجا عاليا ، وصعد عليه ليناجز الله في سمائه ، ثم طفق يرمي بالسهام حتى عاد اليه سهم منها ، وقد اصطبغ بالنجيع الأحمر ، فخيل اليه أنه أصاب مرماه ، ولكنه لم يلبث أن سقط هو وقومه ونهضوا من سقطتهم ، وهم يتصايحون بكلام لايفهمونه لأن السماء أرسلت عليهم سهاما من الصواعق ، زلزلت البرج أو قوضت أركانه ، فتركتهم في الحال حائرين ، لايدرون مايفعلون ، ومايقولون ، ولايفقه لسامع منهم مايقال له ، أو يفعله في حيرتهم ، قال الرواة سميت المدينة موضع البرج بابل من تبلبل الألسنة والأفكار(٣) .

فماقصة الصرح هذه :

هل بني الصرح لمحاربة الاله كماقال اليهود وأشياعهم ؟ أم بني لغاية جمالية كما ينى الأبراج في المدن الكبرى في الوقت الحالي ؟ . وذكر الصرح في القرآن الكريم لكنه اقترن بفرعون ، ولم يقترن بالنمروذ ، وقد ذكر هذا

---

(٣) العقاد ابراهيم أبو الأنبياء ص٦٩ .

الصرح لمحاربة الله(وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع الى اله موسى واني لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عنه السبيل وما كيد فرعون الا في تباب)[1] . كما أن هذه الآيات قد تكررت في موضع آخر ، وأكدت أن فرعون هو الذي طالب ببناء الصرح ، ولاندري ان كان الصرح قد تم بناؤه أم لا .(وقال فرعون أيها الملأ ماعلمت لكم من اله غيري فأوقد لي ياهامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي أطلع الى اله موسى واني لأظنه من الكاذبين)[2] . ووصف برج بابل من قبل كثير من المؤرخين وحسبي أن أسوق الوصف من مؤرخ حديث يهودي (ول ديورانت) .

"كان أول مايشاهده القادم الى المدينة صرحا شامخا كالجبل يعلوه برج عظيم مدرج من سبع طبقات جدرانه من القرميد الأحمر المنقوش البراق ، يرتفع ٦٥٠ قدما ، فوقه ضريح يحتوي على مائدة كبيرة من الذهب"[3] . ويتابع ول ديورانت آراء أجداده اليهود ، ولايستطيع أن يتحرر منها ، وهو اليهودي العريق ، فلايمحص آراءهم وأقوالهم ، ولاأدري كيف غابت عنه هذه الخرافة فاقتنع بها ، وهو الكاتب الكبير الذي جمع تاريخ العالم وقصة الحضارة بأجزائه المتعددة ، ظل سائرا في طريقهم متتبعا نهجهم فذكر قصة بلبلة الألسن وتسمية بابل لذلك . "وأكبر الظن أن هذا الصرح الشامخ كان أعلى من أهرام مصر وأعلى من جميع مباني العصور ، الا أحدثها عهدا هو برج بابل الذي ورد ذكره في القصص العبري الذي أراد به أهل الأرض ممن لايعرفون يهوه أن

---

(١) غافر آية ٣٦- ٣٧ .

(٢) قصص آية ٣٨ .

(٣) قصة الحضارة ج٢ ص١٩٧ .

يظهروا كبرياءهم به ، فبلبل رب الجيوش ألسنتهم"[٤] . والغريب كيف تابع ول ديورانت هذا الرأي دون تمحيص ، وهو المؤرخ الواسع الاطلاع أهو التقيد باغلال الدين أم هو التعصب لبني جلدته ؟ وكاتب التاريخ اليهودي في التوراة خلط خلطا هائلا في كتابته فقد قرر أكثر كتاب اليهود أن ابراهيم ولد في اور الكلدانية والحرق تم بها ، وبناء الصرح للنمروذ تم بها ثم نراهم يصغون الصرح ويقررونه أنه كان ببابل ، ولست الوحيد الذي انتبه الى خلط كتاب التاريخ اليهودي ، واساطيرهم بل ان كثيرين من المفكرين قد وصلوا لذلك الخلط ، وعرفوه ، ونبهوا اليهم ، وفي هذا الصدد يقول العالم الألماني الدكتور مورتكارت :"لايمكن الاعتماد من الناحية العلمية على أساطير التوراة اذ برهنت الأبحاث الأثرية على عدم صحة أكثر تلك الأساطير التي وردت فيها ، كما توجد أبحاث تبرهن عكس هذه الأساطير"[٥] . ويضيف اكستاين أعلم علماء المسيحية في القرن الرابع "ان اليهود حرفوا النسخة العبرانية من التوراة ، وخاصة ، ماورد في بيان زمان الذين ماقبل الطوفان الى زمن موسى . . فعلوا هذا لتصير النسخة اليونانية غير معتبرة"[٦] .

كما نبه صاحب تتمة المختصر في التاريخ الى وجود ثلاث نسخ للتوراة يختلف بعضها عن بعض ، ويضارب بعضها بعضا ، وخلافاتها جوهريا ، وقد أشار أكثر من مرة الى خلافات التوراة نسخها .

أما الكاتب الحديث الأستاذ مصطفى محمود فقد قال :"ومعلوم أن النسخ الثلاثة الأصلية المعتمدة من التوراة ، وهي النسخ العبرانية ، واليونانية ،

---

(٤) قصة الحضارة ج٢ ص١٩٧ .
(٥) العرب واليهود في التاريخ ج١ ص٢٧٤ د . أحمد سوسة .
(٦) التوراة ص١٠٥ مصطفى محمود .

والسامرية . . وبها خلافات جوهرية"[١] . ويقول في مكان آخر :"اتفق أهل العلم على أن نسخة التوراة الأصلية وكذلك نسخ كتاب العهد العتيق ضاعت من أيدي عسكر بتخنصر ، ولما ظهرت نقولها الصحيحة بواسطة عزرا ، ضاعت تلك النقول أيضا في حادثة انتيوكس"[٢] .

١٠ ــ رحلته الى مصر .

مصر هذه الكلمة لغويا تعني البلد ، والقول المشهور أنهم مصروا الأمصار ، فالأمصار جمع مصر ، وكلمة مصر تطلق على كل مدينة في الأرض دون استثناء[٣] .

---

(١) التوراة ص١٠٥ مصطفى محمود .

(٢) التوراة ص١١٠ مصطفى محمود .

(٣) قال صاحب اللسان في مادة مصر "الجوهري مصر هي المدينة المعروفة تذكر وتؤنث وعن ابن السراج والمصر واحد الأمصار ، والمصر الكورة ، والجمع أمصار ، ومصروا الموضع جعلوه مصرا ، وتمصر المكان صار مصرا ، ومصر مدينة بعينها سميت ذلك لتمصرها ، وقد زعموا أن الذي بناها انما هو المصر بن نوح عليه السلام . قال ابن سيده :ولاأدري كيف ذاك ، وهي تصرف ، ولاتصرف . قال سيبويه في قوله تعالى "اهبطوا مصرا" قال بلغنا أنه يريد مصر بعينها . التهذيب في قوله اهبطوا مصرا قال أبو اسحق الأكثر في القراءة اثبات الألف قال وفيه وجهان جائزان ، يراد بها مصر من الأمصار لأنهم كانوا في تيه ، قال وجائز أن يكون المراد مصر بعينها ، فجعل مصرا اسما للبلد فصرف لأنه مذكر ، ومن قرأ مصر بغير ألف أراد مصر بعينها ، كماقال ادخلوا مصر ان شاء الله ، ولم يصرف لأنه اسم المدينة ، فهو مذكر سمي به مؤنث ، وقال الليث المصر في كلام العرب كل كوره ، تقام فيها الحدود ، ويقسم فيها الفيء والصدقات من غير مؤامرة للخليفة . وكان عمر ←

وقد أوردت التوراة رحلة ابراهيم الى مصر ، فأي مصر المقصودة هنا ؟ أهي مصر المعروفة أم هي مصر أخرى ؟ وقد وردت على النحو التالي :

"وحدث جوع في الأرض فانحدر ابرام الى مصر ليتغرب هناك ، لأن الجوع في الأرض كان شديدا ، وحدث لما قرب أن يدخل مضر ، قال لساراى امرأته "اني علمت أنك امرأة حسنة المنظر ، فيكون اذا رأك المصريون ، أنهم يقولون هذه امرأته ، فيقتلونني ، ويستبقونك . قولي انك أختي ، ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك" . فحدث لما دخل ابرام الى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة ، ورآها رؤساء فرعون ، ومدحوها لدى فرعون ، فأخذت المرأة الى بيت فرعون ، فصنع الى ابرام خيرا بسببها وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد واماء واتن وجمال . فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة

← رضي الله عنه مصر الأمصار بمافيها البصرة والكوفة . وقال الجوهري فلان مصر الأمصار كمايقال مدن المدن . وقوله : (وأدمت خبزي من صيير من حير مصرين أو البحير) أراد انما عني مصر هذه المشهورة ، فاضطرب اليها فجمعها ، على حد سنين . قال ان سيدة وانما قلت أنه أراد مصر ، لأن هذه الصير قلما يوجد الابها ، وليس من مآكل العرب .

وقد رواه بعضهم من صير مصرين ، كأنه أراد المصريين فحذف اللام والميم ، والمصران الكوفة والبصرة قال ابن الاعرابي قيل لهما المصران لأن عمر رضي الله عنه قال : لاتجعلوا البحر فيما بيني وبينكم ، مصروها أي صيروها مصرا بين البحر وبيني . أي حد والمصر الحاجز بين الشيئين وفي حديث مواقيت الحج لمافتح هذان المصران . والمصر البلد ويريد بهما البصرة والكوفة .

ملاحظة :

وقد وردت أسماء مصرين ج مصر في عدة أماكن فمعان مصريم وردت في الآثار (معان) ومصريم جمع مصر بزيادة الياء والميم . كماوردت في سورية بلدة اسمها معرة مصرين وهي جمع مصر العربية وهو جمع مذكر سالم .

بسبب امرأة ابرام ، فدعا ابرام ، وقال ماهذا الذي صنعت بي لماذا لم تخبرني أنها امرأتك ، لماذا قلت هي أختي حتى أخذتها ، لتكون زوجتي ، والآن هو ذا امرأتك خذها ، واذهب ، فأوصى عليه فرعون رجالا فشيعوه وامرأته وكل ماكان له"[1] .

هذه القصة وردت في التوراة ثلاث مرات بالمضمون ذاته ، لكنها تختلف في شخصياتها ، هذا التناقض الرهيب والمفضوح الذي جعلنا نشك في ماكتب في التوراة ، وأن أقف مع الناقدين .

"بل هناك محل للتحفظ الشديد في قبول الرواية الاسرائيلية لأنها امتزجت بسياسة الملك والتنازع عليه ، وكل دعوى اللملكة الاسرائيلية في الزمن القديم قائمة على الأسلوب الذي كتبت به سيرة الخليل في أيامه الأخيرة على التخصص"[2] .

ولهذا ماعلى القارىء الا أن يلغي من أفكاره كل خلفية مسبقة عن صحة الأقوال ، ويناقشها بشكل موضوعي ، وهادىء ، ليرى التناقض الذي وقع به كتاب التوراة وشراحها .

وردت القصة عن سارة أيضا "وانتقل ابراهيم من هناك الى أرض الجنوب ، وسكن بين قادش وشور ، وتغرب في جرار ، وقال ابراهيم عن سارة امرأته "هي أختي" فأرسل أبي مالك ملك جرار ، وأخذ سارة ، فجاء الله الى أبي مالك في حلم الليل ، وقال له "هاأنت ميت من أجل المرأة التي أخذتها ، فانها متزوجة" ، ولكن لم يكن أبي مالك قد اقترب اليها ، فقال ياسيد أأمة باره

(١) التكوين الاصحاح التاسع عشر .
(٢) العقاد ابراهيم أبو الأنبياء ص١٨

تقتل ؟ ألم يقل لي هو أنها أختي ؟ وهي أيضا نفسها قالت هو أخي ؟ بسلامة قلبي ، ونقاوة يدي ، فعلت هذا ، "وأنا أيضا أمسكتك عن أن تخطىء الي ، لذلك لم أدعك تمسها ، فالآن رد امرأة الرجل ، فانه نبي فيصلي لأجلك فتحيا ، وان كنت لست تردها فاعلم أنك موتا تموت أنت وكل من لك" . فبكر أبي مالك في الغد ، ودعا عبيده ، وتكلم بكل هذا الكلام في مسامعهم ، فخاف الرجال جدا ، ثم دعا أبي مالك ابراهيم ، وقال له :"ماذا رأيت حتى عملت هذا ؟" . فقال ابراهيم :"اني قلت ليس في هذا الموضوع خوف الله البته ، فيقتلونني ، لأجل امرأتي ، وبالحقيقة هي أختي ابنة أبي غير أنها ليست ابنة أمي ، فصارت لي زوجة وحدث لما أتاهني الله عن بيت أبي ، اني قلت لها هذا معروفك الذي تصنعين الي في كل مكان نأتي اليه قولي عني هو أخي . فأخذ أبي مالك غنما وبقرا وعبيدا واماء ، وأعطاها لابراهيم ورد اليه سارة امرأته ، وقال أبي مالك هو ذا أرضي قدامك اسكن في ماحسن في عينيك ، وقال لسارة اني قد أعطيت أخاك ألفا من الفضة هاهو لك غطاء عين من جهة كل ماعندك وعند كل واحد فأنصفت . فصلى ابراهيم الى الله ، فشفى الله أبي مالك وامرأته وجواريه ، فولدن لأن الرب كان قد أغلق رحم البيت أبي مالك بسبب سارة امرأة ابراهيم"(٣) .

وردت هذه القصة مع أبي مالك وليس مع فرعون والاسم هنا سارة ، ولم يتغير اسم سارة الا بعد أن وافت فوق الثمانين من العمر ، ولن أناقش القصة الآن ، وانما سأناقش ذلك بعد ورود القصة الثالثة ."وكان في الأرض جوع غير الجوع الأول الذي في أيام ابراهيم ، فذهب اسحق الى أبي مالك ملك فلسطين الى جرار ، وظهر له الرب ، وقال لاتنزل الى مصر اسكن في الأرض التي أقول

(٣) سفر التكوين الاصحاح العشرون .

لك تغرب في هذه الأرض ، فأكون معك ، وأباركك لأني لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد ، وافي بالقسم الذي أقسمت لابراهيم أبيك وأكثر نسلك كنجوم السماء ، وأعطي نسلك جميع هذه البلاد ، وتتبارك في نسلك جميع أمم الأرض من أجل أن ابراهيم سمع لقولي ، وحفظ مايحفظ لي أوامري وفرائضي وشرائعي . فأقام اسحق في جرار . وسأله أهل المكان عن امرأته ، فقال "هي أختي" لأنه خاف أن يقول "امرأتي" لعل أهل المكان يقتلونني من أجل رفقة ،لأنها كانت حسنة المنظر ، وحدث اذ طالت الأيام هناك أن أبي مالك ملك الفلسطينيين أشرف من الكوة ، ونظر واذا اسحق يلاعب رفقة امرأته ، فدعى أبي مالك اسحق ، وقال انما هي امرأتك ، فكيف قلت لي هي أختي ؟ فقال له اسحق : لأني قلت لعلي أموت بسببها . فقال أبي مالك ماهذا الذي صنعت بنا لولا قليل لأضطجع أحد الشعب مع امرأتك ؟ فجلبت علينا ذنبا . فأوصى أبي مالك جميع الشعب قائلا الذي يمس هذا الرجل أو امرأته يموت موتا"(٤) .

قصص ثلاث بعضها يؤدي الى بعض وبعضها يناقض بعضا فالقصة الأولى تشير الى حوادثها بمصر وبطلها فرعون وتشير الحادثة الى أن سارة نامت عند فرعون أياما عديدة وغنم ابراهيم من وراء ذلك ابلا وغنما . . وضرب الرب ضربات من أجل سارة حتى أعادها اليه .

والقصة الثانية تقول ابراهيم وسارة ولم تقل بهذين الاسمين الا بعد عمر مديد ، وكانا شيخين ورغم ذلك أوردت التوراة هذه القصة في سهل جرار في جنوب كنعان غير أن هذه القصة تبدو أخف وقعا من الأولى فهنا أبي مالك لم ينل سارة وانما أتاه الله في المنام .

---

(٤) سفر التكوين الاصحاح السادس والعشرون .

ولكني أتسأل لماذا أغلق الله كل رحم في بيت أبي مالك بسبب سارة ؟ فهل أغلقت الأرحام في هذه الأيام التي أتت سارة ؟ أم من قبل ؟ وثم فتحه الله بعد مضي سارة ؟ ولم تبت طويلا عند أبي مالك ثم ماذنب أبي مالك فيماحدث ؟ .

وأتسأل أيضا كيف قال ابراهيم انها بالحقيقة أخته من أبيه ، وليست من أمه ، فهل الأسرة عند اليهود حين سجلوا توراتهم أسرة أم أم أسرة أب ؟ وفي هذا دليل واضح على اسقاط شريعة اليهود على ابراهيم ، فهم يعتبرون الأم هي الأصل ولايعتبرون الشخص يهوديا الا اذا كانت أمه يهودية ثم كيف سمحوا لابراهيم أن يتزوج أخته ، ولو كانت لأبيه علما أن الشريعة اليهودية ، لاتسمح بذلك علما أن الاسلام نفى نسبة اليهودية الى ابراهيم بقوله تعالى (ماكان ابراهيم يهوديا ولانصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وماكان من المشركين) .

واني لأتسأل من جديد هل تجوز الأخت غير الشقيقة في شريعة اليهود ؟ .

هذه أسئلة لابد منها لكل من يقرأ التوراة ، وقبل أن أجيب أحب أن أتابع آراء من كتبوا .

أ ـ مواقف علماء اليهودية ساروا على نهج التوراة دون أن يحيدوا عنها قيد أنملة ينقل لنا هذا الرأي عباس العقاد : "ثم يسترسل كاتب التعليقات فيقول أن بعض العبريين قد وصل في هجرة بعضهم الى أرض جاثان مصر ، ويرجح أن دخولهم لأول مرة كان في عهد الرعاة ، أو الهكسوس بين القرن الثامن عشر والسابع عشر قبل الميلاد على وجه التقريب"(١) .

---

(١) العقاد ابراهيم أبو الأنبياء ص٩٨ .

كاتب تعليقات ابنجدون قرر بشكل تام الرحلة الى مصر ، واعترف بها ، ودافع عنها ، ومن ثم حدد زمنها .

أما وليم نيكلسون في الموسوعة فقد أقر حادثة سارة ، واعتبر كاتب التوراة كان واقعيا وصادقا وقرر صدق هذه الواقعة ، ولم يدافع عنها ، فقال وليم نيكلسون في الموسوعة تحت مادة ابرام "ان ملك ابرام هو أحد المواقف التي تميل الى اسدال الستار عليها في سيرة هذا الرجل الجليل ، لقد كان عملا لايوائم مقام تلك الشخصية العظيمة ، ولاجرم ففي وجه الشمس سفعات وهذا دليل على صدق تاريخ الكتاب ، وأن مؤرخيه لم يستروا نقصا في أحسن الناس"(٢) .

ب ـ علماء المسلمين وموقفهم من هذه القصة .

قسم علماء المسلمين ومفسروهم الى جبهتين كبيرتين :

١ـ الجبهة الأولى : سارت وراء ركاب التوراة وشراحها ، وأخذت منهم مايلائم ، ومالايلائم ، فنقلت نقل الغبي دون أن تفكر فيماتقول فسارت على غير هدى .

٢ـ الجبهة الثانية سارت بهدى وعقل ونقلت ولكنها نبهت الى الخطر وعرفت به .

وبين هذين الاتجاهين وجد الكثير من هذه الآراء ، وأحب أن أسوق بعض الأمثلة لهذه المواقف .

قال صاحب كتاب التفسير والمفسرون "تنقسم الأخبار الاسرائيلية الى

---

(٢) العقاد ابراهيم أبو الأنبياء ص٩٨ .

أقسام ثلاثة وهي كمايأتي :

أ ـ مايعلم صحته بأن نقل عن النبي /ص/ نقلا صحيحا وذلك كيقين اسم صاحب موسى /ع/ بأنه الخضر فقد جاء هذا الاسم صريحا على لسان رسول الله /ص/ عند البخاري . أو كان له شاهد من الشرع يؤيده وهذا القسم صحيح مقبول .

ب ـ القسم الثاني مايعلم كذبه بأن يناقض ماعرفناه من شرعنا ، اذ كان لايتفق مع العقل ، وهذا القسم لايصح قبوله ولا روايته .

ج ـ ماهو مسكوت عنه ، لاهو من قبيل الأول ، ولاهو من قبيل الثاني ، وهذا القسم نتوقف فيه ، فلانؤمن به ، ولانكذبه ولاتجوز حكايته لماتقدم من قوله /ص/ "لاتصدقوا أهل الكتاب ولاتكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبما أنزل الينا"(٣) .

وسنناقش الموقفين بعد أن نورد رأي الذين ساروا في ركاب التوراة أولا ، ورأي الذين وقعوا وحققوا ثانيا .

١ـ ذكر الطبري هذه القصة في تاريخه المشهور ، تاريخ الرسل والملوك كماهي في التوراة عند فرعون ، وقد ذكر الطبري كماهو عادته عدة أسماء لفرعون ابراهيم . ولم يعرج على قصة أبي مالك وسارة ، ويقول الطبري أن سارة أجمل نساء عصرها ، ولهذا خاف ابراهيم على نفسه ، فقال انها أختي .

وأغرق الطبري في الخيال ، فقد كشف الله بصيرة ابراهيم ، ليرى مايصنع فرعون ، فكان كلما مد يده يبست ، ويطلب فرعون من سارة أن

(٣) التفسير والمفسرون ج١ ص١٧١ .

تدعو الله يشفيه ، ويتوب ، وفعل ذلك سبع مرات ، فارتد فرعون عنها ، ولم يمسها ، وأعادها الى ابراهيم بعدما عرف الحقيقة ، وأهداها كثيرا من الهدايا ، ومنها هاجر[1] .

---

(١) انظر الطبري ج١ ص٢٣٣ ومابعدها :
أ ـ اسم فرعون عنده :
١ـ الضحاك الظالم .
٢ـ سنان بن علوان .
٣ـ ملك العماليق .
ب ـ ابن الأثير في كتابه الكامل قال ان الضحاك وهو من اليمن وأنه أول الفراعنة وكان ملك مصر لماقدمها ابراهيم .
ج ـ ابن العبري ذكر القصة كمارواها الطبري وحدد عمر ابراهيم في الخامسة والثمانين وذكر اهداء هاجر . وعلى هذا فسارة عمرها خمسا وسبعين سنة .
د ـ طبارة أشار الى رحلة مصر وأخذ سارة ولكنه لم يسم فرعون .
هـ ـ أما صاحب البداية والنهاية فقد قال "ذكرت بعض التواريخ أن فرعون مصر أخو الضحاك الملك المشهور بالظلم ، وكان عاملا لأخيه على مصر ، وكان يقال له سنان بن علوان" وذكر ابن هشام في التيجان أن الذي أرادها عمرو ابن امرىء القيس بن بابليون بن سبأ .
و ـ وقال صاحب كتاب النبوة والأنبياء :أن فرعون أخذ سارة حينما قال ابراهيم : انها أخته ، ودافع صاحب الكتاب عن عفاف سارة ، ومن ثم عادت الى ابراهيم نقية بعد أن أهداه هاجر ورد الله كيد الكافر في نحره . ويضيف الصابوني بعد هذا قولا لأبي هريرة فتلك أمكم يابني ماء السماء فعصمها الله وصانها اكراما لخليله .
ح ـ ويعلق صاحب قصص القرآن على فرعون مصر ، فيقول انه من العماليق ، ولم يقل من الهكسوس "ومن ثم زينت سارة ، وزفت الى فرعون" وخلط بين قصة أبي مالك ، وفرعون ، فأطلق سراحها بعد أن رأى في المنام ، مارأى وأهداها كثيرا .
ط ـ أما ابن اياس الحنفي فقد سمى فرعون طوطيس ، ولعله حرف اسم ←

اما الذين خالفوا رأي التوراة فهم كثر نذكر منهم الأستاذ عبد الحميد جودة السحار[٢] .

أورد القصة نقلا عن يوسيفوس اليهودي واختلف في القصة عن التوراة اختلافا واسعا ، فقد تصور أن الفلسطينيين استنجدوا بمصر للقضاء على ابراهيم ، وجيشه خاصة بعد أن انتصر على امرافل ، وخافوا من انتصاره عليهم ، فجهز فرعون جيشا ، وغزا ابراهيم ، واستاق فرعون أسرى ومن جملتهم سارة زوجة ابراهيم ، وذهب ابراهيم الى مصر لفدائها سنة

← تحوتمس ، واتحفنا في تحفة من غرائب خيالية ، فوضع ابراهيم سارة في صندوق خوفا عليها من فرعون ، وكشفت سارة ، فأخذها المصريون الى فرعون ، والبقية معروفة .

ي ـ يخالف العلام الجرداني رأي التوراة في سبب الرحلة الى مصر ، فبين أن القصد التجارة وليس الجوع ويصف سارة بأنها كانت ذات حسن وجمال حتى لم يكن في زمنها أجمل منها ، وقد سار مع ابن اياس الحنفي في قضية الصندوق ، وأخذها الملك قهرا ، ويكشف الله عن بصيرة ابراهيم ، ووهبه جارية تسمى هاجر ، وأعاد له سارة .

يا ـ السحار قال انه سنان بن الأشل بن عبيد ملك الهكسوس ، ويحدد الهكسوس بأنهم من العرب الرعاة ، حكموا مصر قبل ابراهيم ، وهذا يعني أن الهكسوس ، لاينتمون الى المصريين واليهود بصلة ويتابع السحار جولة ابراهيم التوحيدية في مصر حتى يشملها جميعها وذلك في عهد الهكسوس . وعلى هذا فيكون دخول الهكسوس قبل القرن العشرين ق .م .

يب ـ النويري صاحب كتاب نهاية الأرب ، أورد حكام مصر في زمن ابراهيم ، كانوا من العماليق وهم غير الفراعنة الأصليين ، وأطلق عليهم أسماء عربية خالصة ، وقد ظل العماليق يحكمون مصر حتى مابعد موسى في القرن الثالث عشر .

(٢) محمد رسول الله والذين معه ج١ ص١١٢ .

١٧٥٠ق .م ، ولما رأى الملك كرامة سارة على الله ، أهداها هاجر زوجة فرعون مصر المخلوع ، وأكرم ابراهيم بعد أن دعاه الى الله(١) . وأحب أن أنبه

(١)هذه القصة أشبه بقصة قبيز حينما خطب ابنة فرعون فزوجه فرعون الحاكم من امرأة فرعون المخلوع . ولي على هذه القصة مايلي :
أ ـ كان سكان كنعان يستنجدون بابراهيم وينجدهم وهذا ماروته التوراة في حائثة امرافيل وملك سدوم وعمورة .
ب ـ لماذا أهدى فرعون هاجر زوجة فرعون المخلوع ؟
ج ـ لم يبين السحار كيف حصلت كرامة سارة .
د ـ لم تعرف رسالة التوحيد طريقها الى مصر الا في زمن أخناتون ولم يكن أخناتون في زمن ابراهيم .
ودعوة ابراهيم التوحيدية في مصر ماعرفنا لها سندا تاريخيا .
وقد قال واعتمدت كذلك على يوسيفوس عندما ذكرت أن سارة أخذت أسيرة الى مصر وتركت ماورد في التوراة من أنه حدثت مجاعة في الأرض فانحدر ابرام الى مصر ، اني علمت أنك امرأة حسنة الوجه . وقد أهملت هذه الرواية عن عمد لأنها لاتتفق مع خلق ابراهيم خليل الرحمن الذي وقف في وجه الجبارين ولم يرهب الطغاة ، الرجل الذي القي به في النار وهو ثابت الجنان ، فكيف بمثل هذا رجل كابراهيم يعرف أن الله معه فيبرز مكانة زوجته ويدخلها على فرعون مصر لينال خيرا بسببها .
هـ ـ أما الفخر الرازي فانه ينفي الحادثة أصلا ولايرى في ذلك الا قدحا في النبوة والأنبياء وقد رد ردا كبيرا على مدعي هذه الدعوى وقال أن من يقبل بهذه القصص يكون كمن لاعقل له ولامنطق .
و ـ وينبه ابن كثير في تفسيره الى وجوب الاحتياط حينما نسمع هذه القصص ويقول هذا الكلام من وهم الاسرائيليات لاأصل له في القرآن ولافي السنة .
ز ـ وينفي الألوسي صاحب معاني القرآن هذه القصة نفيا تاما ويرى أنها قدح ←

هنا الى حديث ورد في صحيح البخاري وبعض السنن أيضا ولأدري كيف تسرب الى هذه الكتب ، ولم يناقشه هؤلاء جميعا ، ولم يعترضوا عليه .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله /ص/ أن ابراهيم لم يكذب سوى ثلاث كذبات اثنتين منهما في آية الله عز وجل اني سقيم ، وقوله بل فعله كبيرهم هذا . وقال بينما هو ذات يوم وسارة اذ أتى على جبار من الجبابرة ، فقيل له ان ههنا رجلا معه امرأة من أحسن الناس ، فأرسل اليه ، فسأل عنها فقال من هذه ، فقال أختي ، فأتى سارة قال ياسارة ليس لي على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك وان هذا سألني ، فأخبرته أنك أختي ، فلاتكذبيني ، فأرسل اليها ، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده ، فأخذ فقال ادعي الله ، ولاأضرك فدعت الله ، فأطلق ثم تناولها ثانية ، فأخذ مثلها أو أشد ، فقال ادعي الله لي ، ولاأضرك ، فدعت فأطلق فدعا بعض خدمه فقال انكم لم تأتوني بانسان ، انما أتيتموني بشيطان ، فاخدمها هاجر فأتته ، وهو قائم يصلي ، فاوما بيده مهيه . قالت رد الله كيد الكافر أو الفاجر في نحره وأخدم هاجر .

قال أبو هريرة تلك أمكم يابني ماء السماء[1] .

وهناك حديث آخر عن أبي هريرة قال أتي النبي /ص/ يوما بلحم ، فقال : ان الله يجمع يوم القيامة الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيسمعهم

← في النبوة .

ح ـ أما ابن خلدون فقد أبعد وقوع الحادثة مع ابراهيم عليه السلام بل مع أي بشر آخر .

(١) صحيح البخاري ج٤ ص١٤١ .

الداعي ، وينفذهم البصر ، وتدنو الشمس منهم فذكر هوية الشافعة ، فيأتون ابراهيم ، فيقولون أنت نبي الله ، وخليله في الأرض اشفع لنا الى ربك فيقول ، فذكر كذباته نفسي نفسي(٢) .

ويقول في هذا الكاتب الأستاذ محمود السحار : ان هذه الأحاديث آحاد ، لايؤخذ بها لأن فيها قدح في النبوة . ويقول :"وعندي ان هذه الأحاديث من الأحاديث التي افتريت على رسول الله محمد /ص/ أكيس من أن يتهم ابراهيم بالكذب ، ولايقبل به المنطق السليم صدور مثل هذا الحديث عن محمد /ص/ الذي يدعو المسلمون في صلواتهم أن يعملي الله على محمد كمايصلي على ابراهيم ، ويستمر الحديث مطابقا كماجاء في التوراة .

وأرى أن بعض من أسلم من اليهود ، وقد اختلق هذا الحديث ، وهو يجد أنه يؤدي خدمة للاسلام ولرسول المسلمين . فقد كان في ذلك الوقت مسلمون كثيرون غير ابراهيم وسارة فقد جاء في القرآن(فآمن له لوط) وكان ايمانه قبل أن يذهبوا الى الشام ، وقبل أن يدخلوا مصر .

وكل ماجاء في القرآن الكريم عن ابراهيم ينفي امكان وقوع مثل هذه السقطة التي ترفع عنها أناس ، لاهم رسل ، ولاهم أحباء الله كما أن الكذب صفة مذمومة لايمكن نسبتها الى الأنبياء .

كان ابراهيم أسوة حسنة ، وأنه لمن الكذب أن تنسب اليه مثل هذه السقطة ، وممايدل على كذبها أنها ذكرت مرة أخرى في التوراة بألفاظها ، عندما انتقل من سدوم الى أرض الجنوب ، وسكن بين قادش وشور ، وتغرب في جرار عند أبي مالك(٣) .

---

(٢) صحيح البخاري ج٤ ص١٤١ .

(٣) السحار محمد رسول الله والذين معه ج١ ص٣٥١ ومابعدها وكذلك ج٢ تذييل .

وقد رد الامام الفخر الرازي على هذا الحديث وفند الكذبات الثلاثة .

١ـ اني سقيم .

٢ـ بل فعله كبيرهم(٤) .

وقال أيضا "واعلم أن شيئا من هذه الروايات لم يدل عليه القرآن ، ولم يثبت أيضا في خبر صحيح وتفسير ، كتاب الله لايتوقف على شيء من هذهالروايات فالأولى بالعاقل أن يحترز من ذكرها واعلم أن بعض الحشوية روي عن النبي /ص/ أنه قال : ماكذب ابراهيم عليه السلام الا ثلاث كذبات . فقلت الأولى :أن لاتقبل مثل هذه الأخبار ، فقال : على طريق الاستنكار ، فان لم نقبل لزمنا تكذيب الرواة . فقلنا له يامسكين ان قبلناه لزمنا الحكم بتكذيب ابراهيم عليه السلام ، وان رددناه لزمنا الحكم بتكذيب الرواة . ولاشك أن صون ابراهيم عن الكذب أولى من صون طائفة من الجاهيل عن الكذب(٥) .

ومن أراد تفصيل رد الامام الرازي فعليه مراجعة التفسير وعصمة الأنبياء أما أنا فأرد الحديث لعدة نقاط . هناك خلاف بين الحديث والتوراة في المكان واسم الملك ممايدل أن ناقل الحديث ذكي حتى لايقال أنه نقل من التوراة .

أما النقاط التي آخذها على الحديث :

١ـ حرم الكذب على المسلمين نهائيا فقد ورد في الحديث : هل المسلم يزني ؟ قال قدهل يسرق ؟ قال قدهل يشرب الخمر ؟ قال قدهل يقتل ؟ قال

---

(٤) ارجع الى فصل قصة ابراهيم في هذا الكتاب ولا حاجة الى العودة من جديد لنقدلها وانظر الى عصمة الأنبياء للامام الفخرالرازي .

(٥) التفسير الكبير ج١٨ ص١١٩ .

قدهل يكذب ؟ قال لا . فالكذب ينفي صفة الاسلام عن الانسان فكيف عن الرسول .

٢ـ يرد الحديث ان كان يدعو الى شرك أو يرمي الرسل وهذا الحديث يرد من هذا الباب .

٣ـ عرفنا في ابراهيم رجل حق ، لايخاف الا الله وقد تعرض للحرق ، ولم يبال ، وقد حول الله النار الى برد وسلام فكيف يخاف ابراهيم من أي جبار آخر وقد جرب الله ورآه معه ؟

٤ـ لايمكن لانسان عادي أن يسلم امرأته الى أي جبار كان في الأرض ، واذا ماأخذت رغما عنه ، فله تصرف آخر ، فقد يترك المصر الذي قدم اليه .

٥ـ عرف ابراهيم أن ملك مصر يأخذ الزوجات ، فكيف لم يحول وجهة نظره ، وينصرف عن هذا المصر .

٦ـ قد يحتج محتج أن الجوع دفع ابراهيم للنزول الى مصر ، وليحدث له مايحدث أقول أن من كان يؤمن ايمان ابراهيم ، لايمكن أن يقع في هذه المشكلة ، ويتحمل مايقع .

هو القائل في القرآن الكريم (قال أفرأيتم ماتعبدون أنتم وآباؤكم الأولون ، فانهم عدو لي الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين)[1] .

ليس هذا المؤمن هو الذي يندفع وراء طعام لاذلال نفسه بالكذب تارة ، وبتسليم زوجته تارة أخرى ، وقد يقول قائل ان الله عصمها من فرعون ،

(١) سورة الشعراء الآية ٦٠ ـ ٦٧ .

ولكنني أقول أن التوراة لاتقول هذا ، وتقول وضرب الرب فرعون وبيته ضربات من أجل سارة ، ويعني ذلك أنه قد قام بالعمل المحظور .

٧- ورد في الحديث عن الرسول /ص/ :"انه لايشم ديوث رائحة الجنة وان ريحها لتشم من سبعين خريفا قالوا ومن الديوث يارسول الله قال من يرضى أن تشيع الفاحشة في أهله" .

وهل أكبر من أن يسلم الانسان زوجته الى رجل آخر ، ويأخذ من وراء ذلك خيرا كثيرا .

بعد هذه النقاط التي أوردتها أقول أن الرحلة كلها لم تتم ، ولايمكن أن تتم في هذا الشكل ، فابراهيم ليس الراعي الذي يهتم بدنياه فقط دون الاهتمام بآخرته .

مصر

أين تقع مصر ؟

سؤال مهم وواضح ، وقد يستغرب بعض الناس هذا السؤال . هناك مصر أخرى غير مصر هذه . لقد رأينا في تفسير مصر أن هذه الكلمة تعني كل مدينة ، أو اقليم يقام فيها الحدود دون الرجوع الى السلطات ، وتجمع مصر في اللغة العربية على أمصار كما تجمع في اللغات السامية مصرين أو مصريم وبعد تنقيب طويل في طيات الكتب وصفحاتهاوجدت مايلي :

١ـ هناك مصر هبة النيل ، وهي المعروفة ، والمشهورة وأغلب الظن أن هذه ليست هي المطلوبة للنقاط التالية :

أ- خرج بنو اسرائيل من مصر بعد أن أغرق الله فرعون ثم عبدوا العجل ، وأخذتهم الصاعقة وأنزل الله لهم المن والسلوى ، فرفضوه ، لنسمع الى هذه الآية الشريعة .

(واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادعو لنا ربك يخرج لنا مماتنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ماسألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون

النبيين بغير الحق ذلك بماعصوا وكانوا يعتدون)[1] .

ولايعقل أن يهبطوا مصر بعد أن خرجوا منها ، فهناك اذن ، مصر أخرى ، أو قل أي مدينة يمكن أن تسمى مصر .

٢ـ قالت التوراة في سفر التكوين الاصحاح الخامس عشر (في ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقا قائلا : لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات) ولو كانت مصر هبة النيل لذكر النهر الكبير نهر النيل ، وانما اغفال الاسم وتصغيره أمام نهر الفرات فهي اذن ، مصر غير المعروفة لدينا .

٣ـ وقالت التوراة في السفر ذاته الاصحاح الثالث عشر (فصعد ابرام من مصر هو وامرأته ، وكل كاكان له ولوط معه الى الجنوب ، وكان ابرام غنيا جدا في المواشي ، والفضة والذهب ، وسار في رحلاته من الجنوب الى بيت ايل) . ولو كانت مصر المعروفة لأشار الى قطعه وعبوره من صحراء سيناء ومصر هي غرب صحراء سيناء ، وسيناء جنوب فلسطين فالى أين اتجه جنوبا بعد ذلك ؟ .

٤ـ وقالت التوراة في السفر ذاته (وحدث جوع في الأرض فانحدر ابرام الى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع في الأرض كان شديدا) ، ومصر ليست أقل ارتفاع عن سطح أرض فلسطين ،أو من أرض عربه التي تحيط بها الجبال حتى ينحدر اليها .

٥ـ وردت كلمة معان مصريم معان مصرية في التنقيبات ، ومعان بعيدة عن مصر المعروفة .

---

(١) البقرة الآية ٦١ .

هذه النقاط الخمس تجعلنا نفكر في أية مصر المقصودة في التوراة ، والتي جرت فيها الحوادث ، ولنسمع رأي المؤرخين ضاربين الصفح عن آراء الاخباريين العرب لأنهم تابعوا التوراة دون أن يعلقوا عليها أدنى تعليق .

الدكتور أحمد سوسة في كتابه العرب واليهود في التاريخ (والغاية الأساسية التي كان يرمي اليها مدونو التوراة من وراء ربط اليهود بمصر ابراهيم ، وتأكيدها على ذلك مرارا في سفر التكوين هي ارجاع تاريخ بقايا بيت يهوذا ، وعزوا نسبهم الى ابراهيم الخليل مباشرة واعتبار ابراهيم الخليل الذي كانت قد انتشرت شهرته في الآفاق في تلك الأزمان لنبي عظيم رئيسهم الأعلى قبل أن يظهروا الى عالم الوجود ، وهذا يفسر لنا كيفية شيوع التقليد الذي تؤكده الكتابات اليهودية قديما وحديثا ، ان ابراهيم الخليل غادر العراق ، ومعه اليهود الى فلسطين في حين أن اليهود ظهروا بعد موسى أي بعد ابراهيم الخليل بأكثر من ألف عام ، وقد قبلت الأجيال ذلك من غير تمحيص للتسلسل الزمني ، وملاحظة العصور حسب تواريخها[٢] . ومن هذه النقطة أرادوا أن يستثمروا كل ماجاء في التوراة التي سجلت بعد مرور حوادثها بأكثر من ألف عام ، فزيغوا ما ارتأوا ، وغيروا ما ارتأوا ، وسجلوا ما ارتأوا ، ولاأقول هذا القول وحدي بل ان هناك كثير من المؤرخين عرفوا هذا الرأي ، وقال به .

ويتضح مماتقدم أن التوراة قد كتبت بعد ابراهيم الخليل بألفوثلاثمئة عام ، وبعد عهد موسى بأكثر من سبعة قرون ، وهي بالطبع غير التوراة التي نزلت على موسى ، ويؤكد لودز ذلك بقوله : "اننا لانستطيع أن نؤيد صحة رجوع تاريخ أي قسم من الأسفار الخمسة ، وحتى الوصايا العشر الى زمن موسى ،

---

(٢) العرب واليهود في التاريخ ج١ ص٢٤٢ .

لأن ماورد من ورايات في هذه الأسفار ، قد يقرض أكثر من بقية أخبار التوراة الى تكرار واعادة تصنيف ، والى تغيير وتوسيع مستمرين على مر العصور ، ويعترف العالم اليهودي سيلفر بأن التوراة الحالية لاتمثل توراة موسى الأصلية في أية ناحية ، وحتى الوصايا العشر التي يكاد العلماء يجمعون أنها الشيء الوحيد المتبقي من التوراة الأصلية ، لم تكن في شكلها ومضمونها الحاليين ، كتلك التي أتى بها موسى"(١) .

وانني أتساءل هل دعا موسى للديانة اليهودية أم للتوحيد دون ايراد الاسم على لسانه ، ثم ربطوا هذه الديانة باسم يهودا أحد الأسباط الاسرائيلين ، وانني لاحظت في القرآن الكريم لهجتين مختلفتين في التعامل مع اليهود فهو حينما يحتقرهم يناديهم باليهود "قالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم . ." وحينما يريد الله أن يمن عليهم ، ينادي /بني اسرائيل/ ومن هنا انطلق الى القول "ان الله سبحانه وتعالى ، أراد أن يميز بين بني اسرائيل الذين أنعم الله عليهم حينما كانوا متبعين موسى وشريعته ، ثم لماغيروا ديانتهم ، وصارت اليهودية ، وهي الدين المحرف عن شريعة موسى ذمهم الله سبحانه ، وتعالى ، والى هذا أشار الكاتب الكبير حسن حدة في كتابه "التوراة" .

والأرجح أن مدوني التوراة تعمدوا أن يتركوا المجال مفتوحا أمام كتابهم لارجاع تاريخ من تبقى من بقايا بيت يهوذا بعد السبي البابلي الى أزمنة قديمة ، لم تعدلهم بها أية صلة ، فخلطوا بين أدوار تفصل بينها عدة قرون ، وربطوا أحيانا بين عصور ، تعتبر متباعدة تمام التباعد وعدوها عصرا واحدا ومما يذكر أنهم ربطوا الخليل بفلسطين في حادثة ملك جرار أبي مالك ، ولم يعرف

---

(١) العرب واليهود في التاريخ ج١ ص٢٧٤

الفلسطينيون الا في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ·بينما عهد ابراهيم الخليل لاحظنا أنه في القرن العشرين أو التاسع عشر ، وكذلك ربطوا ابنه اسحق بالحادثة نفسها ، وأرى أن سبب هذا هو تدوين التوراة في الأسر ، فقد تباعد بهم الزمن ، ونسوا من كان موجودا في تاريخ ابراهيم ، فطبقوا ماوجد في تاريخهم ، ففي سهل جرار يسكن الفلسطينيون ، فسجلوا الحادثة على أنها مع ملك جرار الفلسطيني . ولن أتابع هذا الخلط التاريخي ، فهو أكثر من أن أتابعه في هذا المحل الضيق ، ولكني أقول ماقال الدكتور سوسة "نقول لقد آن الآوان للباحثين أن يتحرروا من التقيد بمدونات التوراة في بحث تاريخ فلسطين القديم ، وعليهم أن يتوغلوا في أحداث الاكتشافات للنصوص القديمة التي سبقت عصر التوراة بعشرات من القرون ، فمهدت السبيل للتمييز بين الغث والسمين واقتفاء التواريخ حسب تسلسلها الزمني(٢) .

ومن خلال بحثي رأيت أن كلمة مصر الواردة في التوراة ، قد أثارت جدلا كبيرا لاسيما بعد أن وجدت اللوحات التي سجل عليها معان المصرية أو معان مصرين .

١ـ ان أسماء الفراعنة التي وردت في التاريخ وعند الاخباريين العرب والذين قورنت حوادثهم مع التوراة كلها أسماء عربية صرفة .

أ ـ سنان بن علوان بن عبيد بن عملاق بن لاوذ بن سام .

بـ عمرو بن امرىء القيس بن بابليون بن سبأ .

جـ مصعب بن الوليد .

---

(٢) العرب واليهود في التاريخ ج١ ص٣٤٧ .

د- الوليد بن مصعب .

هـ - الوليد بن مصعب بن الريان .

و - الوليد بن الريان .

هذه الأسماء عربية خالصة ، لايتطرق اليها الشك لامن بعيد ولامن قريب . وقد ورد في القرآن الكريم مايفيد في ذلك فوزير فرعون هامان وهامان على وزن فعلان كبير الهامه . وهذه الكلمة ليست هيروغليفيه .(وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب) .

فمن أين أتت هذه الأسماء العربية ؟

أهي اختلاف من المؤرخين العرب ؟

لم أن الأخباريين العرب عربوا الأسماء فأرادوا لنا النسب الاسماعيلي الابراهيمي عربا وأرادوا الأسماء التي دارت حولها الحوادث عربية . ان هذه النقطة التي أثيرها هي الدلالة على أن مصر المقصودة هي غير مصر الافريقية .

٢- لم يرد في مصر اسم النيل وهذه التوراة شاهد على ذلك ، ولاأعتقد أن أي ذاهب الى مصر ، لايسمع بالنيل ، أو يتكلم عنه ، وقد أوردت التوراة من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات فهل نهر الفرات أكبر من النيل هذه نقطة ثانية تنير البحث أمامنا .

٣- أثارت الكشوف والرقم التي تحدثت عن معين /معان/ المصرية جدلا كبيرا لدى شراح التوراة ."كانت معان المجاورة للبتراء مستعمرة خطيرة ، ومركزا تجاريا في أرض مدين شرقي سيناء واسمها في النقوش معان مصرين / مصران/ فإسم هذه المستعمرة الرسمي كان معان مصرين ، ثم قامت دولة

سبأ ، فانتقلت هذه المستعمرة الى حوزتها /٦٤٠/ق .م ، والواقع أن اسمها القديم جاء في معان المصرية القسم الجنوبي من مدينة معان اليوم[١] . والمعروف أن معان هي في جنوب الأردن فهل معان وحدها هي مصرية ؟أم أن لها اقليما يعرف بمصر ؟ وهذا ماقصدته التوراة ، ذكرت الرقم التي كشفت في معان اسم الملك أب يدع يشع ، واسم ابنه وقه آل ريم ، والتسمية للاسمين عربية .

ويقول في هذا الصدد الدكتور جواد علي في كتابه المفصل "وذكر اسم الملك ابيدع يشع واسم ابنه وقه آل ريم ، وصاحب هذه الكتابة هو من العشيرة التي ينتمي اليها صاحب الكتابة ، وكان كبيرا كذلك تولى ادارة المقاطعة معين مصران"[٢] . هذه الرقم والكشوف التاريخية بعدها جعلت الناس ينتبهون الى أخطاء التوراة الكبيرة ، فأثارت جدلا شديدا حتى بين علماء التوراة أنفسهم . ويشير الدكتور جواد علي الى كتابة مدونة "وقد دونت هذه الكتابة بمناسبة نجاة قافلة كبيرة ضخمة من غزو تعرضت بين موقع معين أو مادان ، وبين موضع ركمات ، وقد أمر بتدوين هذه الكتابة عميصدق ذو يتفن ، وسعد بن مالك ذو خفكن ، وكانا كبيرين على مصر ، وعلى معن مصرين لأنها أنجدت القافلة فأنقذتها من الوقع في أيدي الغزاة"[٣] .

وعلى هذا الأساس ثارت مناقشات حامية بين علماء التوراة ، واختلفوا في مصر ، وأوردوا خلافاتهم . ويحضرني في هذا المجال ماكتبه الدكتور كمال صليبي في مجلة الشراع تعليقا حول كتابه التوراة من أصل صحراوي .

الوادي المقدس طوى موجود اليوم واسمه وادي بقرة حيث يوجد بلدة

---

(١) تاريخ العرب المطول فيليب حتي ج١ ص٧٠ .
(٢) جواد علي المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج٢ ص٩٤ .
(٣) جواد علي المفصلفي تاريخ العرب قبل الاسلام ج٢ ص٨٨ .

اسمها طوى ، فوق الوادي (وادي بقرة) يرتفع جبل هادي ، وعلى سفح الجبل ، وفوق بلدة طوى يوجد بلدة اسمها حارب ، ومن هذا التسلسل الجغرافي ، وحسب روايتي القرآن الكريم والتوراة تبين لي أن الوصي جاء موسى في وادي بقرة وعلى سفح جبل هادي . .

وفي منطقة عسير هناك قرى اسمها مصر ، وقرية اسمها مصراما ، وهي بين أبها وخميس مشبط والتوراة تتحدث عن خروج بني اسرائيل من أرض مصراما ، واذا تابعنا خروج بني اسرائيل فجد أن هذه الأماكن موجودة بين مصراما ونجران ، ووادي الدواسر يعني أن تيه النبي موسى لم يكن في سيناء التي نعرفها اليوم ، وانما تاه بنو اسرائيل تحت قيادة النبي موسى بين جبل عسير ، ووادي نجران ووادي الدواسر .

ثم رجوعا كماتقول التوراة الى وادي بقرة ، ومن هناك قطعوا الى جهة الطائف ثم نزلوا بوادي أضم حتى وصلوا الى المنطقة التي هي بالنسبة اليهم أرض الميعاد .

التوراة لاتسمي النهر النيل لكنها تذكر مجرى مياه مصراما ، وهو على رأس جبل يصب في البحر الأحمر ، اسمه اليوم وادي عتوة ، بالعبرية يسمونه نحل مطريم ، أما الفرات فهو اليوم وادي أضم الى الجنوب الغربي من الطائف ، وجنوب مكة ، وفي وادي أضم هناك ثلاث قرى اثنتان اسمها فرات وواحدة اسمها فرت ، والتوراة تقول ان الحدود الشمالية لأرض الميعاد هي وادي فرات ، أو فرت . وبين وادي أضم ووادي عتوة .

واذا عدنا الى القرآن ، نجد أنه يروي القصة (النبي ابراهيم) على أنها حدثت في الحجاز ، وشهادة القرآن صحيح تماما . علماء الغرب يقولون ان القرآن أخذ القصة عن التوراة ، وذكر أنها في الجزيرة العربية ، وهذا غير

صحيح لأن القصة حدثت فعلا في الجزيرة العربية ، وفي الماضي لم تكن معروفة بهذا الاسم . مجلة الشراع ص٥٨ .

غير أنني لاأستطيع الجزم بهذه المعلومات والاقرار بها ولكني أقول حبذا لو بحثنا متجردين عن الهوى والعصبية لنصل الى الحقيقة .

وقد أثارت معين المصرية جدلا شديدا بين العلماء ، ولاسيما علماء التوراة ، فذهب بعضهم الى أن مصر الواردة في التوراة ليست مصر المعروفة التي يرويها النيل ، بل أريد بها معين مصران ، وهو موضع تمثله معان في الأُردن في الزمن الحاضر ، وان لفظه برعو في التوراة أيضا لقب لملوك مصر والتي تقابلها لفظة فرعون في عربيتنا لايراد منها فراعنة مصر ، بل حكام معين المصرية ، وان عبارة هاجارهم مصريت بمعنى هاجر المصرية لاتعني هاجر من مصر المعروفة ، بل من مصر العربية أي من هذه المقاطعة التي تتحدث عنها معين مصران ، وان القصص الواردة في التوراة عن مصر وعن عهد فرعون هو قصص يخص هذه المقاطعة العربية ، وملكها العربي . وقالت هذه الجمهرة أن ماورد في النصوص الآشورية من ذكر مصر ، لايعني أيضا مصر المعروفة بل مصر العربية ، وان ماجاء في نص تفلات فلاصر الثالث الذي يرد عهده الى حوالي /٧٣٤/ق .م ، أنه عين عربيا واسمه ادب ايل حاكما على مصر ، لايعني أنه عينه حاكما على مصر الافريقية المعروفة ، بل على هذه المقاطعة العربية التي تقع شمالا . ويرى ويكلر أن سعيه الذي عينه تفلات فلاصر / ٧٢٥/ق .م على مصر ، والذي عينه سرجون قائدا على هذه المقاطعة ، انما عين على أرض مصر العربية ، ولم يعين على مصر الافريقية وقد ورد في أخبار سرجون من أن من جملة من دفع اليه الجزية فرعون ملك أرض مصرى ، وورد ذكر فرعون هذا في ثورة اشدور والتي قامت ٧١١ق .م ، وقد ورد ذكر

مصرى في أخبار سنحريب ملك آشور وكان ملك مصرى ، وملك مالوخه قد قاما بمساعدة اليهود ضد سنحريب عام ٧٠٠ق .م ، وقد انتصر سنحريب ويرى ونيكلر أن كل ساأورد في النصوص الآشورية عن مصرى مثل /شرافي مت مصرى/ ملوك أرض مصر انما قصد به هذه المقاطعة العربية . ويثير هذا الرأي مشكلات خطيرة لقائليه ولعلماء التوراة فرأي شرادر ونيكلر واضرابهما المذكور يتعارض بطرحه مع الرأي الشائع عند اليهود والتوراة والتلمود والمشنا والكتب اليهودية الأخرى في هذا الموضوع ويتعارض مع أهل الأديان الأخرى الموضوع ذاته[1] .

ويؤيد هذا الرأي الدكتور كمال صليبي في أن مصراتي وردت في التوراة غير مصر المعروفة حاليا كما أن هاجرهامليست ترجمة هاجر وانما هي ترجمة الجرهمية المصرية .

ولأرى أن هذا الرأي يتعارض مع الدين الاسلامي في شيء فقد وردت قصة موسى في مصر ، وبعد خروجه من مصر مع بني اسرائيل ، وانزال الله المن والسلوى لهم(قالوا ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مماتنبت الأرض . اهبطوا مصرا فان لكم ماسألتم) . هذا على احدى القراءات كماجاء في لسان العرب لأن هذه القراءة صرفت مصر ، وصرفها لايدل على اسم علم ، والا لأمتنعت من الصرف .

هذه الآية بينت لنا أن هناك مصرا غير مصر النيل . ولن يتعارض هذا مع رأي المسلمين الا اذا اعتبرنا المسلمين الذين يسيرون على التوراة . وقد ناقشنا المواقف من آراء اليهود وأقسامها الثلاثة ، وقد تنبه الى هذا مؤرخون ،

---

(١) جواد علي المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج٢ ص١٢١ .

ومفسرون ، نذكر منهم ابن خلدون العلامة حيث قال في مقدمته : "وقد جمع المتقدمون في ذلك ، وأوعوا الا أن كتبهم ومنقولاتهم ، تشتمل الغث والسمين والمقبول والمردود ، والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب"[1] .

ومن هؤلاء الذين نقل عنهم المفسرون والمؤرخون ، كعب الأحبار ، ووهب بن منه ، وعبد الله بن سلام ، وعبد العزيز بن جريج . وكعب الأحبار هو رأس القائمة وقد دس هذا كثيرا بين المسلمين ، ونقلوا عنه كثيرا فمن كعب الأحبار .

"كان كعب بن مانع الحميري الذي شهر باسم كعب الأحبار من علماء اليهود في اليمن ، وأسلم في زمن أبي بكر ، وعاش في المدينة زمنا ثم خرج الى الشام بعد مقتل عمر ، فأقام بحمص ، ومات فيها ومنهم وهب بن منه من يهود اليمن ، وكان من أبناء الفرس الذين أرسلهمكسرى الى اليمن ، ثم أسلم ، وتوفي في عهد الدولة الأموية . وكلاهما كثير الرواية ،والنقل عن الكتب الاسرائيلية ، ويظن بهما أنهما وضعا كثيرا مما روياه"[2] .

أوردت هذه الآراء لكتاب مختلفين ، لارد على رأي الدكتور جواد علي ، ويتعارض مع الأديان الأخرى في الموضوع ذاته ، ومن هنا ننطلق لنسأل السؤال التالي :

هل يعقوب وأبناؤه هم الهيكسوس أم لاعلاقة لهؤلاء بأولئك ؟ .

سؤال لم تشر اليه التوراة ولاقطع به المؤرخون في يوم من الأيام ، يقول الأستاذ دروزه :

---

(١) مقدمة ابن خلدون ص٤٩٠ .

(٢) العقاد ابراهيم أبو الأنبياء ص١٢٨ .

"ان الهيكسوس أصبحوا أصحاب السلطان في أرض الدلتا حوالي / ١٧٣٠ق .م/ ، وطردوا من مصر /١٥٨٠ق .م/ بعد استيلائهم على مصر حوالي بداية القرن التاسع عشر ق .م ، ولم يدخلوا البلاد دفعة واحدة ، بل جماعات متفرقة واحدة بعد أخرى"(٣) .

أما يوسيفوس المؤرخ اليهودي ومانيتون ، فقد اعتبر الهيكسوس هم اليهود ، وهذا رأي خاطىء حتى لو افترضنا أن الهيكسوس هم أبناء يعقوب ، وهذا مجرد افتراض فانهم لم يكونوا يهودا . وانما جاءت اليهودية بعد مئات من السنوات ، والناحية المهمة أن الهيكسوس ليسوا من نسل يعقوب .

---

(٣) تاريخ موجات الجنس العربي مصر والسودان دروزه ص١١٩ .
ويرى السحار أن الهيكسوس حكموا مصر قبل مجيء ابراهيم اليها ، وأن أسر سارة كان من قبل الهيكسوس ، وأنهم أطاحوا بفراعنة مصر ، وكان آخر فرعون مصري زوج هاجر التي أسرت ، وأهداها فرعون الهيكسوس سنان بن الأشل بن عبيد ، وهو أول ملك من الهيكسوس ، وهو أسر سارة أيضا . كمايرى صاحب كتاب نهاية الأرب أن العمالقة حكموا مصر قبل مجيء ابراهيم بزمن ، وظلوا حتى قبل موسى ، وكان خروجهم اليها مع موسى ، وأحب أن أنبه الى نقطة هنا تختلف عمايجول في خاطرنا ، فلو كانت اليهود من الهيكسوس ، لكانوا عمالقة وهذا الاسم أطلقه مؤرخو العرب على من حكم مصر من الهيكسوس ، ويرى المؤرخون العرب أن العمالقة لم يحكموا مصر فقط ، وانما حكموا بلاد الشام والعراق والحجاز ، وهنا يرد اسم العماليق في يثرب باسم عبيل ، ووراء اسم العماليق في فلسطين ، اذ قال بنو اسرائيل لموسى "قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها مادامو فيها فاذهب أنت وربك فقاتلاانا ههنا قاعدون" ولعل اسم ايلا الواردة في آثار سورية ليست الا عبيلا العربية العماليق الذين حكموا في تلك الفترة الشرق العربي كله ، وان اختلفت التسمية من صقع لآخر (الكنعانيون والهيكسوس وعبيل) .

"ولقد نزل بنا صاعقة من غضب الله فتجرأ قوم من أصل وضيع في الشرق على غزو بلادنا وكان مجيئهم أمرا مفاجئا ، ولقد تسلطوا علينا بدون صعوبة وحروب . وبعد أن تغلبوا على الرؤساء أحرقوا المدن بوحشية" . هذا الوصف لماحصل بمصرمن جراء دخول الهيكسوس اليها ، ولم نر مايشابه ذلك من دخول يعقوب وأبنائه الى مصر ، بل ان يوسف حسب ماقرأنا منع الجوع عنها حينما دخل عليها ، واستطاع بحكمته أن يخزن الحبوب لعدة سنوات ، وهنا فارق كبير بين الجماعتين ممايقوي الظن أن هؤلاء ليسوا أولئك . أما ملوك الهيكسوس ، فأسماؤهم تختلف عن أسماء الفراعنة الواردة عند العرب في قصة ابراهيم الخليل ع . بالاضافة الى أنه تاريخ الهيكسوس بعد زمن الخليل ع .

"ثم نصبوا واحدا منهم اسمه /سالات/(سالانيوس) ملكا ، فاتخذ مدينةمنف مقرا ، وضرب الضرائب على الوجه القبلي والبحري ، وترك له حامية في الأماكن الصالحة للدفاع ، وجدد بناء مدينة على الجبهة الشرقية من فرع بو بسيطه وحصنها ، ووضع فيها حامية عددها (٢٧٠٠٠) مقاتل لحماية حدوده حكمه (١٩) سنة ثم خلفه بنون فحكمه ٤٤ سنة ثم ، اياخماس فحكمه ٣٦ سنة ، ثم ايوفيس فحكمه ٦١ سنة ، ثم بناس فحكمه ٥٠ سنة ، ثم امسيس فحكمه ٤٩ سنة ، وكان هؤلاء الملوك الستة الذين يعتبرون حكامهم الأول يطعمون في محو الشعب المصري ، وكان شعب هؤلاء الغزاة يسمى هيكسوس ، ومعنى الاسم ملك الرعاة لأن كلمة هك في اللغة المقدسة معناها ملك ، أما كلمة سوس فمعناها في اللهجة الدارجة راعي ، أو رعاة ، وفي عهد ملك يدعى نفر احمس هزمرا ، وطردوا من كل مصر ، وحوصروا في مكان يدعى اواره التي قيل أن الهيكسوس جددوها ، وحصنوها ، وأقاموا حاميتهم الكبيرة فيها"(١) .

---

(١) دروزة تاريخ موجات الجنس العربي ص١١٩ .

والمتبادر لنا أن صيغة الأسماء يونانية لأن رواية مانيتون وصلت بطريق الكتاب اليوناني(٢) . غير أن حصار احمس لم يجد نفعا ، ولم يستسلموا كماهو متوقع ، ولهذا عقد معهم صلحا ، وقرروا الجلاء عن مصر ، ليذهبوا حيث يشاءون دون تضييق .

يدأوا بالانسحاب ، ومروا في صحراء سيناء مارين بسهل جرار ، وكان آنذاك بنو اسرائيل مع موسى حول سيناء فاصطدمت القوتان في سنة ١٢٢٥ق .م ، وقد أورد هذا على لوحة سجلها الملك منفتاح وقد وردت العبارة التالية :"لقد غلب الملوك وقالوا سلاما ، وضربت ، وهدأت أرض الحثيين ، وانتهت كنعان ، وحلت بها كل الشرور ، وضربت اسرائيل ، ولم يعد لأبنائها وجود ، وأضحت فلسطين أرملة لمصر ، وضحت كل البلاد وهدأت وكل من كان ثائرا قيده الملك منفتاح(٣) . ويبدو أن منفتاح قد سار بجيشه بعد ذلك ، فاقتلع مااستطاع اقتلاعه ، أو نسب هذا النصر الى نفسه ، واعتبر التحرك الهيكسوسي لصالحه . يقول مانيتون :"ولما يئس الملك من استسلامهم عقد معهم معاهدة بجلائهم عن مصر ، وذهابهم حيث شاءوا دون تضييق وخناق ، فغادر منهم مالايقل عن (٢٤٠٠٠٠) حاملين متاعهم مخترقين الصحراء الى سورية ، وأقاموا مدينة في الاقليم الذي يدعى يوده كانت صالحة لايوائهم وأطلقوا عليها اسم اورشليم"(٤) . وأخذ يوسيفوس بكلام مانيتون ذكر أعلام يوده واورشليم كماكانت في حياته وقصد بيوده يهوذا التي كان مركزها اورشليم الى القرن السادس ق .م .

(٢) مانيتون مؤرخ مصري كتب تاريخه حوالي ٢٥٠ق .م .
(٣) ول ديورانت قصة الحضارة ج٢ .
(٤) تاريخ موجات الجنس العربي دروزة ص١١٩ .

وقد علق الأستاذ سليم حسن على رواية يوسيفوس تعليقا جاء فيه "ان أكثر ماجاء فيها من خلاف للحقائق والوقائع" . ونبه الأستاذ أحمد كمال مع شيء من الشك ، والتحفظ على مايمكن أن يكون بين ذلك وبين ماروته الكتب المقدسة من هجرة يعقوب وذريته الى مصر من ترابط ، واحتمال التلابس بين الخبيرو والعبيرو والعبرانيين وهم الاسم الذي كان يطلق على يعقوب وذريته . ويمكنني أن أعلق على هذه الحوادث بمايلي :

١ـ دخل يعقوب وأبناؤه مصر دفعة واحدة بعد يوسف وعددهم لايشكل الخطر الذي يشكله الهيكسوس .

٢ـ الرواية التي أوردها مانيتون فهي من نسج الخيال لأنه يرى أنهم بنو مدينة أورشليم في مقاطعة يهودا وأورشليم مدينة مبنية منذ أيام ابراهيم كان ملكها ملكي صادق . وهو الذي أطلق هذه التسمية عليها .

٣ـ لم يخرج الهيكسوس بقيادة موسى ، وبعد حروب وحصار كماتقول الرواية ، وانما خرج منها خائفا يترقب وقد خاض البحر خوفا من فرعون وجنوده .

٤ـ لم يذكر مانيتون التيه الذي وقع فيه بنو اسرائيل .

٥ـ أسماء ملوك الهيكسوس تختلف عن أسماء الفراعنة ، لهذا أرى أن مصر التي خرج منها اليهود غير مصر المعروفة . واليهود هم غير الهيكسوس أبدا .

ذكر المؤلف في سياق سيرة امون حوتب الثاني أحد ملوك الأسرة الثامنة عشر أن الخبيرو هم العبريون . ولكنني أستطيع أن أقول بكل اطمئنان :أن قبائل الخبير وليس العبريين لأن العبريين لم يكونوا قبيلة كاملة . وقد ذكرت رسائل تل

العمارنة التي كشفت حديثا غارات قبائل الخبيرو من فلسطين في عهد الأسرة الثامنة عشرة . هذا مايسوغ القول أن قبائل الخبيرو والعبيرو اسم واحد لجماعة من الساميين كانوا في فلسطين . في القرن التاسع عشر ق .م أو قبله ، زحفت الى مصر باسم الهكسوس ، وقد خرجوا حينما قوض حكم هؤلاء ، واجلى حكامهم وجيوشهم في زمن الأسرتين السابعة عشر والثامنة عشر على الأغلب(١) . ويحاول العقاد أن يبرر ويدمج الهكسوس مع بني اسرائيل فيقول : وكان الرعاة الهكسوس يحكمون مصر من الأسرة الثالثة عشر الى الأسرة السابعة عشر ، وفي هذه الفترة حدثت الهجرة هجرة الآباء العبريين الى الديار المصرية(٢) .

أما الأستاذ دروزة فقد حاول أن يعلل خروج موسى بأن بني اسرائيل لم يخرجوا مع الهكسوس ، وقد سماهم التاريخ المصري بالعبيد ، وهذا ماتفيده وثائق أثرية عائدة الى القرن الرابع عشر ق .م ، ولكنني أرد على ذلك بقولي هل هناك وثائق مصرية تصور لنا خروج بني اسرائيل من مصر ، وقد حدث ذلك في القرن الثالث عشر ق .م ، واني لأتساءل مع المتسائلين أهناك شخصيتان في التاريخ تسميان موسى ، كما أن هناك ابراهيمان ، وهذا مايرتئيه فرويد في كتابه "موسى بطل التوحيد" لأن التاريخ يحدثنا عن موسى في عهد اخناتون ، وهو الفرعون الذي دعا الى التوحيد في مصر ، وكان قائده يدعى موسى ، هذا القائد احتل الحبشة ، ودعا فيها الى عبادة الاله الواحد ، وتزوج امرأة حبشية ، وهذا مايؤكده الدكتور حسن حدة في محاضرته . وقد كتب المؤرخ يوسيفوس اليهودي عن موسى مايلي عن الموسوعة البريطانية مجلد ١٥(رجل مصري ،

(١) تاريخ موجات الجنس العربي ص١٢١ . حاشية
(٢) العقاد ابراهيم أبو الأنبياء ص٩٥ .

قائد مصري ، كاهن مصري ، وقد أخذ شهرته من فتح بلاد الحبشة ، ونشر ديانة اخناتون ، وتزوج ترسس بنت ملك الحبشة ، وجند جيشا ، وكان ركنا من أركان اليهودية بعد الانشقاق الموسوي) . غير أن يوسيفوس أخطأ المرمى حينما سمى موسى قائد اخناتون موسى اليهودي فموسى اليهودية تزوج بنت النبي شعيب ، وقد عاش فترة طويلة في مدين ، ولم يكن قائدا فتح بلاد الحبشة وانما هرب من فرعون حينما قتل شابا مصريا ، ثم عاد الى مصر ليقود بني اسرائيل الى الأرض المقدسة . هناك فارق زمني بين اخناتون وبين الخروج يقدر بأكثر من ١٥٠ سنه فقد كان اخناتون حوالي ١٤٠٠ق .م بينما الخروج حدث حوالي القرن الثالث عشر ١٢٢٥ق .م .

ومن ثم أستطيع أن أقول بكل ثقة أن الهكسوس ، ليسوا بني اسرائيل ، فملوك الهكسوس حكموا بدءا من القرن الثامن عشر ، ونزلوا بقوة جبارة ، دكت مصر حتى أن ملوكهم الأوائل أرادوا محو الشعب المصري . أما بنو يعقوب فقد دخلوا قلة احتموا في ظل أخيهم الصغير يوسف ، دخلوا جائعين يريدون أن يهربوا من الصحراء الجافة والقحط المميت(٣) .

ولم يشر أحد من المفسرين الى كلمة هكسوس ، وانما أشاروا الى قصة زليخا ، وسموا يوسف بالعبد الكنعاني نسبة الى كنعان . وفي هذا يقول الامام الفخر الرازي :" والثاني وهو الذي ذكره صاحب الكشاف ، وهو أحسن ماقيل ان النسوة كن يقلن : انها عشقت عبدها الكنعاني ، فلما رأينه ، وقعن في الدهشة ، قالت هذا الذي رأيتموه هو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني فيه"(٤) .

---

(٣) يؤيد هذا الرأي الأستاذ جودت السحار ذلك حينما أوجد الهكسوس في مصر قبل دخول ابراهيم اليها .
(٤) التفسير الكبير ج١٨ ص١٣٠ .

ويحاول مؤلف قضية اسرائيل العبرانية السياسية أن يوفق بين الهكسوس ، وجد اليهود ، فيقول "ولما طرد الهكسوس من مصر اعتبر على وجه الترجيح هؤلاء الذين قدموا معهم ، ونصبوا بعدهم والذين أفادوا من قانون ممتاز أقول اعتبروا كنعانيين ، وخضعوا لشروط حياتية قاسية أكثر فأكثر . ان هؤلاء المسيين المعارضين الذين لم يشكلوا وحدهم عنصرا أو قومية بل فئة معارضة لفرعون تحت اسم عبيرو ، ومنه اشتق فيما بعد اسم العبرانيين كما أشار الى ذلك الأب دي فو .

فرار هؤلاء من مصر لم يشكل حادثا خطيرا ، ان هذا الخروج لأقوام غرباء مستائين كثيرا ما يحدث مبتذل الى حد جعل كتبة الحوليات المصرية تهمل ذكر هذا الخبر التافه حتى ، ولا في شكل تقرير حرس الحدود في حين أن لدينا مثل هذه التقارير عن مثل هذا المرور منذ القرن التاسع عشر ق .م ، وتعد المصادر الوحيدة التي في حوزتنا خارج نصوص العهد القديم على أصابع اليد الواحدة ، وجاء أقدم ذكر لاسرائيل على مسلة تمجد حوالي ١٢٢٥ق .م انتصارات لفرعون منبتاح (منفتاح) ونقش عليها معلومات أخرى أنه بعد استيلائه على المدن الفلسطينية ، دمر أيضا اسرائيل ، وأن اسرائيل اكتسحت ، ولم يعد لبذرها وجود قط[١] .

ورغم ذلك يبقى الهكسوس غير بني اسرائيل ولايمكن أن نقبل الرأي الذي طرحه الأب دي فو للأسباب التالية :

١ـ خروج الآلاف من بني اسرائيل ليست حادثة بسيطة حتى لايسجلها حرس الحدود كمايدعي .

---

(١) تاريخ اسرائيل القديم الأب دي فو ج١ ص٦٦ .

٢ـ لو كانت حادثة الخروج بسيطة لما تمادى فرعون في تسليم بني اسرائيل الى موسى .

٣ـ حادثة غرق فرعون كما وردت في القرآن الكريم ، ليست حادثة بسيطة يستدل [illegible] بسهولة .

وانني أترك [illegible] ينزلوا مصر [illegible] روفة انما نزلوا مصر [illegible] . معان ، وهذه قريبة [illegible] كذلك بالنتالية التي أسردها

١ ـ ان فرعون مصر [illegible] طرد الهكسوس هو أحمس الأول مؤسس الأسرة الثامنة عشرة ، وقد [illegible] هم في معركة "اواريس" وتابع [illegible] ، ولم [illegible] غرقا .

٢ـ وقد وضع فرعون أحمس الأول مؤسس السلالة الثامنة عشرة حدا لسيطرة الهكسوس ، ولماقهرهم في معركة أفاريس الفاصلة ، ردهم الى الساحل السوري وتابع زحفه ، فأخضع فينيقيا ، وتم ذلك على يد تحوتمس الثالث (١٤٤٩ ـ ١٥٠٣)ق .م . واتصلت مصر بالمملكتين الاقطاعيتين الحثية والميتانية أيام امينوفيس الأول(٢) . هذا الزحف انتهى في بداية القرن السادس عشر أما في بداية الزحف الهكسوسي فان الباحث أسد أشقر يحدثنا ويعطينا تاريخا واضحا .

"واذ اجتاحت مصر أزمة داخلية قاسية ، تناولت الأوضاع في جميع حقولها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، فلم تستطع السلطة الدفاع عن كيان البلاد الا بالصمود في وجه الضغوط الخارجية المداهم والحسر الاقتصادي الداخلي ، وبعد أن استهلكت كل مافيها من امكانات المقاومة

---

(٢) أسد أشقر الخطوط الكبرى لتاريخ سورية ج١ القسم الأول ص١٥٤

اضطرت الى الاستسلام ام ١٦٨٠ق .م ، فدخلتها جماعات من تلك الأقوام التي كانت قد اجتاحت سورية الغربيه ، وعرفت باسم الهكسوس أو الملوك الرعاة[٣] .

والذي يبدو لي من حيث تاريخ الهكسوس أنهم حكموا مصر في بداية القرن الثامن عشر ١٧٣٠ وقد دخلوها غزاة ، قاتلوا مصر حتى سقطت بين أيديهم ، وملكوها وقد حدد ملوكها سالاتن المؤسس للحكم والذي بنى مدينة منف مقرا له .

سالات ١٩ سنة .

بنوبد ٤٤ سنة .

ايامناس ٣٦ سنة .

ايوفيس ٦١ سنة .

بناس ٥٠ سنة .

امسيس ١٩ سنة .

وبدأ بعد ذلك الضعف ينخر في جسم الهكسوس ففترة القوة ٢٥٩ فاذا ماقلنا أنهم خرجوا في عام ١٥٨٠ فان المدة تقصر عن هؤلاء الستة ولكنني أقول أن طردهم تم في زمن تحوتهس الثالث ١٤٨٠ والمعروف لدينا أن موسى ظهر في القرن الثالث عشر وليس في القرن الخامس عشر وبهذا يكون اليهود غير جماعة الهكسوس .[٤]

---

(٣) المرجع نفسه الصفحة نفسها ص١٥٥ وهنا اختلف مع أسد أشقر في تاريخ دخول الهكسوس الى مصر ١٦٨٠ق .م .

أماالذين دخلوا مع بني اسرائيل فهم قطعا لم يحكموا مصر ، ولاتنفذوا فيها اللهم الا ماكان من يوسف /ع/ .

من البديهي أن خروج بني اسرائيل مع موسى حسبما تصوره المصادر الدينية يشكل خطرا على مصر ، ولهذا تمسك فرعون بهم ، ولم يتركهم ينسحبون مع موسى الا بعد أن غلب على أمره ، ولما أراد استرجاعهم غرق في البحر وانتهى .

ولما لم يكن قد سجل من هذه الحوادث شيء ، ولم يسجل حادثة غرق فرعون كل هذا يدفعني أن أقول أن مصر التي جرت فيها الحوادث هي غير مصر المعروفة .

ونستطيع أن نخلص الى النتائج التالية :

١ـ لم يثبت تاريخيا دخول غير الهكسوس ، وقد اختلف تاريخ دخول الهكسوس عن دخول يعقوب .

٢ـ دخل الهكسوس جماعة غازين لمصر بينما دخل أبناء يعقوب دون غزو بحماية يوسف الذي جاء بصورة عبد .

٣ـ يرى الدكتور سوسة ان دخولهم ١٧٨٥ق م وخروجها سنة ١٤٧٩ق .م وقد اتخذوا اسم الاله ايل للتبرك به فأضيف الى أسمائهم بعض ملوكها باسم يعقوب ايل وورد يوسف ايل .

غير أنني لم ألحظ هذه التسمية وربما كان في أدوار الضعف ولكن حتى لو صحت التسمية فالهكسوس عرب أما يعقوب ، فلم يسمى نفسه يعقوب ايل ، وانما سمى نفسه اسرائيل ، حسبما تقول التوراة أما يوسف فلم يسم نفسه يوسف ايل حتى تسمية يعقوب نفسه باسرائيل تسمية عربية وليست عبرية ،

والملاحظ أن تسمية أبناء يعقوب كان بناء على رأي زوجاته حسب ماتقول التوراة .

٤ـ كل الأخبار من العرب قد نقلوا أسماء عربية لفراعنة مصر بينما لم ترد هذه الأسماء عند الهكسوس ، وهذا ممايدل على اختلاف البلد والمملكة "وكان فرعون مصر في أيام موسى قابوس بن مصعب بن معاوية صاحب يوسف الثاني ، وامرأته آسيا بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد فرعون يوسف الأول ، ثم ولي الوليد بن مصعب بعد موت قابوس أخيه ، وتزوج الوليد آسيا بعد أخيه" .

٥ـ لم تذكر حادثة خروج الهكسوس من مصر كحادثة خروج بني اسرائيل من مصر ممايدل على أن الحادثتين مختلفتان في الزمان والمكان .

٦ـ عدم ورود اسم نهر النيل في مصر ، وتسمية نهر الفرات بالنهر الكبير دلالة على أن مصر ليست مصر المعروفة ، ولهذا أقرر أن الحوادث حدثت قرب معان المصرية ، ومنها الى الجنوب ، ولم تتم هذه الحوادث على مصر المعروفة .

هاجر

من هذه الشخصية ، ألها وجود أم لا ؟ .

التسمية عربية لاشك فيها ، فهاجر فعل ماض من الأفعال العربية تعني الهجرة والانتقال وقد وجد في العهد الجديد في رسالة القديس بولس الى غلاطيه "فانه مكتوب أنه كان ابنان لابراهيم واحد من الجارية ، والآخر من الحرة . لكن الذي من الجارية ولد حسب الجسد ، أما الذي من الحرة فبالموعد ، وكل ذلك رمز لأن هاتين هما العهدان[1] . أحدهما من جبل سيناء الوالد للعبودية الذي هو هاجر ، لأن هاجر جبل سيناء في العربية . ولكنه مقابل أورشليم الحاضرة ، فانها مستعبدة مع بنيها ، وأما أورشليم العليا التي هي أمنا جميعا ، فهي حرة لأنه مكتوب : افرحي ، أيتها العاقر التي لم تلدي ، اهتفي ، واصرخي أيتها التي لم تتمخض ، فانه مكتوب أن أولاد الموحشة أكثر من التي

(١) رمز لهاجر للبهودية للعهد القديم وهي يقابل هاجر الأمة وردية بنت لابراهيم حسب الجسد واعتبر بذلك ابراهيم أبا لليهود أما المسيحية وهي العهد الجديد تقابل الكنيسة التي أمر الله بها وهي بنت الموعد تقابل اسحق بن سارة وهو ابن الموعد فسارة تقابل اورشليم التي في السماء أما هاجر فهي تقابل أورشليم في زمن بولس أورشليم المستعبدة المضطهدة التي ترزح تحت نير الرومان وهي بالرغم من ذلك تضطهد المسيحية . هذا رأي الرسول بولس .

لها زوج ولكن لماكان حينئذ الذي ولد حسب الجسد ، يضطهد الذي حسب الروح"[٢] .

ترى هل سميت هاجر لأنها هاجرت الى مكة المكرمة ؟ أم أن هاجر قصدت بها التوراة عابد وثن ؟ فقد عرفنا أن كل سادن للأوثان عند النمروذ يسمى هاجرا ؟ ترى أهي رمز للجرييم الأمين ، ورأوا فيها امرأة بعيدة منهم ، ولهذا رادوا في بعدها فنسبوها الى مصر لأن مصر أذلتهم واستعبدتهم ، ولما طغى الانتقام صوروا أم اسماعيل خادمة لسارة ، وعلى مصر أن تكون خادمة لاسرائيل . "وذكر في التوراة اسم شعب سكن في شرق الأردن ، وفي شرق أرض جلعاد ، وعرف باسم الهاجريين وهم من العرب أو من بني أرم في رأي بعض العلماء ، غير أن اطلاق هذه اللفظة على الاسماعيليين يدل على أن المراد بهم العرب لأن الاسماعيليين هم عرب ، وأن هاجر كناية عن أم اسماعيل جد القبائل التي تحدثت عنها على رأي التوراة ، وقد ذهب بعض الباحثين الى أن مراد التوراة من الهاجريين ، والاعراب أي البدو ، وهم عرب أيضا ، وقد امتدت منازل الهاجريين من الفرات الى طور سيناء ، فهي منطقة واسعة تشمل البادية بادية الشام ، وتضم عددا كبيرا من الاعراب ، وهي منازل الاسماعيليين أيضا . وقد يكون هذا هو السبب في عدم تمييز التوراة بين الهاجريين والاسماعيليين ، وقد ذكروا مع قطورة ونفيس وهما من الاسماعيليين وأشير الى رجل من الهاجريين عرف بعزيره"[٣] ، ترى أهم يقصدون بالهاجريين الوثنيين ؟ نسبة الى هاجر السادن للأصنام ؟ وقد كان أبو ابراهيم سادنا للأصنام أم ترى أن هاجرهم الواردة في التوراة باللغة العبرية قد ترجمت خطأ لعدم معرفة

---

(٢) رسالة القديس بولس الى غلاطيه الاصحاح الرابع ٢٢-٣١

(٣) المفصل ج١ ص٤٦١ .

المترجم بشكل جيد بالعبرية ؟ ها تعتبر أل التعريف وبهذا تكون ترجمة الجرهمية المصرية ، ترى هل يقصد كاتب التوراة :أن المرأة من جرهم العربية التي كانت تسكن في شمال الحجاز في مناطق مصر التي ناقشتها في الفقرة السابقة ؟ ومما يؤكد هذا الاحتمال قول التوراة ذاتها أن هاجر زوجت ابن اسماعيل من امرأة مصرية . بعد هذه المقدمة أبدأ بالبحث في قصة هاجر .

لم ترد التسمية في القرآن الكريم ، ولم يشر الى وجودها البتة ، وكل ماورد انما يستقيها الاخباريون من التوراة في عدة أماكن . وهذه الأماكن كلها تشهد أن هاجر زوجة ابراهيم (فحدث لما دخل ابرام الى مصر . أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جدا ، ورآها رؤساء فرعون ، ومدحوها لدى فرعون . فأخذت المرأة الى بيت فرعون ، فصنع الى ابرام خيرا بسببها ، وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد واماء واتن وجمال ، فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب سارة امرأة ابرام)[١] .

لم تشر التوراة في هذا الاصحاح الى هبة هاجر لسارة ، أما الاخباريون العرب ، فقد أشاروا الى هبة هاجر من فرعون ، وقد ناقشنا هذه القصة ، ورأينا بطلانها ، ولا حاجة بنا لمناقشة ذلك من جديد .

أما الأستاذ السحار ، فقد ناقش أسر سارة ، واهداء هاجر لسارة ، ولكنني لاأرى مبررا لاهداء هاجر . وحاول الدكتور سوسة أن يبرر وجود هاجر ، فقال :"وكان فرعون يعيين في محميته نائب الملك ممن ليسوا من أهل المنطقة ، ثم يزوجه امرأة من الطبقة الارستقراطية المصرية"[٢] .

---

(١) التوراة سفر التكوين الاصحاح الثاني عشر .

(٢) أ ـ العرب واليهود في التاريخ ج١ ص٥٠٤

ب ـ هاجر المصرية أم اسماعيل ويرى أنها زوجة لفرعون الذي قتله الهيكسوس وقد أخذها سنان وأهداها الى ابراهيم .

وانني أسأل الدكتور سوسة هل كان ابراهيم نائبا لفرعون ؟ فمادلالته في ذلك ؟ ولماذا اذا أوردت هاجر المصرية في التوراة نعتبر ذلك صحيحا ؛ وعلينا أن نحاول تبرير ذلك ؟ لاأرى سببا لمحاولة تبرير هذه [illegible] اقول أن ابراهيم سيما علم أن زوجته عاقر لاتلد ، قرر الزواج من أخرى ، ولما علم كتاب [illegible] أن ابراهيم تزوج امرأة ثانية ، حاولوا أن يقللوا من شأن المرأة الثانية ، فصوروها على أساس أنها خادمة للسيدة سارة ، وتنازلت سارة ، فزوجت زوجها جاريتها ، وليست هذه الحادثة بدعة في تاريخ اليهودية ، فقد تنازلت راحيل [illegible] لزوجها عن جاريتها بلهة ، كذلك تنازلت ليئة لزوجها يعقوب [illegible] جاريتها زلفة ، فالحادثة ليست فريدة في تاريخهم ، وأعود الى [illegible] في هذا الصدد "وأما ساراى امرأة ابرام ، فلم تلد له ، وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر ، فقالت ساراى لابرام هوذا الرب قد أمسكني [illegible] ادخل على جاريتي ، لعلي أرزق منها بنين ، فسمع ابرام لقول ساراى [illegible] ساراى امرأة ابرام هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لاقامة ابرام في أرض كنعان ، وأعطتها لابرام زوجها ، فدخل على هاجر فحبلت . ولما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها في عينيها"(١) .

لم تذكر التوراة كيف تسلطت سارة على هاجر المصرية ، وانما ذكرت جاريتها فقط ، ووردت في التوراة قصة أخرى أوردناها في مكان آخر قصة سارة مع أبي مالك وتقول التوراة عن ذلك "فأخذ أبي مالك غنما وبقرا وعبيدا واماء ، وأعطاها لابراهيم ، ورد اليه سارة امرأته"(٢) .

---

(١) التوراة سفر التكوين الاصحاح السادس عشر .
(٢) التوراة .. التكوين الاصحاح العشرون .

فهل هاجر من الاماء التي أرسلها أبي مالك أم من الاماء التي أهداها فرعون مصر ؟ أم هي بعيدة كل البعد عن هذا وذاك ؟ انني لاأرى الأمرين سو كانت أمة من فرعون أو أمة من أبي مالك لكانت جارية لابراهيم ، ولو كانت جارية سارة كما تدعي التوراة والاخباريون العرب أيضا . وسأورد قصة هاجر من كتاب البداية والنهاية لابن الأثير "ثم ان الخليل عليه السلام رجع من بلاد مصر الى ارض التيمن ، وهي الأرض المقدسة التي كان معها ، ومعه أنعام وعبيد ومال جزيل . وصحبتهم هاجر القبطية المصرية ، وأوحى الله تعالى الى ابراهيم الخليل ، فأمره أن يمد بصره ، وينظر شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ، وبشره بأن هذه الأرض كلها سأجعلها لك ولخلفك الى آخر الدهر ، وسأكثر ذريتك حتى يصير بعدد التراب ، وهذه البشارة اتصلت بهذه الأمة بل ماكملت ، ولا كانت أعظم منها في هذه الأمة المحمدية يؤيد ذلك قول رسول الله (ص) : ان الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي مازوى لي منها"(٣) .

وان أتابع مارواه بقية الاخباريون ، لأنهم جعلوا التوراة القاسم المشترك بينهم . غير أن الأستاذ السحار انفرد بين هؤلاء الاخباريين في القصة ... "لما رأى الملك كرامة سارة على الله ، أهداها هاجر زوجة فرعون مصر ... وأكرم ابراهيم بعد أن دعاه الى الله"(٤) .

وهذه القصة أشبه بقصة قمبيز حينما زوج من ابنة فرعون المزوج ، ولاأدري ماالسبب في معرفة كرامة سارة على الله ، وهي قصة مفتعلة كتبها

---

(٣) البداية والنهاية ابن الأثير ج١ ص١٥٢ والغريب أنه يورد النص التوراتي ومن ثم يحمله المعنى الاسلامي .

(٤) محمد رسول الله والذين معه ج١ ص٦٣ .

يوسيفوس ، وأقرها السحار متهربا من قصة سارة كما وردت في التوراة ، ورغم أن السحار قد فند قصة سارة ورد الحديث الوارد في كذبات ابراهيم /ع/ فانه قد أبعد المرمى وضل الطريق .

وزاد الأستاذ الصابوني في كتابه النبوة والأنبياء بعد ذكر قصة سارة "رد الله كيد الكافر في نحره وأخدم مني هاجر" . وأورد بعد ذلك نصا لأبي هريرة "فتلك أمكم يابني ماء السماء فعصمها الله وصانها اكراما لخليله /ع/"(١) . فهل قصد أبو هريرة سارة بكلمة فعصمها الله وصانها اكراما لخليله ؟ أم يقصد بها هاجر ؟ ولكن لاشيء يدل في النص على هاجر لأنها كانت جارية عند فرعون فكيف عصمها الله ، وصانها ؟ وان كانت سارة هي التي قصدت فمن أين صارت أم العرب ؟ وأرى أن الحديث الموقوف على أبي هريرة غير صحيح ولايمت الى الحقيقة بصلة . أما ابن قيم الجوزية بعد ذكر أن الخليل تسرى بهاجر وأن بذلك أنها جارية سارة "قالوا وكان عند ابراهيم الخليل أجمل النساء سارة ثم تسرى بهاجر ، وكانت أشبه أهلها . قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : كان ابراهيم الخليل عليه السلام يحب سريته هاجر محبة شديدة ، وكان يزورها في كل يوم على البراق من الشام من شغفه بها"(٢) . ولاأدري كيف قبل هذه الرواية ابن قيم الجوزية دون أن ينقدها ؟ فكيف كانت رحلة ابراهيم الخليل على البراق ؟ اذ لو عرفها الناس في الجاهلية لما استنكروا حادثة الاسراء ؟ بعد أن قدمت آراء التوراة والاخباريين نعود لنرى رأي الحديث في هذه القصة .

---

(١) النبوة والأنبياء محمد علي الصابوني ص١٥٨
(٢) ابن قيم الجوزية روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص١٦٨

روى الطبراني . .

أ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت قال عليه السلام لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة الى الأرحام الطاهرة مصبض مهذبا لاتتشعب شعبتان الا كنت في خيرها .

ب ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله /ص/ خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم الى ان ولدني أبي وأمي . البداية والنهاية .

ج ـ قال الأستاذ هرون في تهذيب سيرة ابن هشام فرسول الله أشرف ولد آدم حسبا وأفضلهم نسبا من قبل أبيه وأمه وشرف وكرم ومجد وعظمة .

روى الترمذي . .

١ـ حدثنا خلاد . . عن واثله ابن الأسقع قال، قال رسول الله /ص/ ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل ، واصطفى من ولد اسماعيل كنانة ، واصطفى من كنانة قريشا ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم .

قال أبو عيسى حديث حسن صحيح .

٢ـ حدثنا يوسف بن موسى القطان . . عن العباس بن عبد المطلب قال : قلت يارسول الله ان قريشا جلسوا ، فتذاكروا أحسابهم بينهم ، فجعلوا مثلك مثل نخلة في كبوة من الأرض . فقال النبي /ص/ ان الله خلق الخلق ، فجعلني في خيرهم من خير فرقهم ، وخير الفريقين ثم تخير الله القبائل ، فجعلني من خير قبيلة ، ثم تخير البيوت ، فجعلني من خير بيوتهم ، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً . قال أبو العباس هذا حديث حسن .

٣ـ حدثنا محمود بن غيلان عن المطلب بن أبي وداعة قال جاء العباس الى رسول الله /ص/ وكأنه سمع شيئا ، فقام النبي /ص/ على المنبر ، فقال من أنا ؟ قالوا أنت رسول الله /ص/ قال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ان الله خلق الخلق ، فجعلني في خيرهم فرقة ، ثم جعلهم قبائل ، فجعلني في خيرهم قبيلة ، ثم جعلهم بيوتا ، فجعلني في خيرهم [illegible] وخيرهم نفسا . قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب .

هذه الأحاديث كلها تدل على أصالة الرسول /ص/ والحديث الأول [illegible] رواه الطبراني نص على أنه لاتتشعب شعبتان الا كان في أفضلهما ، [illegible] ابراهيم [illegible] شعبتين اسماعيل ، اسحق ، فكان الرسول /ص/ نبي الأفضل [illegible] ، [illegible] كانت أم اسماعيل أمة [illegible] الافضل اسحق ، وهذا دليل على أن أم اسماعيل ليست [illegible] ، فالأمة في النسب ذم ، وأي ذم . أما الحديث [illegible] [illegible] من نكاح والنكاح يختلف عن السفاح ، وقد تبرأ الرسول /ص/ من سفاح الجاهلية ولا أعتقد أن هنالك أعلم من هذا الحديث في [illegible] [illegible] . أما رأي الأستاذ هروز [illegible] سيرة ابن هشام فرسول الله / [illegible] ولد آدم حسبا وأفضلهم نسبا رأي صحيح لايشوبه أية شائبة ولو كانت في نسبه أية شائبة لما كان محمد /ص/ أشرف ولد آدم عليهما السلام .

وهذا مانص عليه الحديث الثالث من الترمذي أما الحديث الأول عن الترمذي . اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل ، فقد أخبرنا الرسول عليه الصلاة والسلام عكس ماتقول التوراة ، فهي التي تقوم بعملية الاصطفاء كما يحلو لها ، ولنرجع الى سيرة ابن هشام فاننا نراه يروي :

---

(٣) اذ أن التسرى يجري دون نكاح والحديث يرد هذا الزواج وينفيه عن نسبه .

١ـ حدثنا عبد الله بن وهب عن عبد الله بن ا ... آن رسول الله /ص/ قال : الله الله في أهل الذمة أهل المدرة ... الجعاد ... لهم نسبا وصهرا .

قال ... أم اسماعيل ... منهم ... أن رسول الله /ص/ ...

... أم العرب من ... الفرما من مصر ، وأم ابراهيم مارية ... كوره أنصنا

٢ـ قال ابن اسحق في السيرة النبوية حدثني محمد بن مسلم ... ان رسول الله /ص/ قال اذا افتتحتم مصر ، فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما ، فقلت لمحمد بن مسلم الزهري ماالرحم التي ذكرها رسول الله /ص/ لهم فقال كانت هاجر أم اسماعيل منهم .

والذي أراه أن مارية هي ذات الرحم وليست هاجر هذه الحديثان ورد في السيرة النبوية لابن هشام وابن اسحق وروض الأنف وهما يوردان ... أم اسماعيل على أساس أنها مصرية ، الحديث الأول ... ابن لهيعة . وابن لهيعة كذاب وضاع للحديث لايعتمد عليه ، أما الحديث الثاني فلم يذكر ... بصورة ... وانما مر في رواية أخرى فان لهم ذمة وصهرا ... ولم يفسر لهم الرسول ماالرحم ؟ وقال محمد بن مسلم هاجر و كانت ... أمة كما ... الرواة فان ذلك يقدح في نسب الرسول /ص/ ولاسيما ... أن العرب كانوا يعيرون من كانت أمه غير عربية ويعتبرونه هجينا . ... حادثة عنترة والسليك ، وخفاف عن أذهاننا ببعيدة . ولو قال قائل من يتجرأ على الرسول فيقول مايقول فانني أقول ان المنافرات التي حدثت بين قحطان

وعدنان في الدولة الأموية تفسح المجال لأن يعير القحطانيون الشماليين بأمهم . ولما لم يحدث ذلك فاننا ننفي الأمة نفيا قاطعا . بعد أن أوردنا الأحاديث وناقشناها نعود الى مناقشة كتاب التاريخ .

أ ـ الدكتور سوسة يقول :"وكان فرعون يعين في محمية نائب الملك ممن ليسوا من أهل المنطقة ، ثم يزوجه من امرأة من الطبقة الارستقراطية المصرية" وهو يرى أن هاجر من الطبقة الارستقراطية المصرية ، وفي هذا يرفض كون هاجر أمة ، وانني تساءلت ، ولازلت أسأل هل عين ابراهيم نائبا عنه ، وهل قبل ابراهيم المؤمن أن يكون نائبا عن فرعون ، وفرعون غير مؤمن بالله ، وابراهيم مؤمن ثم لو كان الأمر صحيحا فالعربي المولود من أبوين عربيين أشرف ، واعتق ممن أحد أبويه غير عربي ، ونعود فنقول أن القحطانيين كانواعيروا وهجنوا الشماليين ، ولهذا فاني أرفض هذه الدعوة .

ب ـ السحار : وردت كلمة هاجر عند السحار بمعنى سادن الأصنام ، كمامرت عند ابن خلدون أيضا ، وربما اعتبروا أم اسماعيل وثنية الأصل ، فأطلقوا عليها هاجر ، وسموا أبناءها بالهاجريين نسبة الى سدانة الأصنام ، وعندهم هذا القول أقرب الى الصحة ، ولكنني لاحظت من خلال قراءتي للتوراة ذاتها ، أن هاجر حينما فرت من سارة وقت غضبها ناداها ملاك الرب ، فسمعت ، وعادت ولو كانت غير مؤمنة لما عادت تقبل الاذلال من ضرتها .

ج ـ يقول ول ديورانت في قصة الحضارة ج٢ : "واذا كان الرجل ثريا أبيح له أن يتزوج بأكثر من واحدة ، واذا كانت عاقرا أشارت على زوجها بأن يتخذ له خليله"(١) . ويكذب هذا الرأي أسباب :

---

(١) ول ديورانت قصة الحضارة ج٢ ص٣٧٦

١ـ ان وضع الخليلة وضع غير شرعي اطلاقا ، ولايمكن أن يقبل من نبي ما .

٢ـ يكذب هذا الرأي قول الرسول /ص/ : ولدت من نكاح . والولادة من نكاح لايمكن أن تكون من خليله .

٣ـ يكذب هذا الرأي التوراة نفسها : اذ أن داوود قد تزوج أكثر من امرأة ، وكذلك يعقوب وسليمان ، وتزوج هؤلاء سيدات واماء لكنهم لم يعتبروا الآخريات خليلات .

٤ـ وقال بعض الاخباريين كان في زمن ابراهيم يحق للمرأة أن ترد الجارية الى مرتبة الاماء ، اذا لم تلد أما اذا ولدت فانها تصبح حرة ، هذا الكلام يقصد به هاجر ، ولكني لاأراه .

٥ـ قالت التوراة أن هاجر زوجت ابنها امرأة مصرية "فسمع الله صوت الغلام ونادى ملاك الله هاجر من السماء ، وقال لها مالك ياهاجر ؟ لاتخافي قد سمع الله لصوت الغلام حيث هو ، قومي احملي الغلام ، وشدي يديك به ، لأني سأجعله أمه عظيمة ، وفتح الله عينيها ، فأبصرت بئر ماء ، فذهبت ، وملأت القربة ماء ، وسقت الغلام ، وكان الله مع الغلام ، فكبر ، وسكن في البرية ، وكان ينمو رامي قوس ، وسكن في برية فاران ، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر[١] .

بينما توارث العرب أن اسماعيل تزوج امرأتين ، وكلتاهما من جرهم[٢]

---

(١) سفر التكوين الاصحاح الحادي والعشرون .

(٢) هاجر المصرية تزوج اسماعيل صدا بنت سعد من العماليق وهذه التي أمر بطلاقها ابراهيم ويخالف السحار كل الاخباريين العرب في زواج اسماعيل من جرهم ←

وربما كانت جرهم تسكن في مقاطعة مصر العربية ، ونعود في ذلك الى تفسير كلمة هاجارهم المصرية (جرهم المصريه) وفي هذا توفيق بين الروايتين ، ولايعني أن كل امرأة ليست من عشيرة ابراهيم هي جارية ، فقد قالت التوراة أن ابراهيم عليه السلام تزوج بعد سارة امرأتين احداهما قطورا ، وهي امرأة عربية خلافا لما رواه ابن العبري أنها بنت ملك الترك ، كماتزوج امرأة أخرى عربية ولم تشر التوراة الى أنهما كانتا أمتين ، وان كان في رأي اليهود تعتبر المرأة غير اليهودية أقل منزلة من المرأة اليهودية . لكنني أتساءل هل كان ابراهيم يهوديا ؟ وهل ينتسب الجد الى أبناء حفيده ؟ فيهودا ابن ليعقوب فهل يتبع ابراهيم ابنا لحفيده يعقوب ؟ أم أن يهوذا تابع لابراهيم ؟ لكن اليهود أجروا التاريخ حسب هواهم ، فسجلوا ما أرادوا ، وحذفوا ما أرادوا ، ويفيدنا في هذا المجال الامام الفخر الرازي في التفسير الكبير (وروى أن هاجر كانت أمة لسارة فوهبتها لابراهيم عليه السلام فولدت له اسماعيل) .

قال القاضي : أكثر الأمور المذكورة في هذه الحكاية بعيدة لأنه لايجوز لابراهيم أن ينقل ولده الى حيث لا طعام ولا شراب مع أنه كان يمكنه أن ينقلهما الى بلدة أخرى من بلاد الشام لأجل قول سارة الا اذا قلنا أن الله أعلمه أنه يحصل هناك ماء وطعام[٣] .

وتبقى رحلة ابراهيم الى مصر مرفوضة من أصلها ولاسيما اذا اقترنت الأمور بسارة وقد ناقشنا حديث سارة ولا حاجة بنا الى العودة له من جديد .

ولكنني أحب أن أضيف الى رأيي السابق في الحديث بعض آراء الكتاب

← ويسير وراء التوراة لاهثا فيتزوج اسماعيل فتاة مصرية حسب رأي أمه هاجر . ليت شعري أهو التعصب لمصر أم هو الانقياد الأعمى للتوراة .

(٣) التفسير الكبير ج١٩ ص١٣٦

والنقاد فقد قال العقاد :"نص العلماء على أن الحديث اذا كان رواية احاد ، وفيه نسبة المعاص أو الكذب الى الأنبياء يرد" ، وقد أخذ بهذا الحكم الامام الفخر الرازي في تفسيره ، هذا ماارتآه الشيخ عبد الوهاب النجار ، وجاء في حاشية شرح العصام على العقائد النسفية ، فماكان منقولابطريق الاحاد سواء بلغ حد الشهرة أولا فمردود لأن نسبة الخطأ الى الرواة أهون من نسبة المعاصي الى الأنبياء(٤) .

والروايات التي جعلت هاجر أمة ، انما هي مأخوذة عن اليهود ، ومن لف لفهم ، ونقلت عن الكتب الاسرائيلية .

"ولم يتحرج المسلم من الاستماع الى عالم يهودي بنقله من كتبه ، وآمن له واعتبر من العلم الذي سبقه اليه أهل الكتاب ، وكذلك فعل كثير من المفسرين ، وبالغوا في الطمأنينة الى أولئك الرواة ، وفاتهم أنهم ان سلموا من سوء النية لم يسلموا من الجهل ، وضعف السند وقلة التثبيت والتمحيص .

وكان الفاروق والامام علي رضي الله عنهما ينهيان كعب الأحبار عن الافراط في رواياته ، وأساطيره ، وسخر الفاروق منه حين زعم له أن مقتله مكتوب في التوراة ، ولم يثبت أحد شيئا من تلك الأساطير ، ولكن كعب الأحبار وأمثاله قد طاب لهم أن يتحدثوا بتلك الأساطير التي ينفردون بدعواها ، فأدخلوا فيها ، وجعلوا يطرفون السامعين بجديد ، كلما نفد قديمهم"(٥) .

نستنتج مماتقدم :

١ـ ليست هاجر أمة لأن ذلك لم يرد في نص القرآن ، ولا في السنة ،

---

(٤) ابراهيم أبو الأنبياء ص١٢١

(٥) التفسير والمفسرون .

وقد ناقشت الحديث الوارد في ذلك .

٢ـ وجود الأمة يقدح في النسب النبوي الشريف ولهذا سقط قول هاجر أمة .

٣ـ لم تثبت هجرة ابراهيم الى مصر ، ولاثبت أن ابراهيم رضخ لفرعونها حتى يتزوج مصرية سواء كانت ارستقراطية أم بنت ملك مخلوع أم أمة .

٤ـ لو كانت هاجر مصريةلأثرت بلسان ابنها ، فعلمته الكلمات المصرية الهيروغليفية ، ولدخلت بعضها الى لغتنا العربية . يرى السحار أن هاجر هي التي علمت اسماعيل الكتابة ، وليست جرهم ، واذا ماكانت هاجر حسب رأيه مصرية ، لاتنتمي الى الهكسوس ، فانها ستعلمه اللغة الهيروغليفية ، وليست اللغة العربية ويقول "وذهب ابراهيم الى مصر ، ورأى كيف يكتب المصريون على البردى ، وخرجت معه من مصر الأميرة المصرية هاجر التي تعلمت الكتابة على أيدي كهنة منف ، فعلمت اسماعيل الكتابة ثم اشتركت في تعليم أحفادها ، ولم يكن البردى متوفرا في بكة ، فراحت تعلمهم الكتابة على الرمل ، وعلى عظام كتف البعير ، ورقاق الغزلان"(١) . وأضيف أنه لو

---

(١) هاجر المصرية ص١٠١
وأحب أن أناقش هذه الفقرة فقد ورد معنا أن أهل الجاهلية كانوا أهل حفظ ورواية لا أهل كتاب وقراءة حتى عرف العرب بالأمين ولو بدأت هاجرر بتعليم ابنها اسماعيل الكتابة غير المصرية لكان عرب الحجاز أقوى علما وأشد ثباتا فيه وأطول باعا .
وهذا ماينقضه علماء الآثار والرواية فقد نزل الوحي على رسول الله /ص/ وهو أمي وأول آية وردت اقرأ فقال ما أنا بقارىء والقصة معروفة .
كما أننا نعرف جميعا أن الخط العربي المعروف هو تطور للخط الثمودي النبطي وليس للخط الهيروغليفي ولو كانت هاجر مصرية وتعرف الكتابة لأثر الخط الهيروغليفي في العرب .

كانت زوجة اسماعيل مصرية أيضا لأثرت أيضا في تعليم أبنائها بينما لم يشر السحار الى ذلك .

٥ـ ان تسمية هاجر تسمية عربية وليست مصرية .

٦ـ حينما طردت هاجر وابنها حسب قول التوراة عليها أن تعود الى أهلها ، ولكن الثابت أنها أتت الى الحجاز الى مكة المكرمة ، وهذا ينفي أنها من مصر ، وانما يثبت أنها عربية من الجزيرة العربية ، ومن قبيلة جرهم القبيلة التي كانت تقطن مكة ، أو قطنت مكة بعد ذلك .

٧ـ زوجت التوراة اسماعيل من امرأة مصرية كأمه ، ولكن في الواقع تزوج جرهمية ولهذا فأمه جرهمية .

٨ـ هاجر مثال المرأة المؤمنة حينما تركها زوجها ، قالت الى من تكلنا ؟ قال "الى الله" قالت فانه لايضيعنا . وتقبلت الأمر دون تذمر .

٩ـ لينفرد اليهود بالارث كما ادعوا جعلوا هاجر أمة ، وجعلوا ابنها اسماعيل ابن أمة ، وسأناقش الارث فيمابعد .

هجرة هاجر

من المعروف منطقيا بين الناس أن الزوجة الجديدة تستلب لب الرجل وتأخذ بشغلف قلبه .

كيف لا وابراهيم في الثمانين وهاجر الفتاة المدللة الناعمة الصغيرة وضرتها العاقر فوق السبعين ؟ هذه الجميلة سيطرت على قلب ابراهيم ، وقد أوردنا حديث سعد بن أبي وقاص في ذلك . لكننا نرى الأمور تسير بطريقة معكوسة عمانعهدها فالتوراة تصور لنا هاجر ذليلة مهانة ، تقسو عليها مولاتها بعدما حبلت ، فاذا بها تهرب غير ملتفتة الى شيء وراءها ، وهي المرأة الحبلى تتحرق بنار الصحراء ورمضائها ، غريبة لاتعرف أين تسير ؟ حتى رآها ملاك الرب حائرة ضائعة تكاد تهلك ، فناداها ملاك الرب ، وطلب منها أن تعود الى مولاتها (فدخل على هاجر ، فحبلت فلما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها في عينها ، فقالت ساراى لابرام ظلمي عليك ، أنا دفعت جاريتي الى حضنك ، فلما رأت أنها حبلت ، صغرت في عينيها ، يقضي الرب بيني وبينك ، فقال ابرام لساراى هو ذا جاريتك في يدك ، افعلي بها مايحسن في عينيك ، فأذلتها ساراى ، فهربت من وجهتها ، فوجدها ملاك الرب في البرية على العين التي في طريق شور ، وقال ياهاجر جارية ساراى من أين أتيت ؟ والى أين تذهبين ؟ فقالت أنا هاربة من وجه مولاتي ساراى ، فقال لها ملاك الرب : ارجعي الى مولاتك ، واخضعي تحت يديها ، وقال لها ملاك الرب "هاأنت حبلى ، فتلدين ابنا ، وتدعين اسمه اسماعيل ، لأن الرب قد سمع مذلتك ، وأنه يكون انسانا وحشيا يده على كل واحد ، ويد كل واحد عليه ، وأمام جميع اخوته

يسكن ، فدعت اسم الرب الذي يتكلم معها أنت ايل رئي ، لأنها قالت : ههنا رأيت بعد رؤية لذلك دعيت البئر بئر لحي رئي ، هاهي بين قادش ، وبارد فولدت هاجر لابرام ودعا ابرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر اسماعيل ، وكان ابرام ابن ست وثمانين سنة"(١) .

---

(١) الاصحاح السادس عشر سفر التكوين .
واختلف الرواة في عمر ابراهيم حينما ولد اسماعيل .
١- قال ابن العبري أنه ولد اسحق وعمر ابراهيم الخليل مئة سنة ، واسماعيل يكبر اسحق بثلاث عشرة سنة ، فيكون عمر ابراهيم سبع وثمانين سنة ، ويقول أيضا أن عمر ابراهيم حينما دخل مصر خمس وثمانون سنة .
٢- ويقول ابن اياس الحنفي عمر ابراهيم حينما ولدت هاجر ثلاث وثمانين سنة .
٣- وقال الامام الرازي : أعلم أن القرآن يدل على أنه تعالى ، انما أعطى ابراهيم هذين الولدين اسماعيل واسحق على الكبر والشيخوخة . فأما مقدار ذلك السن ، فغير معروف في القرآن "الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحق اني ربي لسميع الدعاء" .
وانما يرجع في ذلك الى الروايات ، وقيل ولد اسماعيل وابراهيم تسع وتسعون سنة ، واسحق عمره اثنتا عشرة ومئة ، وقيل ولد اسماعيل وابراهيم أربع وستون ، واسحق عمره تسعون سنة ، وقال سعيد بن جبير ولد اسماعيل وابراهيم ابن سبعة عشرة ومئة .
٤- أما يوسيفوس فقد قال أن عمر ابراهيم حين ولد اسماعيل مئة وسبع عشرة سنة .
٥- ويروي الأستاذ محمد علي الصابوني عمر ابراهيم حين ولد اسماعيل ستة وثمانون عام .
٦- وقرر الأستاذ محمد أحمد جاد المولى أن عمره فوق الثمانين حينما ولد اسماعيل .
٧- وقال ابن الأثير في كتابه البداية والنهاية أن اسماعيل ولد لابراهيم بعد أن سكن في الشام عشرين سنة ، وبهذا يكون عمره خمسا وتسعون سنة ، وبهذا

أما حادثة البراق التي وردت عن ابن قيم الجوزية ، فانني ألغيها لأنها لو وقعت الحادثة ، لما حدث أي اعتراض على اسراء الرسول /ص/ من مكة الى القدس ، فقد سبق اليها . أما انكار قريش لحادثة الاسراء ، فهي دلالة على انكار الحادثة التي رواها سعد بن أبي وقاص اذن كيف يقبل العقل منطق التوراة ؟ فسارة التي تعدها أجمل النساء كانت فوق السبعين من العمر ولايعقل أن تحتفظ بجمالها مهما بلغت وهي في هذه السن .

ثم ماالذي يجعل ابراهيم الخليل يتعلق بهذه العجوز العقيم ؟ ويترك الصبية ذات الجمال والولد أهو الأمر الالهي ؟ وحينها لانستطيع أن نتكلم .

أم هو الوفاء لسنوات طوال قضاها مع زوجته ؟ ، أم هو المنطق اليهودي الذي لايعترف في منطق ولايخضع لرأي ؟ .

هذا النقص الذي أصيب به اليهود أرادوا أن يعوضوه في شخصية سارة ، فصوروها متغطرسة لايعرف عنفوانها حد ، فهي تذل ضرتها تهينها ، وتأمر زوجها بطرد هاجر ، ويقبل ابراهيم أوامر زوجته سارة ، وكأنها وحي منزل لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه(١) .

← تتفق الروايات على أن عمر ابراهيم أكثر من الثمانين حين ولد له اسماعيل ، وارجع الى الطبري وابن خلدون وابن كثير والمسعودي لترى أن الجميع قد اتفقوا على عمر ابراهيم فوق الثمانين ، ولا جدال في هذا ، فقد قال ابراهيم في القرآن الكريم الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحق .

٨ـ أما السحار فقد جعل ميلاد اسماعيل قبل انتصار ابراهيم على كدرلعومر .

(١) هاجر المصرية أم اسماعيل تذييل ص٢٧٥ . فمن غير المعقول أن يأتي ابراهيم من الشام الى مكة ولاينزل عن راحلته فقد فسر المفسرون عدم نزوله بأن ابراهيم استأذن سارة أن يأتي هاجر فأذنت له وشرطت عليه كأنما كان ابراهيم ألعوبة في يد سارة .

تفر المرأة الحامل من ضرتها العاقر ، وتعود بأمر الملاك ، ولايحاسب الزوج أحداهما لا الصبية على فرارها ، ولا العجوز على جبروتها . أسرة مهلهلة ما ماتصوره كتب التوراة أما أنا فلاأرى هذا اطلاقا . لم تبين لنا التوراة نوع الاذلال الذي أذلت به سارة هاجر فتطوع الطبري وأتباعه ليبين لنا هذا الاذلال . قال الطبري : أن هاجر بعدما هربت من سارة تركت ثوبها طويلا ليجر على الأرض ولتمحو أثرها ، ولتمحو أثر الدم لأن سارة ختنت هاجر ، وصارت سنة بعد ذلك(٢) .

وطالما وصلنا الى الختان ، فليست سارة التي ابتدعته وانما هي عادة قديمة قد عرفها المصريون والفينيقيون أولا ، وعرفتها بعض القبائل المجاورة ، واتبعتها (الختان ان هو الا عادة قديمة مصرية اقتبسها الفينيقيون والسوريون منهم ، كما أيد ذلك هيرودتس أبو التاريخ ، وقد ثبت قول هيرودتس هذا بعد اكتشاف ذلك عميلا على أجساد المومياء في قبور المصريين القدماء وفي النقوش على جدران القبور هذا ، وقد ورد في سفر هوشع في التوراة مايؤكد كون مصر موطنا لسادة الختان)(٣) . فاذا ماكانت مصر مكانا للختان وموطنا كيف تدل سارة هاجر بختانها ، وهي مختونة وكيف تطول ثوبها لتخفي أثر الدم ؟ هذا مالايصح اطلاقا والحديث كله موضوع . طلب في الاسلام العدل في كل شيء حتى بين الزوجات فكيف يظلم أبو الأنبياء ؟ ويقبل الظلم على نفسه ؟ كيف يسلم زوجته لضرتها ؟ ويعلم الله حقد المرأة ، ومبلغ الكراهية لضرتها . ان هذا محال ، وقد أورد البخاري حديثا موقوفا عن ابن عباس قال : أول

---

(٢) ارجع الى الطبري ج١ وارجع الى البخاري ج٤ ص١٤٢ . الحديث عن ابن عباس .

(٣) أحمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ٢ ح٤٦٧

ماالتخذ النساء المنطق من قيل أم اسماعيل اتخذت منطقا لتخفي أثرها على سارة[٤] . تنافض مابعده تناقض ممن نقل عن ابن عباس حينما أصغى الى صوت الاسرائيليات ولم يصغ الى عقله ودينه . فكيف تطردها سارة ، وتقفي هاجر أثرها لئلا تعرفها سارة ؟(وافتقد الرب سارة كما قال ، وفعل الرب لسارة كما تكلم ، فحبلت سارة ، وولدت لابراهيم ابنا في شيخوخته في الوقت الذي تكلم الله عنه ، دعا ابراهيم اسم ابنه المولود الذي ولدته له سارة اسحق ، وختن ابراهيم اسحق ابنه ، وهو ابن ثمانية أيام كما أمره الله ، وكان ابراهيم ابن مئة سنة ولد له اسحق ، وقالت سارة : قد صنع الي الله ضحكا كل من يسمع يضحك لي . وقالت من قال لابراهيم سارة ترضع بنين حتى ولدت ابنا في شيخوخته ، فكبر الولد ، وفطم ، وصنع ابراهيم وليمة عظيمة يوم فطام اسحق ، ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لابراهيم يمزح ، فقالت لابراهيم اطرد هذه الجارية ، وابنها لأن ابن هذه الجارية ، لايرث مع ابني اسحق ، فقبح الكلام جدا في عيني ابراهيم ، لسبب ابنه فقال الله لايقبح في عينيك من أجل الغلام ، ومن أجل جاريتك في كل ماتقوله لك سارة ، اسمع لقولها لأنه باسحق يدعى لك نسل وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك ، فبكر ابراهيم صباحا ، وأخذ خبزا وقربة ماء وأعطاهما لهاجر واضعا اياهما على كتفها ، والولد وصرفها فمضت ، وتاهت في برية بئر سبع ، ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت احدى الأشجار ، ومضت ، وجلست مقابله بعيدا نحو رمية قوس لأنها قالت أنظر موت الولد ، فجلست مقابله ، ورفعت صوتها ، وبكت فسمع الله صوت الغلام[٥] .

---

(٤) البخاري الجزء الرابع ص١٤٢

(٥) التوراة سفر التكوين الاصحاح الحادي والعشرون .

أيقبل انسان عاقل عادل أن يطرد امرأته وابنه البكر من أجل ارضاء امرأة أخرى وأي اله يأمر بالظلم ؟[1] . أليس الله هو القائل (فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألاتعدلوا فواحدة) يأمرنا الله بالعدل بين الزوجات ويأمر ابراهيم بألايخالف أوامر زوجته سارة ! . أي تناقض هذا يخيم في ذهن اليهود وأفكارهم ؟ ومن هنا أنطلق لأقول أن هجرة هاجر واسماعيل لم تكن لارضاء عجوز متصابية (حسب رأي اليهود) تغار ضرتها وابنها فتأمر زوجها بطردهم . وكيف تطرح هاجر الولد وهو ابن خمس عشرة سنة شاب يافع .

كانت الهجرة أمرا الهيا والهيا فقط ، وعلى المؤمن أن يأتمر بأمر الهه ، ويتبع أوامره ، ويبتعد عن نواهيه ، واسمع الى النص من جديد (سأجعله أمة لأنه نسلك) هذا النسل مأمور ابراهيم أن يهاجر به لارادة الهية لا لسواها ، وليس من أجل ارضاء سارة كما تقول التوراة بل ان التوراة ومن سار في ركابها تصور سارة كمايحبون أن تكون شديدة الغيرة ، حاقدة ، متسلطة على الناس ، فهي مثال حسن لليهود صوروها كماهم لاكما هي .

ولهذا هربت من وجهها ، ووجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية على العين التي في طريق شور . وقال : ياهاجر جارية ساراى من أين أتيت ؟ والى أين تذهبين ؟ . وتصور التوراة الله مع العجوز المتغطرسة يأمر هاجر أن تعود الى مولاتها لتذلها ، بعد أن بشرها بولدها اسماعيل لأنه يكون انسانا قويا يده على الجميع ، ويسكن أمام جميع اخوته هذا الهروب الذي ذكرته التوراة لم يذكره أحد من اخباري العرب وقصاصيهم ، ربما لأنهم رأوا في هروبها

---

(١) هاجر المصرية .

عيبا ، فسكتوا عنه ، ولم يروا في خدمتها وكونها أمة عيبا ، فشهروا بها ، ورجعت هاجر لتقيم على الظلم ، وتطول الأيام حسبما تصور التوراة حتى تلد سارة ، وتفطم ولدها اسحق ، فاذا ماكان اسماعيل ابن ثلاث عشرة حتى حبلت سارة ، وحتى فطمت اسحق لاتقل المدة عن سنتين أصبح عمر اسماعيل خمسة عشرة سنة . خمسة عشر عاما على الظلم تقيم هاجر مع ضرتها سارة ، وهنا يرد بيت من الشعر يمثل هذه الحادثة

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى

عدواً له ما من صداقته بد

وبدلا من أن يرق قلب سارة بعدما ولدت تشكر الله على ولدها زاد حنقها حنقا ، وغيرتها غيرة ، فاذا بها تقول (اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن الجارية لايرث مع ابني) . كلمة الحقد أفرغت ، وسم اليهود صبوه على كل من ليس يهوديا في هذه الكلمة ، فهم ليسوا أبناء اسماعيل ، ولهذا عليهم أن يعتبروه كمايعتبرون بقية الناس عليهم أن يطردوه من بين الأسرة فأنطقوا سارة مالم تنطق ، وتقول التوراة ان ابراهيم تنغص من هذه الكلمة ، ليقتلوا العاطفة الانسانية في قلبه ، تكلموا على لسان الاله ، لأنهم يصورون الاله لهم فقط (لايقبح هذاالكلام في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك) .

وبات من المحتم حسب رأيهم أن يطرد الجارية وابنها شر طردة ، لارضاء الههم وسيدتهم . والله بريء عما يعمل الظالمون .

حجة واهية لأن ابن الجارية لايرث مع ابني .

حجة الارث والوعد تسوغ لهم أن يطردوا الجارية ، وابنها بل انها سوغت لهم في الوقت الحالي أن يبيدوا شعبا كاملا من أجل الوعد والارث .

يقول ول ديورانت (واذا كان الرجل ثريا أبيح له أن يتزوج بأكثر من واحدة واذا كانت عاقرا أشارت الى زوجها بأن يتخذ له خليلة) ولما قرأت التوراة لم ألحظ اتخاذ خليلة ، ولا سمح به فروح الشرائع كلها واحدة ، ورغم أن التوراة الحالية لاتمثل قيم التوراة الأصلية ، ولكنهم لم يقولوا باتخاذ خليلة .

نظام التسري موجود عند الخليل وعند داوود وعند الرسول العربي /ص/ فنظام التسري وتعدد الأزواج هو هو لكنه ربما قلص العدد أو زاد لكن النظام يبقى نظاما .

وكأن ول ديورانت لم يفرق بين نظام التسري ، ونظام التزاني (الخليلة) ، فيعقوب قد تزوج باثنتين ، وتسرى باثنتين أما ناحور أخو ابراهيم (وحدث بعد هذه الأمور أن ابراهيم أخبر ، وقيل هوذا ملكه قد ولدت هي أيضا بنين لناحور أخيك عوضا بكره وبوزا أخاه وقموئيل أبا أرام وكاسد وحزو وقلداش وبدلاخ وبتوئيل وولد بتوئيل رفعة هؤلاء الثمانية ، ولدتهم ملكه لناحور أخي ابراهيم ، أما سريته واسمها رؤومه فولدت هي طايخ وجاحم وناحش ومعكه[1] .

ويقول الأستاذ عبد الحميد جودت السحار :وكان للزوجة الأولى أن ترد الجارية الى مرتبة الاماء ، ان حاولت منافستها في حب زوجها بل كان لها الحق في بيعها مالم تصبح أما . أما اذا ولدت طفلا ، فانها تحرر ، وقد أنجبت رؤومة جارية ملكة امرأة ناحور ذرية لناحور ، فاستحال على ملكة زوجته الأولى أن تردها الى مرتبة الاماء ، أو أن تبيعها في السوق بيع الرقيق[2] .

وبهذا لو سلمنا أن هاجر أمة لايمكن أن تذلها سارة ، ولا أن تخضع تحت

---

(١) سفر التكوين الاصحاح الثاني والعشرون .
(٢) السحار محمد رسول الله والذين معه ج١ ص١٦٤

يديها كماتقول التوراة وكمايطلب منها ملاك الرب حسب تعبيرهم .

وأما من ناحية ابن الأمة لايرث مع ابن السيدة فنستطيع العودة الى التوراة من جديد :

١ ـ تقول التوراة في سفر التثنية (اذا كان لرجل امرأتان احداهما محبوبة ، والأخرى مكروهة فولدتا له بنين المحبوبة والمكروهة ، فان كان الابن البكر للمكروهة ، فيوم يقسم لبنيه ماكان له يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكرا على ابن المكروهة البكر ، بل يعرف ابن المكروهة بكرا ليعطيه نصيب اثنين من كل مايوجد عنده ، لأنه هو أول قدرته له حق البكورية)(٣) .

فاسماعيل هو الابن البكر ، وله حق البكورية اذن يرث اسماعيل أكثر من اسحق بمرتين لأنه البكر . أما ان ابراهيم لايحكم بالتوراة ، فهذا حق لأن التوراة لم تكن في زمن ابراهيم ، وانما كان له صحفه الخاصة وهنا يخطر ببالي حديث نبوي (نحن معاشر الأنبياء لانورث مالنا صدقة) . لم يقل (أنا النبي لاأورث) وانما قال نحن معاشر الأنبياء لانورث مالنا صدقة .

٢ ـ نأتي الى قصة يعقوب فقد ولدليعقوب اثنا عشر ولدا وهم حسب أمهاتهم :

أبناء ليئة (المكروهة) : البكر راوبين ـ شمعون ـ لاوى ـ يهوذا ـ يساكر ـ زبولون ـ دينا .

أبناء راحيل : يوسف ـ بنيامين .

بلهة جرية راحيل : دان ـ نفتالي .

---

(٣) سفر التثنية الاصحاح الحادي والعشرون .

زلفة جارية ليئة : جاد ـ اشير .

أبناء يعقوب اثنا عشر ولدا فهم كماقال الله سبحانه وتعالى على لسان يوسف (اني راية أحد عشر كوكبا والشمس رأيتهم لي ساجدين) واثنا عشر ابنا هم الأسباط الذين ذكروا في القرآن الكريم ، ولم يحذف القرآن واحدا منهم ، كما لم تحذف التوراة واحدا منهم ، فاذا كان ابن الأمة لايرث معنى ذلك يجب أن يحذف أبناء الأمتين الأربع .

والسؤال الذي يطرح على اليهود اذا كان ابن الأمة لايرث فلماذا ورث دان ونفتالي وجاد واشير واذا كان ابن المكروهة لايرث كما صار مع اسماعيل ، فلماذ لم يحرم اليهود راؤبين واخوته وفيهم يهوذا الذي ينسب اليهود أنفسهم اليه ؟ . ولماذا سموا أنفسهم يهودا نسبة الى يهوذا ؟ وهو ابن المرأة المكروهة (حسب رأي توراتهم) ولم يأخذوا اسم الابن البكر للمحبوبة راحيل وهو يوسف ؟ . ولماذا كان سيط يهوذا هو المسيطر في القدس ، وتسمت المملكة باسمه لأنهم كانوا الأقوى أم الوعد كان ليهوذا ، لم أر أي وعد باسم يهوذا .

لكنهم يعملون مايشاءون دون رقيب أو رادع وهم يخالفون تعاليم توراتهم التي كتبوها بعد أن ضاعت التوراة الأصلية .ألم يقل سفر التثنية (لايكن لك في كيسك أوزان مختلفة كبيرة وصغيرة لايكن لك في بيتك مكاييل مختلفة كبيرة وصغيرة ، وزن صحيح وحق يكون لك ، ومكيال صحيح حق يكون لك)(٤) . وكيف يقيسون بمكيالين ، ويزنون بوزنتين مختلفتين ؟ .

---

(٤) سفر التثنية الاصحاح الخامس والعشرون .

الرحال الى مكة :

من هذه النقطة نقف على مفترق طرق بين التوراة ، من جهة وبين الاخباريين العرب من جهة ثانية ، لأنهم لو تابعوا التوراة بكل أقوالهم ، لوقعوا في دوامة كبيرة ، لن يستطيعوا التخلص منها ، ولانكشف زيفهم وادعاؤهم ، ولظهرت هويتهم ، وبانت بأنهم غير مسلمين ، ولهذا فارقوا التوراة في أشياء ، وخالفوها في أشياء فماذا يقول الاخباريون العرب في هذا ؟

ورد في صحيح البخاري عن ابن عباس رواية أشبه برواية التوراة :

أ- حدثني ابن جريج . . . حدثني ابن عباس رضي الله عنهما قال : أقبل ابراهيم باسماعيل وأمه عليهما السلام وهي ترضعه معها شنة لم يرفعه ، ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسماعيل .

ب- وحدثني عبد الله بن محمد . . . عن سعيد بن جبير قال ابن عباس أول ماانخذ النساء المنطق من قبل أم اسماعيل اتخذت منطقا لتخفي أثرها على سارة ، ثم جاء بها ابراهيم ، وبابنها اسماعيل ، وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء ، فوضعهما هناك ، ووضع عندها جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ، ثم قفا ابراهيم منطلقا ، فتبعته أم اسماعيل ، وقالت ياابراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنس ولاشيء ؟ قالت له ذلك مرارا ، وجعل لايلتفت اليها ، فقالت له الله أمرك بهذا ؟ قال نعم قالت اذن لايضيعنا . ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لايرونه استقبل البيت ثم دعا

بهؤلاء الكلمات ، ورفع يديه ، فقال : رب اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون ، وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل ، وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفذ مافي السقاء ، عطشت ، وعطش ابنها ، وجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال يتلمظ فانطلقت كراهية أن تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ثم استقبلت الوادي ، تنظر هلى ترى أحدا فلم تر أحدا ، فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ، ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة ، فقامت عليها ، ونظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ، ففعلت ذلك سبع مرات . قال ابن عباس قال النبي /ص/ فذلك سعي الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا ، فقالت صه تريد نفسها ، ثم تسمعت ، فسمعت أيضا ، فقالت قد اسمعت ، ان كان عندك غواث ، فاذا هي بالملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقبه ، أوقال بجناحه حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه ، وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرف من الماء في سقائها ، وهو يفور بعدما تغرف . قال ابن عباس قال النبي /ص/ يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا ، قال فشربت ، وأرضعت ولدها[1] .

نقلت الرواية الاسلامية عن ابن عباس فلأنقل الرواية التوراتية (ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لابراهيم يمزح فقالت لابراهيم اطرد هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لايرث مع ابني اسحق ، فقبح الكلام جدا في عيني ابراهيم ، وقال الله لابراهيم ، لايقبح في عينيك من أجل الغلام ، ومن أجل جاريتك في كل ماتقول لك سارة اسمع لقولها ،لأنه باسحق يدعى لك ، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك ، فبكر ابراهيم صباحا ، وأخذ قربة ماء

---

(١) صحيح البخاري ج٤ ص ١٤٢ - ١٤٣

وخبزا وأعطاهما لهاجر واضعا اياهما على كتفها ، والولد ، وصرفها ، فمضت ، وتاهت في برية بئر سبع ، ولما فرغ الماء من القربة ، طرحت الولد تحت احدى الأشجار ، ومضت ، وجلست مقابله بعيدا نحو رميه قوس ، لأنها قالت لأنظر موت الولد ، فجلست مقابله ، ورفعت صوتها ، وبكت ، وسمع الله صوت الغلام ، ونادى ملاك الله هاجر من السماء ، وقال لها : مالك ياهاجر ؟ لاتخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو ، قومي ، احملي الغلام ، وشدي يديك به ، لأني سأجعله أمة عظيمة ، وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء ، فذهبت ، وملأت القربة ماء ، وسقت الغلام ، وكان الله مع الغلام ، وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس ، وسكن في برية فاران ، وأخذت له أمه زوجة من مصر(٢) .

ولنناقش نص التوراة مع النص الذي ورد كحديث :

أ- في النص كليهما طفل مع العلم أن التوراة في الاصحاح نفسه ذكرت أن سارة فطمت اسحق وبعد فطامه أمرت سارة بترحيل هاجر وابنها ، وعلى ذلك عمره فوق الخامسة عشرة ، فقد ولد اسماعيل وعمر الأب ست وثمانين سنة ، وولد اسحق وعمر الأب مئة سنة بالاضافة الى أن اسحق فطم والفطام لايكون قبل سنة ونصف ، فهل تحمل الأم غلاما في الخامسة عشرة ؟ وهل يكون رضيعا في الخامسة عشرة ؟ وهل تطرح الأم ولدا في الخامسة عشرة تحت شجرة ؟ وتذهب بعيدا حتى لاترى موته ؟ وتبقى الرواية الاسلامية رضيعا أقرب للمنطق ، لكنها ليست أقرب للصحة فالحادثة غير صحيحة .

ب- قالت التوراة أنه طرحها في برية بئر سبع ولاأدل على أن بئر سبع كان

---

(٢) سفر التكوين الاصحاح الحادي والعشرون .

قريبا من مصر التي أتت منها هاجر حيث أخذت زوجة لاسماعيل حين شب بينما تروي الرواية الاسلامية أنه طرحها فوق زمزم تحت دوحة وتقول التوراة أن اسماعيل سكن برية فاران ، ولم تشر التوراة الى أرض الحجاز .

٣ـ أيعقل لوالد مهما بلغ به الضعف أمام زوجته أن يطرح ابنه وزوجته في صحراء لاحياة فيها ليموتا جوعا وعطشا وفي هذا يقول الأستاذ عبد الدايم زيتون في حاشية على كتاب قصص الأنبياء : "لو كان ابعاد ابراهيم لزوجه وولده الى وادي مكة اتباعا لهوى نفس لكان مضبعه لزوجه وولده ، يسأله الرب عن هلاكهما ، لو هلكا أما أنه تنفيذ لأمر الله ، فهو خير وعاقبته الى خير[١] .

أما الأستاذ الشيخ محمد متولي الشعراوي فيقول : هذا أب يترك امرأة ووليدها في مكان ليس فيه السبب الأول من أسباب الحياة ، وهي الماء ، وعندما قالت له زوجه أين تركتنا في هذه الصحراء الجرداء التي ليس بها نقطة من الماء أنت تفعل هذا بأمر الله أم بأمرك أنت ؟ فلما قال لها أن ذلك بأمر الله قالت اذن لن يضيعنا فهي أمنت ان مادام ذلك بأمر الله ، ومادام ذلك أمرا ، فان اله قد أعد مخرجا[٢] .

لقد سار المؤرخون في ركاب التوراة من ناحية قص القصة وقالوا أن ابعاد هاجر مامن سبب له الا ارضاء سارة ، أما علماء الدين فقد قالوا انما ذلك بأمر من الله تعالى ، وأنا مع الأمر ولكنني لاأقر أن ابراهيم الخليل رحل زوجته وابنه قبل أن يهيىء لهما أسباب الحياة .

---

(١) قصص القرآن حاشية ٥٠ الأستاذ الشيخ عبد الدايم زيتون .
(٢) الأستاذ الشيخ محمد متولي الشعراوي أسئلة محرجة وأجوبة صريحة ص٣٢

قالت التوراة أن اسماعيل سكن فاران ، وتزوج من مصرية كأمه ويقول ابن عباس والمفسرون والاخباريون أنه تزوج من قبيلة جرهم .

وكان ابن عباس كغيره من الصحابة الذين اشتهروا بالتفسير يرجعون في فهم معاني القرآن الى ماسمعوه من رسول الله /ص/ وكان رضي الله عنه يرجع الى أهل الكتاب ويأخذ عنهم ومن بين المراجع المفضلة عند ابن عباس كعب الاحبار اليهودي ، وعبد الله بن سلام ، وأهل الكتاب على العموم فقد حذر الناس منهم كما أن ابن عباس نفسه في أقواله حذر من الرجوع اليهم . ومن شك في كلام ابن عباس أيضا الأستاذ أحمد أمين والمستشرق كولد زيهر ابن عباس لم يأبه لنهي الرسول /ص/ عن تصديق أهل الكتاب (فالأستاذ كولد زيهر والأستاذ أحمد أمين يريان أن الصحابة وبخاصة ابن عباس لم يأبه لنهي الرسول /ص/ فصدقوا أهل الكتاب ، وعنهم أخذوا الكثير من التفاسير ، وأن اللون اليهودي قد صنع المدارس التفسيرية القديمة وبالأخص مدرسة ابن عباس بسبب اتصالهم بمن دخل الاسلام من أهل الكتاب[٣] .

فاذا ماوجدنا قصة هاجر مأخوذة من ابن عباس ، وهو يوردها كماوردت في التوراة عرفنا أن اليهود هم الذين نقلوا هذه القصة ، وثبتوا في أذهان الناس أن هاجر أمة مصرية وأن السيدة سارة هي الأمرة الناهية .

يقول الاخباريون العرب أن القصة تمت بأمر من السيدة سارة[٤] . أما

(٣) التفسير والمفسرون ج١ ص٧١

(٤) ارجع الى :

أ ـ ابن الأثير . والمقصود أن هاجر عليها السلام لما ولدلها اسماعيل اشتدت سارة منها وطلبت من الخليل أن يغيب وجهها عنها فذهب بها وبولدها فسار بهما حتى وضعهما حيث مكة اليوم . ←

جماعة التفسير والعلماء فقد قالوا نقلت الى مكة بأمر الهي وحكمة الهية ولاعلاقة بسارة .

الهجرة تمت الى مكة فهل تمت بناء على طلب سارة أم بناء على أمر الهي ؟ وتحاول التوراة أن تبين الأمر الهي تنفيذا لرغبات سارة ، لكن القرآن أوضح ذلك ، لو كلنت رغبات سارة في الطرد ، لذهبت هاجر الىأي مكان يؤمن فيه العيش الرغيد ، والماء والزاد وابنها فتى يستطيع أن يؤمن لها ذلك .

ولو كانت مصرية للجأت الى مصر عند أهلها ، وستلقى هناك الرحب والسعة ، ولن يضن أهلها بالمقام عليها . فلماذا لجأت الى الحجاز الى واد غير ذي زرع ؟ .

سؤال لابد من طرحه ومن الشك نصل الى اليقين ، وللجواب على هذا لانتصور رجلا يكره امرأته بهذا الشكل دون مبرر وخاصة نراه في التوراة أنه غضب من كلام سارة ، لكنه وقف عاجزا مشلول الحركة أمام رغباتها حتى أتى أمر الله يؤيدها في ذلك ، اذن أوامر الهية وماعلى المؤمن ابراهيم والمؤمنة

← ب ـ الجرداني . ولما ولدت هاجر اسماعيل شمخت على سارة زوجة سيدنا ابراهيم فقالت سارة لسيدنا ابراهيم لأأسكن أنا وهاجر في مكان واحد فأمره الله أن يمضي بهاجر وابنها اسماعيل الى محل الحرم .

ج ـ والأستاذ محمد أحمد جاد المولى يصور في قصصه تصوير سارة على أساس أنها امرأة ولهذا فهي تغار وهي تطلب من ابراهيم الخليل تهجير هاجر .

د ـ ويقول الأستاذ محمد علي الصابوني أن سارة قد اشتدت بها الغيرة فطلبت من ابراهيم أن يقصيها .

و ـ الطبري ، أورد روايتين : اسماعيل رضيع وسارة فيها ، كماقال ابن عباس وثانيهما ابن ثلاث عشرة سنة . ولن نتبع باقي الاخباريين فهم لم يخرجوا عن هذا الاطار .

هاجر وابنهما الا أن يطيعوا الله في سرائهم وضرائهم ، شدى الرحال الى مكة فتهاجر مجيبة سمعا وطاعة ، الله يأمر ، وماعلينا الا أن ننفذ أحكامه وأوامره . وشدت الرحال قانعة راضية بمايقسم لها ربها . تصوروا هذا الايمان المتسامي بالانسان حينما تظل وحيدة مع ولدها حسب تصوير القصة (ويقال أن ولدها كان رضيعا فلما تركهما هناك ، وولى ظهره عنهما ، قامت اليه هاجر ، وتعلقت بثيابه ، وقالت ياابراهيم أين تذهب وتدعنا هنا ، وليس معنا مايكفينا ؟ فلم يجبها . فلما ألحت عليه ، وهو لايجيبها . قالت له الله أمرك بهذا ؟ قال نعم قالت انه لايضيعنا ، ثم رجعت)[1] . كان على رواة القصة أن يزيدوا حديث الكذبات فيقولون أنه كذب مرة رابعة حينما قال أن الله أمره بهذا ، لأن الله لم يفعل هذا ولكن سارة قالته . ولهذا فانني أنفي هذه القصة ، وغضب سارة ، وطلب طرد الجارية لأن هذا يعيدنا الى تكذيب ابراهيم عليه السلام ، وتصوره الانسان المغلوب على أمره ، وهذا لم يقره القرآن ، ولاالرسول /ص/ وانما صورته بهذه الصورة كتب اليهود ، والمؤرخ يوسبفوس اليهودي يعطينا صورة واضحة في ذلك فقد أقصى هاجر وابنها الى برية فاران ، ويتابع القصة في ينبوع الماء ، ومجيىء ملاك الرب ، ويقول أن اسماعيل تزوج امرأة مصرية كأمه .

وتقول المصادر العربية أن اسماعيل تزوج من جرهم ممايدل على أنها ليست من مصر ومما يدل على أنها ليست أمة بل هي عربية فقد زوجت ابنها المرأة من قومها العرب .

وأسمع الى قول ابراهيم وهو يدعو هذا الدعاء حينما أسكن ابنه وزوجته

---

(١) البداية والنهاية ابن الأثير ج١ ص١٥٤

في مكة المكرمة . واذ قال رب اجعل هذا البلد أمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ، رب انهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم . ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون . ربنا انك تعلم مانخفي ومانعلن ومايخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء والحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء"(٢) .

هذه الأيات تنقض رواية ابن عباس ، وبقية الاخباريين ، ومن سار في نهج التوراة للأسباب التالية :

أ- قال ابراهيم (رب اجعل هذا البلد امنا) ، وكيف تكون هاجر واسماعيل بمفردهما ويسمي المكان القفر بلدا ؟ والذي آراه أن مكة كانت معمورة بالناس ، ولهذا سميت بلدا ، وقد حاولت أن أتابع المفسرين كلهم ، فوجدتهم يقولون البلد مكة دون أن يشيروا الى أبنائها . فكيف يدعو لبلد وهي لم تعمر ، ولهذا حينما وضع هاجر واسماعيل وصفها في بلد معمورة ، ودعا لهذا البلد بالأمن .

٢- كررت هذه الدعوة في مكان آخر من القرآن الكريم "واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات" دعا هذه الدعوة بعد أن بنى البيت مع اسماعيل ممايدل على أن الهجرة تمت بعد بناء البيت لا قبله .

٣- ليس اسماعيل طفلا رضيعا كما تصوره القصة ، فقد قال في الآيات نفسها "واجنبني وبني أن نعبد الأصنام" وكلمة وبني تدل على أكثر من ولد ،

---

(٢) القرآن الكريم سورة ابراهيم ٣٥ - ٣٩

ومن المعلوم أن اسماعيل أكبر من اسحق بعدة سنوات ، والاية تدل دلالة واضحة على وجود الولدين .

٤ـ "فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم" . هذه الآية تثير مشكلة الوعد ، فليس أبناء ابراهيم كل الذين من صلبه ، وانما من تبعه في العبادة سواء كان من صلبه أم لا ، فهو من ابراهيم ، ومن لم يتبعه ولو كان من صلبه ليس من ورثته ، ولاهو من أمته . وفي هذا نلتقي مع الرسول بولس .

٥ ـ قوله "ربنا اني أسكنت من ذريتي في واد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة" . دلالة واضحة على نقض القصة التوراتية ، فالهجرة الى مكة كانت بعد بناء البيت لا قبله ، أما القصص التوراتية ، فتذكر بناء البيت بعد الهجرة ، والتوراة لاتشير الى ذلك قطعيا .

٦ـ "فاجعل أفئدة الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون" . دعوة صالحة لابنه وزوجته ، لادعوة رجل كاره مغلوب على أمره واقع تحت سيطرة زوجة حاقدة غيورة ، ولم يبين لماذا تهوى أفئدة من الناس اليهم ، ولايقصد بهذا الحج من أجل الرزق ، ولم يقل فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ليرزقوا .

٧ـ ربنا انك تعلم مانخفي ومافعلن ايمان كامل بقدرة الله ومعرفته بمايكن الانسان ، ومايعلن . فهل يكذب ابراهيم على ربه أيضا ؟ يأتمر بأمر سارة ويقول لله اني أسكنتهم عند بيتك المحرم ليقيموا الصلاة ؟ .

فهل نضيف كذبة لقائمة الكذب أم أنه كان صادقا في قوله انما ينفذ أمرا الهيا ليس الا ؟ .

٨ـ القصة توحي أن هاجر كانت تعرف لغة البلاد التي سكنت فيها بعد

الهجرة ، وهذا مايؤكد أن هاجر عربية ، تعرف لغة قومها بشكل كامل ، ولهذا حينما أتت الى الحجاز لم تشعر بالغربة . أما لغة زوجها ابراهيم فأنا أشك في كونها آرامية كما قال الذين نقلوا عن التورات وسأناقش اللغة في باب مفرد .

بعد هذا كله نقول دعا ابراهيم هذه الدعوة بعد أن بني البيت مع اسماعيل ممايدل على أن الهجرة تمت بعد بناء البيت لاقبله .

ونقول أن الاخباريين العرب الذين تابعوا ابن عباس في القصة لم يكونوا سائرين في غير ركاب قراء التوراة وقد وقعوا في شرك هذه الأضاليل ان عامدين أو جاهلين سوء نية اليهود حتى لو أعلنوا اسلامهم ، وحتى الآن ينكر المتمسكون بقصة التوراة ، أن يصوروا أن لاعلاقة لابراهيم بمكة ، وأن هذا تصوير اليهود الذين أعلنوا اسلامهم ، ليتقربوا بهذه القصة الى المسلمين (أما علاقته بمكة والبيت الحرام فالأمر فيها أعجب من أمر المختلفين على شخصيته التاريخية لأن الذين ينكرون ذلك العلاقة لم يدعوا لها سندا من العلم ، ولا من الكشوف العصرية بل هم يعتمدون على بعض المصادر الدينية ، وللجزم ببطلان المصادر الأخرى أنهم يعتمدون على المصادر الاسرائيلية ، للجزم ببطلان المصادر الاسلامية ، ولاشك للعلم الحديث هنا ، بل هو تمييز رواية دينية على رواية دينية تخالفها ولامحل لاقهام العلم العصري بين روايتين) .

٩ـ الأمر الالهي هو مانفذه ابراهيم الخليل عليه السلام لا أمر سارة كما قالت التوراة . بل اننا نتحفظ تحفظا شديدا في رواية التوراة لأن التاريخ ، والواقع ينكر الرواية الاسرائيلية لأنها امتزجت بسياسة الملك والتنازع عليه .

ويقول الكتاب التوراتيون أن قصة بناء الكعبة ليست الا من تلفيق اليهود الذين أعلنوا اسلامهم ، وبهذا يعودون الى التوراة ، فيستمسكون بها بعد أن كشف العلم والتاريخ بطلان رواية التوراة ، وفي هذا يقول العقاد (ومن الخطأ

أن يقال أن الروايات عن بناء الكعبة تلفيق اليهود لارضاء العرب والتقرب اليهم بتوحيد النسب بينهم وبين الارتفاع بنسبهم جميعا الى جدهم ابراهيم)[١] .

فان نسبة العرب الى اسماعيل بن ابراهيم مكتوبة في سفر التكوين ، وتوسع الأزرقي صاحب أخبار مكة غاية التوسع في هذه الرواياتالتي لم تستوعبها الاسرائيليات ، ولايمكن أن تستوعبها . انني أقول بكل ثقة اننا لم نستفد من اليهود الذين أعلنوا اسلامهم سوى زعزعة الثقة بالنفس والتاريخ وتشويه المعتقدات الدينية .

ومن هنا أنفي القول أن العرب يقسمون الى عرب عارية وعرب مستعربة وينسبون العرب المستعربة الى اسماعيل لأنه نسي لغة أبيه وتعلم العربية من جرهم .

نعم أن أنساب العرب تنتمي الى جذمين كبيرين : هما عدنان وقحطان ، ولن أتابع في الأنساب ، من ينتمي الى قحطان ومن ينتمي الى عدنان فالأنساب كلها لم تحفظ لنا بشكل جيد ، وانما نقلت شفاها ، ولهذا خلطت كثيرا في أنساب القبائل ، وتظل هذه الأنساب مجالا للشك والتحفظ ، ويقول أحمد أمين . (ولكن هذه الأنساب في مجموعها كانت ، وماتزال مجالا للشك ، وسئل مالك رحمه الله عن الرجل يرفع نسبه الى آدم ، فكره ذلك وقال من أين يعلم ذلك ؟ فقيل الى اسماعيل فأنكر ذلك . قال ومن يخبره به ؟ واعتاد النسابون أن يقولوا أن عرب الشمال من نسل اسماعيل بن ابراهيم وعرب الجنوب من قحطان وترجع هذه العقيدة الى ماورد في التوراة)[٢] .

---

(١) العقاد ابراهيم أبو الأنبياء ص١٨
(٢) أحمد أمين فجر الاسلام ص٥

أما الدكتور احسان النص في كتابه العصبية القبلية أكد الشك في الأنساب في أكثر من مكان في كتابه .

"على أن جداول الأنساب التي وصفها النسابون العرب بين أيدينا ، تفترض قيام نظام الأبوة منذ أقدم العصور ، ولاسيما أن أنساب التوراة التي وقفوا عليها تؤيد هذا المبدأ ومن هنا يخالجنا الشك في صحة بعض ماجاء في هذه الجداول ، ولاسيما مايتصل بالأصول القديمة"(١) . وينقل الشك عن الرواية المحقق محمد بن سلام الجمحي صاحب كتاب طبقات الشعراء فيقول : ان مافوق عدنان أسماء لو يؤخذ الا عن الكتب والله أعلم بها ، ولم يذكرها عربي قط أما الامام ابن حزم رضي الله عنه فيؤكد أن الأنساب ان هي الا وهم لايمت الى الحقيقة بصلة هذه الأنساب التي ترد الينا من بعيد وتعيدنا الى هوة سحيقة في التاريخ .

(ليس على ظهر الأرض أحد يصل نسبه بصلة قاطعة ، ونقل ثابت الى اسماعيل أو الى اسحق عليهما السلام فكيف الى نوح وكيف الى آدم)(٢) .

وأستطيع أن أقول علينا أن نبحث بحثا جادا ، وأن أي تسليم لصحة ماجاء من أنساب فاننا نتورط ، ونقع في خطأ يبعدنا عن جادة البحث ومنهج اليقين .

---

(١) د . احسان النص العصبية القبلية ص٣٠

(٢) ابن حزم جمهرة الأنساب ص٦

بناء البيت

"ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا . ومن كفر فان الله غني عن العالمين"(1) .

قصة بناء البيت الحرام في نظر المؤرخين الاسلاميين قصة طويلة تبدأ منذ عهد آدم ، فقد قال المؤرخون أمر الله آدم ببناء البيت في مكانه ، ثم جدده نوح عليه السلام بعد الطوفان ، ومن ثم تهدم من جديد ، فأمر الله ابراهيم ببنائه ، وهذا ماأشار اليه القرآن الكريم بقوله تعالى (ان أول بيت وضع للناس) ولعللنا نستطيع أن نسترشد من هذه الآيات بمايلي :

١ـ قدم البيت الحرام فهو أول بيت للعبادة أراده الله سبحانه وتعالى ولهذا سمي بالبيت العتيق .

٢ ـ مقام ابراهيم لنا في هذه الكلمة كمايقول المفسرون عدة أوجه :

الوجه الأول : أنه سيسكن في هذا المكان قبل أن يعيد بناء البيت وفي هذا رد على من قال أنه ترك هاجر وابنها ولم يعد يزورهما ففي سكناه دليل واضح على أنه سكن مع زوجه وابنه .

---

(١) آل عمران ٩٦ ـ ٩٧

الوجه الثاني : أنه المكان الذي وقف فيه ليبني البيت ، وهذا الكلام غير مقبول لأن البناء ينتقل من مكان الى آخر مع الجدار ليتم بناءه .

٣ ـ هذا البيت لهداية العالمين ، ومن هذه الكلمة نستدل على قدمه ووجوده ، منذ أن وجد العالم .

كيف تم بناء البيت ؟ .

سؤال نطرحه ، ويجيب عليه القرآن ، وتسكت المصادر التوراتية ، ولاتشير الى ذلك البتة . بل ان كتاب التوراة ينفون ذلك نفيا باتا حتى أنهم يرون من أبناء ابراهيم للكعبة رواية من تلفيق اليهود لارضاء العرب "ومن الخطأ أن يقال أن الروايات عن بناء الكعبة تلفيق من اليهود لارضاء العرب والتقرب اليهم بتوحيد النسب بينهم ، والارتفاع بنسبهم جميعا الى جدهم ابراهيم"(٢) .

ويتابع العقاد نقاش رأي التوراة ، ويرى أن الاخبار عن مكة أوسع من أن تسعها الاسرائيليات ، أو تستوعبها ."وتوسع الأزرقي في كتابه اخبار مكة غاية التوسع في هذه الروايات التي لم تستوعبها الاسرائيليات ولايمكن أن تستوعبها"(٣) .

ومن هنا نرى أن ابراهيم الخليل ، قد تجول في ربوع الجزيرة العربية ، وقد زار مكة قبل أن يبنى البيت مع ابنه اسماعيل عدة مرات ، والى هذا يشير القرآن الكريم : "واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لاتشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع والسجود . واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى

(٢) العقاد أبو الأنبياء ص١٢٩
(٣) العقاد أبو الأنبياء ص١٢٩

كل ضامر ومن كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الانعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير"[1] .

وقد راجعت بعض التفاسير ، فوجدت أنها أعطت معنى بوأ ، ارشدو على هذا المعنى فان ابراهيم الخليل كان يفتش عن مكان البيت ليبنيه حتى اهتدى الى مكانه .

وتقول الروايات الاسلامية : أن ابراهيم حينما أراد أن يؤسس البيت حفر ، فوجد أساسه لازال على حاله ، فبنى فوق الأساس القديم . اذن تمت المرحلة الأولى مرحلة التفتيش عن مكان البيت حتى وجده ."وكان موضع البيت الشريف يومئذ ربوة حمراء ، فصنع ابراهيم عليه السلام هناك بيتا من عريش الشجر"[2] .

واني لأستغرب كيف وصف الوادي بأنه غير ذي زرع ، فمن أين جاء بالشجر ليعمل عريشا منه ؟ .

بعد هذه المرحلة أتت المرحلة الثانية وهي البناء .

وقد دلت الآيات القرآنية بصورة واضحة لاتقبل الشك أن ابراهيم الخليل هو وابنه اسماعيل قد بنيا البيت العتيق ."واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما . قال ومن ذريتي قال لاينال عهدي الظالمين . واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا منه مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهر بيتي للطائفين والعاكفين والركع والسجود" ."واذ

(١) سورة الحج الآيات ٢٦ - ٢٨

(٢) فتح العلام ج١ ص٩١

قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من أمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير . واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم"(١) .

هذه هي المرحلة الثانية بعد أن عرف ابراهيم مكان البيت بدا بعمارته ، وساعده في ذلك ابنه اسماعيل ، ولايمكن أن يكون الولد الصغير الان مناول البناء يجب أن يكون شابا نشيطا . ولم يشر القرآن الى أن اسماعيل وأمه هاجر كانا ساكنين في مكة آنذاك .

وممانستدل من هذه الآيات بالاضافة الى بناء البيت أن مكة كانت معمورة بدلالة ابراهيم "واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وأرزق أهله من الثمرات" ولو كان المقصود الدعاء الى اسماعيل وأمه لدعا الى ذريته وليس الى أهل البلد . والدعاء قد ورد قبل أن يقوم ابراهيم وابنه بعمارة البيت وكان دعاؤه وهو يعمر البيت ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم .

وتأتي بعد ذلك المرحلة الثالثة وهي مرحلة الهجرة والسكن في مكة المكرمة ، وحينها قال "ربنا اني أسكنت من ذريتي في واد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة" وقد ناقشت هذه الهجرة أما ماروته الكتب الأخرى يمكن اثباته . فبعد القرآن لاشيء وتشير المصادر جميعها على أن هاجر وقتها كانت حية ، ولهذا فالمقصود من ذريتي "اسماعيل وأمه" ولكننا نناقش لماذا سكنت هذه الذرية في مكة ؟ لماذا طاب لها المقام هنا ؟ أهناك أوامر الهية ؟ أم أوامر من زوجه الغيور سارة ؟ . ان ماترشدنا اليه الآية "ربنا ليقيموا الصلاة"

---

(١) البقرة الآيات ١٢٤ - ١٢٧

فالأمر الهي للتعبد ليس الا . ولهذا تسقط كافة الادعاءات اليهودية في هذا الصدد ، ولم تكن هجرة هاجر وابنها الا بعد بناء البيت أو وقت بنائه . وأرد رواية ابن عباس التي فيها يقول : فقال لها الملك لاتخافوا الضيعة ، فان ههنا بيت الله يبنى هذا الغلام وأبوه ، وان الله لايضيع أهله ، وكان البيت مرتفعا من الأرض كالرابية ، تأتيه السيول ، فتأخذ عن يمينه وشماله ، فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم ، أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء ، فنزلوا بأسفل مكة ، فرأوا طائرا عائفا ، فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء . لعهدنا ان هذا الوادي ، وما به ماء فأرسلوا جريا أو جريين ، فاذا هم بالماء ، فرجعوا بالماء ، فأقبلوا ، وقال وأم اسماعيل عند الماء فقالوا : اتاذنين لنا أن ننزل عندك ؟ فقالت نعم ، ولكن لا حق لكم في الماء فقالوا نعم(١) .

ولن أتابع بقية القصة عن زيارات ابراهيم لاسماعيل فانها ضرب من التمحل ، فكيف يكون أبا ولايزور ابنه منذ الرضاعة حتى يتزوج ؟ هذا لعمري محال ، وتمحل ، لايقبل أن يقوم به انسان عادي ، فكيف رسول وامام للبشرية .

وكأني بابن عباس ، وقد غابت عنه قصة الذبح ، فهل حدثت قصة الذبح بعد الهجرة أم قبلها ؟ ان كانت قبل الهجرة فاسماعيل لم يأت مكة وهو رضيع وان كانت بعدها فابراهيم لم ينقطع عن زيارة ابنه وزوجه .

ويقرر ابن عباس أن البناء كان بعد زواج اسماعيل عليه السلام من جرهم . واذا ماتقرر أن هاجر وابنها سكنا مكة ، وكانت مأهولة ، فان قصة بئر زمزم كماوردت ملغية لأن أهل مكة كانوا يشربون ، فمن أين ، لاشك أن

---

(١) البخاري ج٤ ص١٤٣

شربهم من زمزم ، ولاأعرف سببا لتسمية بئر زمزم ولئن اختلفت الناس في هذا .

* * * * * *

العهد والارث

"يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم ، ومأأنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون . هاأنتم اوْلاء حاجتتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيماليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لاتعلمون . ماكان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وماكان من المشركين . ان أولى الناس بابراهيم الذين اتبعوه وهذا النبي والذين أمنوا والله ولي المؤمنين"(١) .

من هذه الأيات الكريمة نسترشد مايلي : ١ ـ ان أهل الكتاب يتجادلون بأشياء لم تكتب في توراتهم لأن التوراة نزلت بعد ابراهيم /ع/ وقد رأينا أن الزمن بين ابراهيم وموسى تزيد عن سبعمئة سنة . ٢ ـ طالما لايوجد في توراتهم مايفيد العلم عن ابراهيم ، فهم يجادلون في أشياء لايعرفونها . ٣ ـ تصور التوراة أن ابراهيم الخليل يهودي ، وتنفي هذه الأيات صلته باليهود والنصارى معا ، وتربطه بالرسول والمؤمنين . ٤ ـ الصلة ليست صلة النسب ، وانما صلة الايمان ، والكفر يقطع صلة الرحم عن المؤمن كما أن الايمان يقطع صلة الرحم عن الكفر .

ومن هنا نستنتج أن كافة ماكتب عن ابراهيم الخليل في التوراة ، ان هو الا ضرب من نسج الخيال ، لاحقيقة له ، ولا صلة بالحقيقة ، تصوروا ابراهيم

---

(١) آل عمران الآيات ٦٥-٦٨

كما أرادوا هم لا كما هو في الحقيقة .

فما العهد الذي قطعه الله لبني اسرائيل ؟ "وقال الرب لابرام بعد اعتزال لوط عنه . ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ، ولنسلك الى الأبد واجعل نسلك كتراب الأرض حتى اذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض ، فنسلك أيضا يعد قم امشي في الأرض طولها وعرضها ، لأني أعطيها ، فنقل ابرام خيامه ، وأتى ، وأقام عند بلوطات ممرا التي في حبرون"(٢) .

العهد هنا لجميع نسل ابرام دون تمييز واسماعيل الابن البكر فله نصيبان من هذه التركة بينما اسحق له نصيب واحد واذا ماعلمنا أن أبناء ابراهيم ثمانية كان لاسحق جزء من تسعة أجزاء ولاسماعيل جزءان من تسعة أجزاء هذه قسمة التوراة الموجودة وهذه شريعتها التي سجلتها .

"فقال لابرام اعلم يقينا أن نسلك سيكون غريبا في أرض ليست لهم ويستعبدون لهم . . في ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقا قائلا لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر الى نهر الفرات الكبير"(٣) .

هذا الوعد حددالأرض بشكل أوضح من العهد السابق فقد تحددت من الفرات الكبير الى نهر مصر . (أما أنا فهوذا عهدي معك وتكون أبا لجمهور من الأمم وأثمرك كثير جدا واجعلك أمما وملوك منا يخرجون وأقيم عهدي بينك وبين نسلك من بعدك في أجيالكم عهدا أبديا لأكون إلها لك ، ولنسلك من بعدك ، وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غرتبك كل أرض كنعان ملكا

(٢) الاصحاح الثالث عشر سفر التكوين .
(٣) سفر التكوين الاصحاح الخامس عشر .

أبديا ، وأكون إلههم ، وقال الله لابراهيم ، وأما أنت فتحفظ عهدي أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم هذا هو عهدي الذي تحفظون بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك يختن منكم كل ذكر . . وأما الذكر الاغلف الذي لايختن في لحمه غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها انه نكث عهدي)[1] .

في هذا الاصحاح قرن العهد بالختانة فأبناء ابراهيم هم المختونون وهو العهد الذي يحفظون بينهم وبين الله . ولهذا يحق لكل من يختن أن يرث ويكون العهد بينه وبين الله ، ومن هنا نقول أن أبناء ابراهيم كلهم يرثون لأنهم كلهم ختنوا .

(اسمع لقولها لأنه باسحق يدعى لك نسل وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك)[2] . في هذا الاصحاح لم تستطع التوراة أن تنفي اسماعيل من نسل ابراهيم ، وبهذا يكون له الحق في الإرث .

(ودعا ابراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة ، فولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا . . هؤلاء بنو قطورة) ولم تقل التوراة أنه تسرى بقطورة ، بل قالت أنه أخذها زوجة ، ولهذا يحق لهم أن يرثوا أيضا .

فماقضية الوعد لقد صور اليهود أنفسهم شعب الله المختار ، ولهذا فهم الذين وعدهم الله بهذه الأرض لكنني وجدت في التوراة ذاتها مايناقض الوعد ذاته .

ففي سفر حزقيال الاصحاح الثالث والثلاثون يخاطب حزقيال شعب اسرائل اليهود : (يابن آدم أن الساكنين في هذه الخرب في أرض اسرائيل

---

(١) سفر التكوين الاصحاح السابع عشر .
(٢) سفر التكوين الاصحاح الحادي والعشرون .

يتكلمون قائلين أن ابراهيم كان واحدا وقد ورث الأرض ، ونحن كثيرون لنا أعطيت الأرض ميراثا لذلك قل لهم هكذا قال السيد الرب تأكلون بالدم ، وترفعون عيونكم الى أصنامكم ، وتسفكون بالدم ، أفترثون الأرض ؟ وقفتم على سيفكم ، فعلتم الرجس ، وكل منكم يجي امراة صاحبه أفترثون الأرض ؟)[٣] .

لقد نفت التوراة نفسها هذا الارث منذ أيام حزقيال ، ولم يبق أي وعد حتى نسميها أرض الميعاد . ولهذا تقول أن الارث الذي نادوا به قد سقط ، ولم يبق أي ارث لهم . هذا الارث الذي أدعوه زمنا طويلا قد نفته التوراة في أماكن متعددة واسمع الى سفر يوحنا اللاهوتي فقد حدد هذا السفر أيضا إن الوراثة ليست لأم وأب وانما الوراثة للايمان ، فالايمان يقطع ماقبله عمابعده (من يغلب يرث كل شيء وأكون الها وهو يكون لي ابنا وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان ، وجميع الكذبة ، فنصيبهم في البحيرة المتقدمة ، وبنار وكبريت الذي هو الموت الثاني)[٤] . هذا ماأكدته التوراة بالايمان فقط والمؤمنون هم الذين يرثون أما من يبتعد عن دينه ، ويخالف أوامر ربه فأي ارث له ؟ . وسيتساءل الناس هل حاد اليهود عن دينهم أم لازالوا مؤمنين ؟ فإذا ماحادوا عن دينهم فإن ارثهم يزول . أما اذا أبقو على دين أبائهم وأجدادهم فإنهم يبقون أصحاب الارث .

من يقرأ التوراة بأسفارها جميعا يلاحظ أن التوراة تفيدان ملوك يهوذا من سليمان وحتى النهاية قد خالفوا التوراة فسليمان عبد أصنام زوجته الكنعانية ، ولن أنسى منسى ملك يهوذا الذي وصفته التوراة بمايلي : وتكلم الرب عن يد

(٣) سفر حزقيال الاصحاح الثالث والثلاثون ٢٤-٢٦

(٤) رؤيا يوحنا اللاهوتي الاصحاح الحادي والعشرون ٧-٨

عبيدة الأنبياء قائلا من أجل أن منسى ملك يهوذا ، قد عمل هذه الارجاس ، وأساء أكثر من جميع الذي عمله الاموريون الذين قبله ، وجعل أيضا يهودا يخطيء بأصنامه ، هكذا قال الرب اله اسرائيل هاأنذا جالب شرا على أورشليم ، ويهوذا حتى أن كل من يسمع به ، تظن أذناه . أمد على أورشليم خيط السامرة ومطماربيت أخاب وأمسح أورشليم كمايمسح واحد الصحن ، ويقلبه على وجهه وارفضن بقية ميراثي ، وادفعهم الى أيدي أعدائهم ، فيكونون غنيمة ، ونهبا لجميع أعدائهم)[١] .

هذا رأي التوراة في اليهود منذ أن كانت دولتهم قائمة وقد خالفوا ، وسفكوا ، وزنوا ، واستباحوا كل مقدس ، وعبدوا الأصنام فأين ميراث ابراهيم منهم ؟ بل انهم يحاجون في ابراهيم هو منهم أم يحاجون أنهم من ابراهيم : وقد قال ابراهيم من تبعني فانه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم .

فإن كانوا يحاجون في أنهم من ابراهيم فإن الذين اتبعوه أحق بابراهيم وان كانوا يحتجون بالوعد الالهي فقد رأينا أن التوراة نفسها ترفض هذا الارث لأنهم حادوا عن الطريق المستقيم الذي رسمه الله لهم . أما الديانة المسيحية فقد اعتبرت الايمان ركنا من أركان الارث ومن لايؤمن بالرسالة فقد حرم الارث . وهذه رسالة بولس الأول الاصحاح الأول : (فانه ليس بالنا موسى كان الوعد لابراهيم أو لنسله يكون وارثا للعالم بل ببر الايمان لأنه ان كان الذين سن الناموس هم ورثة فقد تعطل الايمان وبطل الوعد)[٢] . لهذا هو من الايمان كي يكون على سبيل النعمة ليكون الوعد وطيدا لجميع النسل ليس لمن من الناموس فقط بل أيضا لمن هو من ايمان ابراهيم الذي هو أب لجميعنا كما

---

(١) سفر الملوك الثاني الاصحاح الحادي والعشرون .
(٢) رسالة بولس الأول الاصحاح الرابع .

هو مكتوب اني قد جعلتك أبا لأمم كثيرة .

لقد خلف ابراهيم أولادا الذين نعرفهم بشكل صحيح هما اسماعيل واسحق أما البقية فقد وردوا في التوراة ولاندري ان كان ذلك صحيحا وكان اسماعيل أبا لأمة ، واسحق أبا لأمم كماتقول التوراة ، فأي أمة هي الوارثة ؟ ليست الأمم التي ترث ان كان ذلك حسب رأي التوراة أو كان حسب رأي النصرانية أو كان رأي المسلمين . فرأى الاسلام يقول الله تعالى : "ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحين"(١) . وفي آل عمران "ولله ميراث السموات والأرض والله بماتعملون خبيراً" . فالأرض ملك لله والله يورثها من يشاء من عباده الصالحين ، فلا وعد إلا بالعمل الصالح ولا إرث إلا بالايمان . وكل ماعدا ذلك فهو باطل وقبض الريح .

وهذا مايقرره العالم الديني الفرنسي /جاك مارتيان/ حينما قال : ان فلسطين هي الأرض الوحيدة التي من المؤكد اطلاقا وربانيا أن يكون لشعب دون جدال الحق فيها . كمالو أن الانتماء الى طائفة ابراهيم /ع/ يكون بالولادة لا بالايمان وكما أنهم يشاركون بالوعد مشاركتهم بامتياز وحق بالملكية .

---

(١) الأنبياء الآية ١٠٥

اللغة

مااللغة التي كان ابراهيم الخليل يتكلمها ؟ هذا السؤال الذي لابد منه لكي يكون مفتاح القضية بمجملها . لم يشر القرآن الكريم الى لغة ابراهيم ولا الى منشائه وموطنه ، ولو أشار لما كان لنا أن نتعداه . ولما لم يشر كان علينا أن نبحث ، وليكن البحث علميا نتحرى فيه الحقيقة دون أن تؤثر فينا أية مؤثرات .

لم تخصص التوراة لغة خاصة لابراهيم ، فقد رأيناه من خلال سفر التكوين أنه تكلم مع بني حث حينما اشترى المغارة ، وتكلم مع الفلسطينيين في قصة أبي مالك ، وتكلم اللغة الكنعانية مع أبناء كنعان مع الكاهن العلي ملكي سالم ، وتكلم مع الأموريين ، وهو قد تكلم مع كل الناس في فلسطين ، وتكلم مع الناس في حران ، وتكلم مع الناس في آور ، وتكلم مع العرب حينما هجر زوجته هاجر وابنه اسماعيل أو حينما تزوج قطورة .

ولاأدري كيف استطاعت التوراة أن تجعل ابراهيم يتكلم اللغات كلها أهو عالم لغات متخصص أم أن التوراة اعتبرت كل الناس يتكلمون لغة واحدة ؟

فرضان قد يكون أحدهما صحيحا وقد يكون الفرضان خطأً اذا علمنا أن ابراهيم لم يتكلم مع هؤلاء الناس ايبوسيون وفرزيين وميدانين وفلسطينيين وحثيين الخ المجموعة لم تكن موجودة كلها في فلسطين أيام ابراهيم الخليل عليه السلام ، وانما كانت الغالبية العظمى من بني كنعان . أما المجموعة التي أوردتها

التوراة فقد كانت في أيام كتابة التوراة عند سقوط الدولة اليهودية ، وأسر البابليين لهم ، فالفلسطينيون سكان الساحل لم يأتوا في زمن ابراهيم ، وانما أتوا بعد أجيال كثيرة أما الحثيون فلم يصلوا الى فلسطين فقد احتلوا شمال سوريا في عهد نهاية الهكسوس وقيام الأسرة الفرعونية ، وقد صدهم الفرعون احمس في معركة قادش على نهر حمص ، ولن نناقش بقية العناصر التي أوردتها التوراة فمعلوماتنا عنها قليلة .

اذن مااللغة التي كان يتكلمها ، أهي لغة كنعان ، أم هي لغة الآراميين ، أم هي لغة ثالثة نجهلها أو نستطيع تقريرها فيمابعد ، وقد نبقي الأمر مفتوحا حتى نحصل على الجواب الذي يشفي غلتنا . وحتى نصل الى مايقارب الحقيقة لنبحث في أصل ابراهيم فهل نستطيع الوصول الى ذاك .

كانت اللغة البابلية هي اللغة المسيطرة على العراق ، واللغة تسيطر بسيطرة أهليها وتتراجع بتراجع أهليها ، وكانت اللغة الكنعانية هي اللغة المسيطرة على أرض كنعان . أما جنوب فلسطين في الجزيرة العربية فاللغة العربية هي اللغة المسيطرة ويحاول المؤرخون أن يربطوا بين كلمة عبرى وبين الأسماء التي وردت في النقوش (خبيرو - عبيرو - اخلاموا) كلمات ثلاث لجماعات رحل كانوا يتجولون في باديه الشام بين العراق وسوريا وشمال الحجاز يسيرون طلبا للماء والكلأ كما هو شأن البدو الرحل في أيامنا هذه يسيرون وراء قطعانهم لايستقرون في مكان .

يقول الدكتور أحمد سوسه : (وقد ورد ذكر الاخلامو مع جماعات سميت بالخبيرو أو الهبيرو أو العبيرو وهي كلمة تطلق على القبائل العربية الرحل التي كانت تجوب الجزء الشمالي من الجزيرة العربية وقد انضمت هذه القبائل

الى القبائل الآرامية وصحفت هذه الكلمة الى عبرى وعبراني[1] . ولأرى هذا الرأي فكلمة عبرى أو عبراني لم تظهر الا في وقت متأخر حتى في عهد يوسف حينما اشتراه العزيز من مصر قالت نسوة مصران امرأة العزيز أحبت عبدها الكنعاني وهذا ماورد في التوراة ذاتها ولم تقل أحبت عبدها العبري .

الأخلام جمع خلم وهو الصديق ، وان سميت الأحلام بالحاء المهملة فهي صفة لمجموعة قد تحالفت من عدة قبائل الخبيرو ، والعبيرو حسب مارتأى المستشرقون ترجمتها وقراءتها تدل على كلمة واحدة فالعابر في الأرض هو الخبير بها واعتقد أنها تدل على جماعة تغرب في البوادي وخاصة الجزيرة العربية وهذا يدل على أصلها العربي .

أما كلمة عبيرو أو خبيرو أو هبيرو كما ترويها كتب الغرب ، فهي لاتدل أية دلالة على العبرية ، وهذا مايؤكده العلامة كروهمان في بحثه عن أصل العرب وعلاقة الآراميين مع قبائل الخبيرو والعبيرو فيقول ومن المؤكد أن العنصر البدوي العربي في شبه جزيرة العرب ، وهو على الأرجح مصطلح وادق لتسمية آرام وعبيرو ، وخبيرو وجد في الأصل في المنطقة التي تمتد بين سورية وبلاد مابين النهرين ، والتي تعد أقدم مركز للساميين[2] .

كلمة عبيرو وخبيرو هاتان الكلمتان حاول اليهود وجماعتهم استغلالها بشكل كامل ، وأراها بعيدة كل البعد عن العبرية فالعبرية لم تظهر الا بعد السبي أما تسمية ابراهيم بالعبري فهي من باب الاسقاط ليمتدوا بأصولهم الى ابراهيم ، وهو بعيد عنهم كل البعد "وماكان ابراهيم يهوديا ولانصرانيا" .

---

(١) العرب واليهود في التاريخ ص٩٨ ج١

(٢) العرب واليهود في التاريخ ج١ ص٢٧٤

فالتوراة التي نزلت على موسى، كانت في اللغة الكنعانية ولم تكن في اللغة العبرية حتى أن التوراة الأصلية لم تتعرض للعبرية وانما سمت اليهود بني اسرائيل فالتوراة الحالية لم تكتب الا بعد ابراهيم بمايقارب من ألف وثلاثمئة عام وبهذا تكون قد تغيرت شعوب وظهرت شعوب وبيدت شعوب .

ويقول الدكتور سوسه :(ويتضح مماتقدم أن التوراة ، قد كتبت بعد ابراهيم الخليل بألف وثلاثمئة عام ، وبعد عهد موسى بأكثر من سبعة قرون ، وهي بالطبع غير التوراة التي نزلت على موسى ، ويؤكد لودز ذلك بقوله :"اننا لانستطيع أن نؤيد صحة رجوع تاريخ أي قسم من الأسفار الخمسة وحتى الوصايا العشر الى عصر موسى ، لأن ماورد من روايات في هذه الأسفار ، قد تعرض أكثر من بقية أسفار التوراة الى تكرار واعادة تصنيف الى تغيير وتوسيع مستمرين على مر العصور") .

ويعترف العالم اليهودي سيلفربان التوراة الحالية لاتمثل توراة موسى الأصلبة في أية ناحية ، وحتى الوصايا ، لم تكن في شكلها ، ومضمونها الحاليين كتلك التي أتى بها موسى .

والسؤال الآن نسأله متى ظهرت اللغة العبرية ، وقبل أن أجيب على هذا السؤال أطرح رأي كتابة التوراة لعالم يهودي أو متعاطف مع اليهود هو ويل ديورانت فقد قال :(كان أهم أثر للأنبياء في معاصريهم كتابة التوراة وكان سبب كتابتها أن الشعب شرع يرتد عن عبادة يهوه الى عبادة الالهة الأجنبية ، فأخذ الكهنة يتساءلون ، ألم يأن لهم أن يقفوا وقفة قوية يمنعون بها تدهور العقيدة القومية ؟[1] .

---

(١) قصة الحضارة ج٢ ص٣٥٦

وسرعان ماضموا الى جانبهم الملك يوشيا فلما كانت السنة الثامنة عشرة أو نحوها من حكمه أبلغ الكاهن حلقيا الملك أنه وجد في سجلات الهيكل ملفا عجيبا ، مضى فيه موسى في جميع المشكلات التاريخية والخلقيةالتي كانت مثار الجدل العنيف بين الأنبياء والكهنة ، وكان لهذا الكشف أثر عظيم في نفس القوم ، فدعا يوشيا كبارهم الى الهيكل وتلا عليهم سفر الشريعة(١) .

فأين كانت التوراة في هذه المدة الطويلة وقد اكتشف سفر الشريعة هذا في أيام بختنصر قبل الأسر البابلي لسنوات .

ويتمسك اليهود لاله يهوه فهل كانت تسمية هذا الاله في اللغة العبرية . ان التاريخ يكذب هذا وما من لغة عبرية في ذلك العهد .

ويقول مترجم قصة الحضارة في حاشية له :"من بين الآثار التي وجدت في كنعان عام ١٩٣١ قطع من الخزف من بقايا عصر البرونز /٣٠٠٠ق .م/ عليها اسم اله كنعاني يسمى ياه أو ياهو"(٢) .

وياهو التي حرفها اليهود الى يهوه عبارة عن كلمتين عربيتين يا أداة النداء وهو الضمير ، وقد نادى أبو بكر الصديق رضي الله عنه الله سبحانه وتعالى بكلمة /ياهو/ ولازالت بعض الفرق الصوفية تنادي الله بهذه التسمية .

فإذن يهوه ليس الها خاصا بالعبريين ، وليست اللغة العبرية هي اللغة التي لم يسبقها لغة وان كان اعتقاد العبريين بذلك شائعا (كان احبار اليهود في العصور القديمة يعتقدون أن اللغة العبرية هي أقدم لغة في العالم ، وانتشر هذا الرأي عند كثير من الباحثين)(٣) .

---

(١) العهد القديم .
(٢) قصة الحضارة ج٢ ص٣٤٠ حاشية .
(٣) اللغة العبرية ص٦٣

ولم يتميز ابراهيم الخليل ، ولا أولاده عن الناس الذين حولهم بعرق أو طائفة اللهم الا مأأدعاه اليهود من التميز ، فقد تزوج ابراهيم هاجر وقطورة ، وتزوج عيسو بن اسحق محلة بنت اسماعيل ، وكذلك تزوج عيسو من بنات كنعان ، وعدا بنت ايلون الحثي ، وتسمي التوراة محلة بنت اسماعيل في مكان آخر بسمة بنت اسماعيل ، وتزوج يهوذا ابنة رجل كنعاني اسمه يشوع أما يوسف فقد تزوج امرأة مصرية .

اذن لم يكن ابراهيم وأبناؤه عرقا متميزا ، ولا كانت لهم لغة متميزة حتى نقول أن اللغة العبرية هي لغة ابراهيم أو ندعو ابراهيم بالعبرى وفي هذا يقول الدكتور ربحي كمال : (لما هاجر العبريون الى أرض كنعان حوالي القرن الثالث عشر ق .م كانوا يتكلمون آنئذ لهجة تقرب من احدى لهجات اللغة الآرامية القديمة ، ومن ثم راحوا يستعملون لغة البلاد التي هاجروا اليها ، وأخذوا ينسون تدريجيا لغتهم الأصلية ، ولم يأت القرن الحادي عشر حتى أصبحت اللغة الكنعانية هي اللغة المستعملة ، وتعد اللغة العبرية احدى اللغات الكنعانية)[1] .

اذن لم تكن لغة عبرية في عهد ابراهيم الخليل ، فكيف ندعوه بالعبرى ، ويحاول بعض المؤرخين أن يفسروا كلمة عبرى ، ويبررها فيقول أنها نسبة الى أحد أجداده عابر وعابر اسم فاعل من عبر والاسم موجود في نسب قحطان كماهو موجود في نسب ابراهيم . وكلمة عابر عربية خالصة . وهو جد من أجداد قحطان أيضا . ويقول العقاد : "وأشاروا الى كلمة عبري ومعناها فقالوا لو أنها وجدت في آثار رم سن ملف حمورابي كماوجدت في نص من

(١) د .ربحي كمال اللغة العبرية ص٣٣

النصوص البابلية التي كشفت في بلاد الحثيين وكان لها معنى أعم من معناها الخاص بعد ذلك بأبناء اسرائيل ويفهم منه أن الكلمة كانت مرادفة لكلمة الجنود الرحل الذين يستأجرهم قادة الجيوش" .ابراهيم أبو الأنبياء ص٩٤

مالغة ابراهيم اذن ؟ يبقى لدينا إما لغة كنعانية وهي البلاد التي استقر فيها أو لغة آرام التي يدعي اليهود أنه انتقل منها أو اللغة العربية التي كانت تسيطر شمال الحجاز اللغة الكنعانية هي احدى اللهجات العربية التي كانت تقطن في فلسطين ، أما اللغة الآرامية فهي اللهجة العربية التي كانت تقطن العراق ، واللغة العربية هي اللغة المسيطرة من اليمن وحتى شمال الحجاز ، فأية لغة يمكن أن نقولها لتكون لغة ابراهيم . ١ـ أرفض اللغة الكنعانية لأن ابراهيم حينما هاجر في الله كان رجلا كبيرا ناضجا ولم يكن يافعا فالرسالة لاتأتي الا بعد الأربعين ، ويمكن لهذا أن يتعلم لغة لكن بصعوبة ، وتبقى لغته الأصلية هي اللغة التي يتكلمها طيلة حياته خاصة اذا كانت اللغة التي يقطن بين أهليها قريبة من لغته المحكية . ٢ـ أرفض اللغة الآرامية لأنني لاأرى أن حوادثه صارت في العراق ، وقد ناقشت هذا ولا مجال للاعادة . ٣ـ اذا قلت أن هجرة ابراهيم من شمال الحجاز فانني أقرر مايلي : أـ اللغة التي كان ابراهيم يتكلم بها العربية للأسباب التالية : ١َ ـ زوجته قطورة من العرب . ٢َ ـ هاجر مع ابنه اسماعيل وزوجته هاجر الى مكة ، وقد ناقشت هذا ، ولامجال للاعادة . ٣َ ـ تزوج اسماعيل من العرب من جرهم . ٤َ ـ هاجر قرأناها في العبرية هاجارهم المصرية وقد رأينا تقريبها الجرهمية المصرية . ٥َ ـ أثبتت التوراة أن زوجة اسماعيل كأمه مصرية ولما كانت زوجة اسماعيل جرهميه فأمه جرهمية . ٦َ ـ يؤكد هذا الكلام الأستاذ عباس العقاد بقوله : وربما كان من المفاجآت عند بعض الناس أن يقال لهم أن ابراهيم عليه السلام كان عربيا وأنه كان يتكلم العربية(١) . ويؤكد

(١) العقاد ابراهيم أبو الأنبياء ص٢٠٣

العقاد أن موطن ابراهيم عند سيناء وشمال الحجاز ، وكان الجنوب مفتوحا أمامه ، وممايدل على ذلك هجرته الى مكة المكرمة مه ابنه وزوجته ، ولاشك في ذلك . اننا نلحظ أن اللغة الآرامية والكنعانية والعربية هما أخوات لأم واحدة أما اللغة العبرية فهي لغة وليدة لم تنشأ الا بعد القرن العاشر الميلادي .
٧- يقول الدكتور أحمد سوسه : لذلك يكون من سمى في التوراة بني اسرائيل من أتباع موسى النبي ، لايمتون بأية صلة بمحيط العرب الذي عاشه ابراهيم الخليل وأحفاده يعقوب قبل مئات السنين كما أنهم لايمتون بأية صلة بذرية اسماعيل ، واسحق الذين بقوا محافظين على الدم العربي الخالص الذي يرجع الى عهد ابراهيم الخليل ، فإن سمت التوراة اتباع موسى ببني اسرائيل ، أم لم تسميهم فهم لايرتبطون بعهد ابراهيم الخليل اطلاقا ، ولا صلة لهم به قطعا ، لأن لغة ابراهيم غير لغتهم ، وعهد ابراهيم غير عهدهم ، واله ابراهيم غير الههم[٢] . هذا اذا اعتبرنا رحلة يعقوب الى مصر المعروفة لا الى مقاطعة مصر العربية التي منها معان المصرية . والدلالة الكبيرة على ذلك هو موت يعقوب ونقله الى حبرون كماتقول التوراة . وقد أكد عربية يعقوب واسحق وابراهيم كثيرا من العلماء نذكر منهم بريستد والدكتور بونكارت حيث يقول : يجب اضافة حقبة حضارية سامية قائمة بذاتها تعود الى عصور فجر التاريخ ويسبق عهد الامبراطورية الاكدية هذه الحقبة الحضارية السامية البحته التي مصدرها هجرة الساميين العرب من شبه جزيرة العرب عصر مسيلم نسبة الى مسيلم أحد ملوك الساميين في مدينة كوش[٣] .

واننا نلحظ كلمة مسيلم وهي تصغير مسلم العربية وبهذا تكون الجزيرة العربية هي الأم واللغة العربية هي الأم .

---

(٢) العرب واليهود في التاريخ ص٤١٦
(٣) العرب واليهود في التاريخ ج١ ص١٢٤

وسأنقل بعض كلمات مرت في بحثي : ١ـ ابراهيم قال عنها بعض المؤرخين والمفسرين أب راحم وهي بابدال الحاء هاء . وأرى أنها من برهن "دليل على وجود الله" بإبدال الميم نونا . ٢ـ ساراى = سارة من السيرة والهجرة . ٣ـ سيروج سيروا بعيدا . ٤ـ هاجر فعل من الهجرة . ٥ـ ايل اله "وكان للاله ايل نفس المكانة السامية عند الآراميين ، فقد ورد اسمه مضافا الى أسماء بعض ملوكهم ، فقد اشتهر بين الملوك الآراميين الملك متى ايل ملك أرجاء الذي عقد معاهدة دفاع مشترك مع الملك الآشوري /٧٥٤ ـ ٧٤٥/ ق .م . كما اتخذ الهكسوس الذين حكموا مصر بين سنة ١٧٨٥ وسنة ١٥٨٠ اسم الاله ايل للتبرك ، فأضيف الى أسماء بعض ملوكهم باسم يعقوب ايل ، وورد يوسف ايل ، وقد وجد هذا الاسم ايل في اللهجة اليمنية الحميرية ، فقد وردت أسماء بعض الملوك اليمن ملحقا فيها ايل كرب ايل وتر كرب ايل يدع ايل بن يدع ايل بن تبع كماورد في الأسماء العادية شرحبيل ، أما في الشمال فقد سمي الاسم شرحاف غير منسوبة الى ايل وبهذا تكون كلمة ايل عربية ، وليست عبرية ولانلحظ بعد فترة يعقوب من سمي بايل وهذه أسماء ملوك اليهود حسبما ورد في التوراة ولو كانت ابل عبرية لوردت .

ويؤكد الأستاذ الجميلي أن ايل كلمة عربية الأصل وقد كانت منذ القديم في مختلف اللهجات العربية القديمة بمعنى الاله وهي كلمة تعني الرب . فتطورت عنها كلمة الاله أو الله في العربية الفصحى[1] . ٦ـ اسرائيل السارى الله . ٧ـ يعقوب ذكر الحجل . ٨ـ اسحق من السحق /البصر والقوة/ أو هو ضحك بابدال الضاد سينا والكاف قافا وقد وردت في العبرية صحق بمعنى ضحك . وتقول التوراة عن سارة سميته اسحق لأن الله ضحك لي ولأن كل

(١) العرب واليهود في التاريخ ج١ ص٧٠

من يسمع أنه ولد لي يضحك لي . ٩ـ اسماعيل السامع لله . ١٠ـ بابل باب الله . ١١ـ ايل رئي رؤى الله . ١٢ـ ملكي صادق الملك الصادق . ١٣ـ ملكي شاليم ملك السلام وله نسبت أورشليم . ١٤ـ عابر اسم فاعل من عبر . ١٥ـ أب رام الأب القاصد . ١٦ـ عفرون وزن فعلون من عفر والعفر هو لون التراب والكلمة عربية وليست حثية كما ترويها التوراة . ١٧ـ ناحور وزن فاعول من نحر . ١٨ـ هذه بعض كلمات مرت ومن يراها يحسبها أعجمية وهي عربية صميمة .

أبناء ابراهيم

"رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يابني أني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ماتؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين . فلماأسلما تله للجبين وناديناه ان ياابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم . وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم . كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين . وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين"(١) . دعوة لابراهيم الخليل بعد أن شاخ ، وكبر ، وجاءت البشارة بغلام حليم هذه الدعوة تشعرنا أنه لم يكن له أولاد مطلقا ، وشب الغلام ، وبلغ معه السعي . والسؤال الذي يطرح مامعنى السعي ؟ هل بدأ يركض أم كان يسعى معه حول الكعبة ؟ . أراد الله اختباره وهو الحليم العليم فرأى ابراهيم في منامه أن يذبح ابنه ، والرؤيا عند الأنبياء تقابل الوحي ، وحينها قال لابنه المؤمن وهذا يدل على أن الولد أصبح في سن الشباب : ان الله أمرني أن أذبحك ، وهل أشد ألما على المرء من أن يذبح ابنه بيده ؟ وأي ولد ولد بلغ الشباب ، والوالد في سن الشيخوخة ؟ وما كان من الشاب الا أن قال وهو المؤمن القانع افعل ماتؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين .

---

(١) الصافات ٩٩-١١٣

أب مؤمن وابن مؤمن يتلقيان أوامر الله بالاذعان ، والطاعة . ولما وضع الأب ابنه تحت السكين ناداه الله ان قد صدقت الرؤيا ولم يذبح ولده لأن الله افتداه بكبش سمين . بعد حادثة الذبح هذه والفداء تابعت الآيات البشارة بالولد الثاني وقد حددته باسحق وعلى أساس فهمي للآيات يكون الولد الذي أراد ابراهيم ذبحه اسماعيل ولا ريب ولننظر الى رواية التوراة لنرى الفارق الكبير (وحدث بعد هذه الأمور ، ان الله امتحن ابراهيم ، فقال له : ياابراهيم . فقال : هاآنذا . فقال : خذ ابنك وحيدك الذي تحبه اسحق ، واذهب الى أرض المريا ، واصعده هناك على محرقة على أحد الجبال الذي أقول لك ، فبكر ابراهيم صباحا ، وشد على حماره وأخذ اثنين من غلمانه معه ، واسحق ابنه وشقق حطبا لمحرقه ، وقام ، وذهب الى الموضع الذي قال له الله ، وفي اليوم الثالث رفع ابراهيم عينيه ، وأبصر الموضع من بعيد فقال ابراهيم لغلاميه : اجلسا أنتما ههنا مع الحمار وأما أنا والغلام ، فنذهب الى هناك ، ونسجد ، ونرجع اليكما[٢] . فأخذ ابراهيم حطب المحرقة ، ووضعه مع اسحق ابنه ، وأخذ بيده النار والسكين ، فذهب كلاهما معا ، وكلم اسحق ابراهيم أباه ، وقال : ياأبي ، فقال : هاآنذا ، فقال : هوذا النار والحطب ، ولكن أين الخروف للمحرقة فقال ابراهيم : الله يرى له الخروف للمحرقة يابني ، فذهب كلاهما معا ، فلما أتيا الى الموضع الذي قال له الله بنى هناك ابراهيم المذبح ، ورتب الحطب ، وربط اسحق ابنه ، ووضعه على المذبح فوق الحطب ، ثم مد ابراهيم يده ، وأخذ السكين ليذبح ابنه ، فناداه ملاك الرب من السماء ، وقال : ابراهيم ابراهيم . فقال : هاآنذا . فقال : لاتمد يدك الى الغلام ، ولاتفعل به شيئا لأني الآن علمت أنك خائف الله ، فلم تمسك ابنك وحيدك عني ، فرفع ابراهيم

(٢) أضافت التوراة كذبة أخرى حينما قال نسجد ونعود .

عينيه ، ونظر ، واذا كبش وراءه ممسكا في الغابة بقرنيه ، واذا ابراهيم آخذ الكبش ، وأصعده محرقه عوضاعن ابنه ، فدعا ابراهيم اسم ذلك الموضع ، يهوه يرأه ، حتى أنه يقال اليوم في جبل الرب يرى ، ونادى ملاك الرب ثانية من السماء ، وقال بذاتي أقسمت ، يقول الرب ، اني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك أباركك مباركة ، وأكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء ، وكالرمل على شاطيء البحر ، ويرث نسلك باب أعدائه وتبارك في نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت لقولي(٣) .

وردت القصة في التوراة ولي عليها الملاحظات التالية : أ- خذ ابنك بكرك وحيدك . فمن الابن البكر الوحيد ؟ هل هو غير اسماعيل وحتى باعتراف التوراة ذاتها ؟ لم تعط التوراة لاسحق الايمان الذي قال به القرآن الكريم لاسماعيل (اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ماتؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين) . بعد أن انتهى ابراهيم من قصة الذبح ، بشره الله باسحق نبيا من الصالحين ، فهل أتت البشارة قبل مولده أم بعد مولده ؟ . لو رجعنا للنصوص القرآنية لوجدنا أن البشارة باسحق جاءت قبل مولده ، وكان مولد اسحق بعد مهلك قوم لوط ، وكانت البشارة حينما أتت الملائكة لتدمير قوم لوط ، مر الملائكة على ابراهيم ، وسارة ، وبشروهما باسحق ، وكان ابراهيم شيخا ، وكانت سارة عجوزا (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فلما لبث أن جاء بعجل حنيذ فلما رأى أيديهم لاتصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالت

---

(٣) سفر التكوين الاصحاح الثاني والعشرون .

يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا شيء عجيب)[1] . وقد مرت هذه البشارة في عدة سور من القرآن الكريم ، مرت في سورة هود ، والحجر ، والذاريات ولاتناقض بين سورة وأخرى في الرواية كمايحدث عادة في التوراة بل جميعها يتمم بعضها بعضا والملاحظ أن البشارة لاسحق كانت بغلام عليم ، فقد وصف اسحق بالعلم في سورتين الحجر والذاريات أما البشارة الأولى في اسماعيل فقد وصف الغلام بالحلم فبشرناه بغلام حليم .

والاشارة واضحة الى اسماعيل فلما بلغ معه السعي قال يابني اني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ماتؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين[2] .

وبعد الآيات التي تصف الذبح والغداء تتابع الآيات مقالها في قوله الثاني ، (كذلك نجزي المحسنين أنه من عبادنا المؤمنين وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين) ١١١-١١٣

والآيات موجودةفي قسم القرآن الكريم في أول الكتاب ولننظر الآن ماذا قالت التوراة في ذلك البشارة . (وظهر له الرب عند بلوطات ممرا ، وهو جالس في باب الخيمة ، وقد حر النهار ، فرفع عينيه ، ونظر ، واذا ثلاثة رجال واقفون لديه ، فلما نظر ، ركض لاستقبالهم من باب الخيمة ، وسجد الى الأرض ، وقال ياسيد ان كنت وجدت نعمة في عينيك ، فلاتتجاوز عبدك ، ليؤخذ قليل ماء ، واغسلوا أرجلكم ، واتكئوا تحت الشجرة ، فآخذ كسرة خبز ، فتسندون قلبكم ، ثم تجتازون لأنكم مررتم على عبدكم ، فقالوا هكذا نفعل كما

---

(١) هود ٦٩-٧٢ وارجع الى سورة الحجر ٥١-٦٠ وسورة الذاريات ٢٤-٣٣
(٢) سورة الصافات ٩٨ ومايليها .

تكلمت ، فأسرع ابراهيم الى الخيمة الى سارة ، وقال اسرعي بثلاثة كيلات دقيقا سميدا ، اعجني ، واصنعي خبز مله ، ثم ركض الى البقر ، وأخذ عجلا رخصا وحيدا ، وأعطاه للغلام ، فأسرع ليعمله ، ثم أخذ زبدا ولبنا والعجل الذي عمله ، ووضعهما قدامهم ، وان كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة أكلوا . وقالوا له أين سارة امرأتك ؟ فقال : هاهي في الخيمة . فقال اني أرجع اليك نحو زمان الحياة ، ويكون لسارة امرأتك ابن . وكانت سارة سامعة في باب الخيمة ، وهو وراءه ، وكان ابراهيم ، وسارة شيخين متقدمين في الأيام ، وقد انقطع أن يكون لسارة عادة النساء ، فضحكت سارة في باطنها قائلة : أبعد فنائي يكون لي تنعم وسيدي قد شاخ ، فقال الرب لابراهيم : لماذا ضحكت سارة ؟ قائلة : أفبالحقيقة ألد وان شخت هل يستحيل على الرب شيء في المعياد ، وارجع اليك زمان الحياة ، ويكون لسارة ابن[٣] .

البشرى موجودة في التوراة والقرآن لكن الفرق بين الفصتين كبير فالملائكة لم يأكلوا كما في القرآن ولكنهم في التوراة أكلوا والملائكة قالوا لابراهيم عن نكبة قوم لوط بينما لم يرد شيء من هذا في التوراة ولي على سرد التوراة بضع ملاحظات : أ- لم تذكر هاجر ولا ابنها وانما ذكرت سارة وقد كانت تقوم بالخدمة بنفسها ، فصنعت خبز مله ولم تناد هاجر فاذا ماكانت هاجر أمة أفليس أحق بالخدمة من سيدتها . ٢- اعترف القرآن الكريم والتوراة بتقدم سارة وابراهيم في العمر . ولكن التوراة زوجت ابراهيم من قطورة ، وحجون بنت ازهير العربيتين بعد موت سارة . فهل يعقل أن يتزوج انسان بعد المئة ؟ اذن اذا ماثبت رواية التوراة بأنه تزوج غير سارة ، وهاجر فإنه قد تزوج قبل أن يشيخ الى جانب هاجر . ٣- لم يذكر القرآن بقية أبناء ابراهيم بينما

(٣) سفر التكوين الاصحاح الثاني عشر ١-١٥

تعرض لاسماعيل واسحق وأهملت بقية الأسماء ترى أليس له أولاد غيرهم ؟ أم ترى أغفل القرآن ذلك . أنا أشك في زواجه من قطورة ومن حجون ، وانما زوجته التوراة من القبائل المجاورة ايحمي اليهود أنفسهم من جيرانهم ، فادعوا أواصر القربة بدمج القبائل المجاورة في نسبهم ، وبهذا يصبحون لهم عونا وسندا . الدلالة في الأيات القرآنية أن ابراهيم كان يسكن قريبا من آل لوط وقد قالوا لابراهيم أن موعدهم الصبح ، أليس الصبح بقريب ؟ .

لكن الاشارة هذه لاتحدد هل كان مقيما اقامة دائمة أم كان ينتقل من مكان لآخر ؟ فقد بين لنا القرآن الكريم أنه انتقل الى الحجاز ، وقد بينا ذلك في بناء البيت ، واشارة القرآن اشارة واضحة في اسكانه من الذرية عند البيت المحرم .

ترى هل استقر المقام به في الحجاز ، والقى عصا التراحل في مكة المكرمة ؟ أم ترى استقر اسماعيل الشاب وأمه في مكة المكرمة ، وهو الشيخ العجوز ظل متنقلا من مكان لآخر ؟ هذا مالايجيبنا أحد عنه .

التوراة بتناقضها تقول أنه سكن في برية بئر سبع قريبا من جرار ، وقد ماتت سارة في ذلك الموضع ، ومات ابراهيم فيها وبهذا يكون قد ترك الأرض الخصبة الى مكان قاحل لاينبت نبتا ، ولايزرع زرعا .

صحراء قاحلة يمكن أن تكون صالحة للرعي ، لكن هناك سفوح الجليل والكرمل ، وهي صالحة للرعي أيضا ، وقد اشترى حقلا في حبرون فماالذي يمنع سكناه ان صحت دعوى التوراة ، وماالذي فعله في الحقل بعد أن اشتراه ، ان شراء الحقل يستلزم السكن للزراعة ، وعدم زراعة ابراهيم هذا الحقل رد على التوراة حينما قال : اشترى المغارة والحقل ، فأرض فلسطين أهلة بالسكان . ولهذا لم يمر ابراهيم على الخليل والجليل كماتقول التوراة ، ولم يسافر من آور

الكلدانية الى فلسطين ، وانما هاجر من شمال الحجاز ، أو نجد الى جنوبي فلسطين ، وحصرا لم يتجاوز البحر الميت شمالا . فلوط عليه السلام آمن به ، وجاء يبشر أقوام سدوم وعموره ان اشارة القرآن الى لوط وقومه اشارة واضحة الى أن لغة لوط هي لغة القوم الذين سكن بين ظهرانيهم فقد أرسل كل رسول الى قومه باللغة التي يفهمونها ، وأتساءل هل انتهت رسالة ابراهيم حينما نجاه الله ولوطا الى الأرض التي بارك الله فيها وبدأت رسالة لوط ؟

لم تبين لنا التوراة أنه بشر لله العلي ولم تبين لنا شريعة ابراهيم بل صورت ابراهيم راعيا متنقلا ، لا هم له الا الكسب بأي طريقة كانت ، يزين زوجته ، ويقدمها لفرعون ليكسب مالا ، وغنى كماتقول التوراة ، ويزينها من جديد ليقدمها لأبي مالك ليكسب من ورائها غنى تصوره التوراة جشعا لاهم له الا المال جيانا يسلم زوجته لكل مغتصب ، تصوره التوراة عاجزا أمام جبروت زوجته سارة ، فكل ما أمرته به يخضع لها .

أهذا هو أبو الأنبياء ؟ أهذا هو الصدق في التوراة أم هذا هو ابراهيم ؟ تصور لنا هاجر خادمة ذليلة تمتهن ، فلاتشكو . تهرب ، فيرجعها ملاك الرب لتبقى خاضعة بين يدي سارة ، تذلها سارة ، تهينها ، ثم تطردها ، ولاتقف لتدافع عن نفسها مرة ، يتركها زوجها في برية بئر سبع هي وابنها عرضة للموت للعطش للجوع والحيوانات ، وتسكت هل هذه هي هاجر أم الصدق في التوراة ؟

تصور لنا التوراة سارة العجوز العاقر المرأة المتصابية الفاسقة التي ترضى أن تزن وتزف لكل مغتصب ، فلاتثور ، ويثور من أجل هاجر ، تغضب من ابن هاجر ، تذل هاجر ، وتطردها مع ابنها ، فهل هذه هي سارة أم هو الصدق في التوراة ؟

تصور التوراة هاجر من مصر ، وتزوج ابنها اسماعيل امرأة مصرية ، فهل هذا الصدق في التوراة ؟ وهي المرأة التي سكنت مكة وزوجت ابنها من جرهم العربية ، وليست من مصر أهذا هو الصدق في التوراة ؟

الخاتمة

لاأعتقد أنني أفلحت بعد هذه الدراسة في تصوير قصة ابراهيم كمايجب ولا في جلاء الغموض عن هاجر ، زمن طويل ، مر يقدر بأربعة آلاف سنة ، لاتسندنا الوثائق ، ولاتدعمنا الآثار والرقيمات لنستجلي الصورة .

كتاب القرأن الكريم قدم لنا ابراهيم أسوة حسنة ، المؤمن المهاجر في سبيل ربه ، المكافح عن دينه وايمانه ، يقدم الى النار فيمشي بخطا وئيدة ثابتة ، ليتلقى النار ، واذ بالنار تصبح بردا وسلاما . يهاجمه قومه ، فيهماجمهم ، يحاجه ملكه ، فيحاجه ، ويطرد ، فيهاجر ، يعتزله أبوه ، ويبقى بارا يدعو له بالمغفرة . يترك وطنه ، يحن اليه ، لكنه يبقى الداعية للايمان الرؤوف بالبشرية حينما يجادل الملائكة في قوم لوط .

أب رحيم يدعو لابنه حينما أسكنه في الحجاز بدعوات صالحة ، يحمد الله على السراء والضراء كريم يقرى الأضياف ، يذبح الذبائح ، يقدمها للمارين ، ذكر قصة ابراهيم مع الملائكة حينما ذبح لهم عجلا وهو المؤمن الذي يقرر ذبح ابنه ان كان ذلك يرضي الله ، قانع بماقسمه الله . أما هاجر هذه التي كنت أبحث من أجلها .

المرأة المهذبة المطيعة لزوجها ، المؤمنة بالله تمام الايمان يسكنها زوجها في مكة ، فتسكن يتزوجها على ضرة فتقبل ، تلد ، فتحمد الله على مانعم به عليها ، لاتتذمر ، لاتشكو ، مثال المرأة المؤمنة الصالحة .

أما اسماعيل ذلك الفتى المؤمن بالله ، مطيع لله ، مطيع لوالده ، يبلغه الوالد بأن الله يأمر بذبحه فقال مطيعا : افعل ماتؤمر ، ستجدني ان شاء الله من الصابرين .

ويمشي الى المكان الذي سيذبح فيه هادئا ، مطمئنا بعمر قلبه الايمان ، لم لا وهو ابن أبيه المؤمن يسكنه والده في الحجاز في واد غير ذي زرع ، فلا يتأفف ، ولايشكو ، ولايضجر ، يأمره كماتقول الروايات بطلاق زوجته ، فلايناقش ، بل ينفذ الأمر مطيعا ، يدعوه لبناء البيت ، فيسمع ، ويشاركه في البناء ، ويدعوا : ربنا ، تقبل منا انك أنت السميع العليم . هذا الفتى صادق العهد حليم متسامح مؤمن قانع راض . أما سارة فقد أعطاها القرآن صورة رائعة المرأة المؤمنة العاقر التي لاتلد ، فلاتشكو ، ولاتضجر ، تزوج عليها زوجها ، فلاتضجر ، وحينما بشرتها الملائكة باسحق ، تعجبت فقالت : أنا عجوز ، وهذا بعلي شيخا ، انه لشيء عجيب . هذه هي الصورة التي قدمها لنا القرآن الكريم لهذه الشخصيات الأربع ، أما التوراة فقد أعطتنا الصورة المناقضة لما صوره القرآن الكريم ، صورة الشر والحقد والتغطرس لسارة ، صورة الرجل الضائع أمام زوجته ، والجبان أمام الجبارين هذه صورة ابراهيم ، المرأة الذليلة المهانة والخادمة المتواضعة هاجر .

أفبعد هذا تناقض ؟

انني أدعو كتاب التاريخ وعلماء الدين معا أن يتنبهوا الى خطورة الوضع الاسرائيلي وخطورة الاسرائيليات في التاريخ والدين ، وأن يهبوا ، ويقفوا وقفة رجل واحد ليدرأوا عن هويتهم ، عن دينهم ، آثام الصهيونية ورجسها ، وليفتحوا أعين الناس على الحقيقة ، فلايبقى أعمى لايبصر وضال لايهتدى ،

لقد خدعنا قرونا عديدة بأوهامهم وقل من سلم الا من عصم ربك ومتى يستفيق النائمون .

ألا هل بلغت اللهم فاشهد .

انتهت

المصادر

أـ كتب سماوية :

- القرآن الكريم
- العهد الجديد
- التوراة

ب ـ كتب الحديث :

- صحيح البخاري
- فتح الباري
- رياض الصالحين
- صحيح مسلم
- سنن الترمذي
- الأوسط للطبراني

جـ ـ كتب تفسير :

- تفسير الطبري
- معاني القرآن ـ الألوسي
- تفسير أبي مسعود
- مختصر ابن كثير
- تفسير ابن كثير
- التفسير الكبير ـ الامام الرازي
- تفسير النسفي
- تفسير الجلالين

د ـ كتب سيرة نبوية :

- السيرة النبوية لابن هشام
- سيرة ابن اسحاق

- روض الأنف
- محمد رسول الله - السمار

هـ- كتب تاريخ :

- تاريخ الطبري
- الكامل ابن كثير
- المبتدأ والخبر - ابن خلدون
- المختصر - أبو الفداء
- تتمة المختصر - ابن الوردي
- تاريخ ابن السرتي
- تاريخ العرب - فليب حتي
- بدائع الزهور - ابن اياس الحنفي
- المفصل في تاريخ العرب - جواد علي
- العرب واليهود - سوسه
- البداية والنهاية - ابن كثير
- تاريخ بلاد الشام - أحمد اسماعيل
- تاريخ موجات الجنس العربي - دواره
- بلاد مابين النهرين - دولايورث
- الخطوط الكبرى في تاريخ سوريا - أسد أشقر
- قصة الحضارة - ول ديورانت
- الحرب عبر التاريخ - مونت غمرى

و- كتب دينية :

- اليهود في القرآن طبارة
- روضة المحبين - ابن قيم الجوزية
- مكائد يهودية - حسن حبنكة
- أسئلة محيرة - الشعراوي
- فتح العلام - الجوداني
- النبوة والأنبياء - الصابوني
- عصمة الأنبياء - الفخر الرازي
- نهاية الارب - النويري

ز- كتب عن اليهود :

- تاريخ اسرئايل القديم - الأب دي فو
- قضية اسرائيل - روجه غارودي

- اللغة العبرية ـ د .ربحي كمال
- الموسوعة الموجزة عن التوراة ـ نيكلسن
- التوراة ـ مصطفى محمود

حـ كتب عامة :

- قصص القرآن ـ جاد المولى
- تاريخ اللغات السامية والمنسقون
- العصبية القبلية ـ د .احسان النص
- جمهرة الأنساب ـ ابن حزم
- فجر الاسلام ـ أحمد أمين
- الاعجاز الطبي في القرآن ـ السيد الجميلي
- التفسير والمفسرون

منشورات دار معد للطباعة والنشر والتوزيع

سورية دمشق - ص . ب ١٠٨٧٧ هـ ٨٨٦٢٦٩